

معجم الخطباء

تأليف

داخل السيد حسن

تقديم

سماحة الامام المجاهد

السيد محمد حسين فضل الله

دام ظله

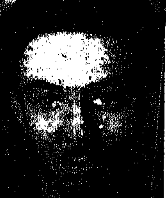
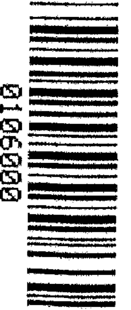
الجزء الثالث





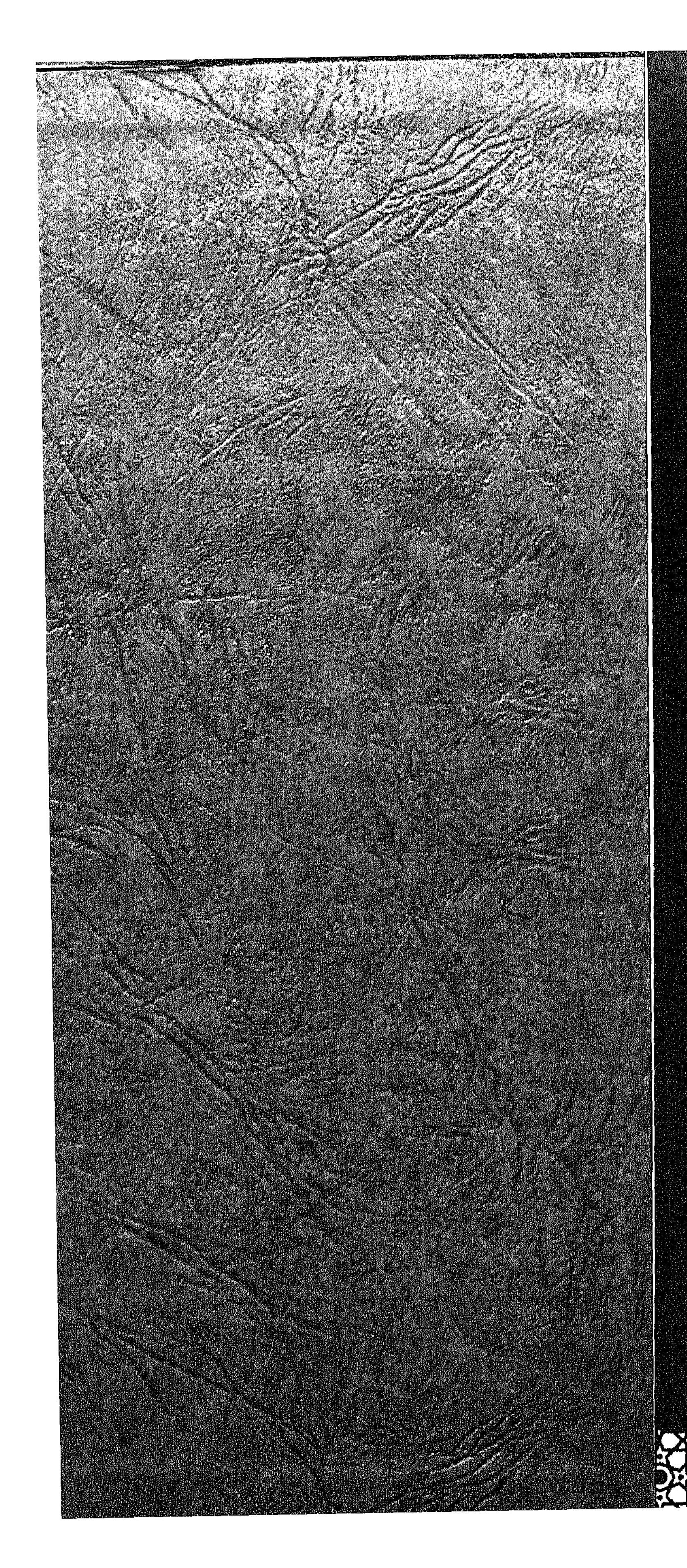






دار الصفوة



هذا الكتاب:

معجم الخطباء كتاب فني موسوعي يسجل على صفحاته عرضا لأجيال من الخطباء الراحلين والمعاصرين. ويؤرخ لجمهرة من رجال المنبر وفرسان الخطابة بدراسة موثقة، ومصادر معتمدة، وصور حية، ومشاهدات وانطباعات ميدانية وخلاصة تجارب، وعصارة خبرة واستقراء حتى تبلورت هذه الخدمة المتواضعة لهذه الشخصيات النموذجية في الحياة والتاريخ، والرموز الفاعلة في ضمير المجتمع والمعالم الهامة في التربية والاصلاح والتوجيه الاجتماعي.









تأليف

داخل السيد حسن

الجزء الثالث

تقديم

سماحة الامام المجاهد

السيد محمد حسين فضل الله

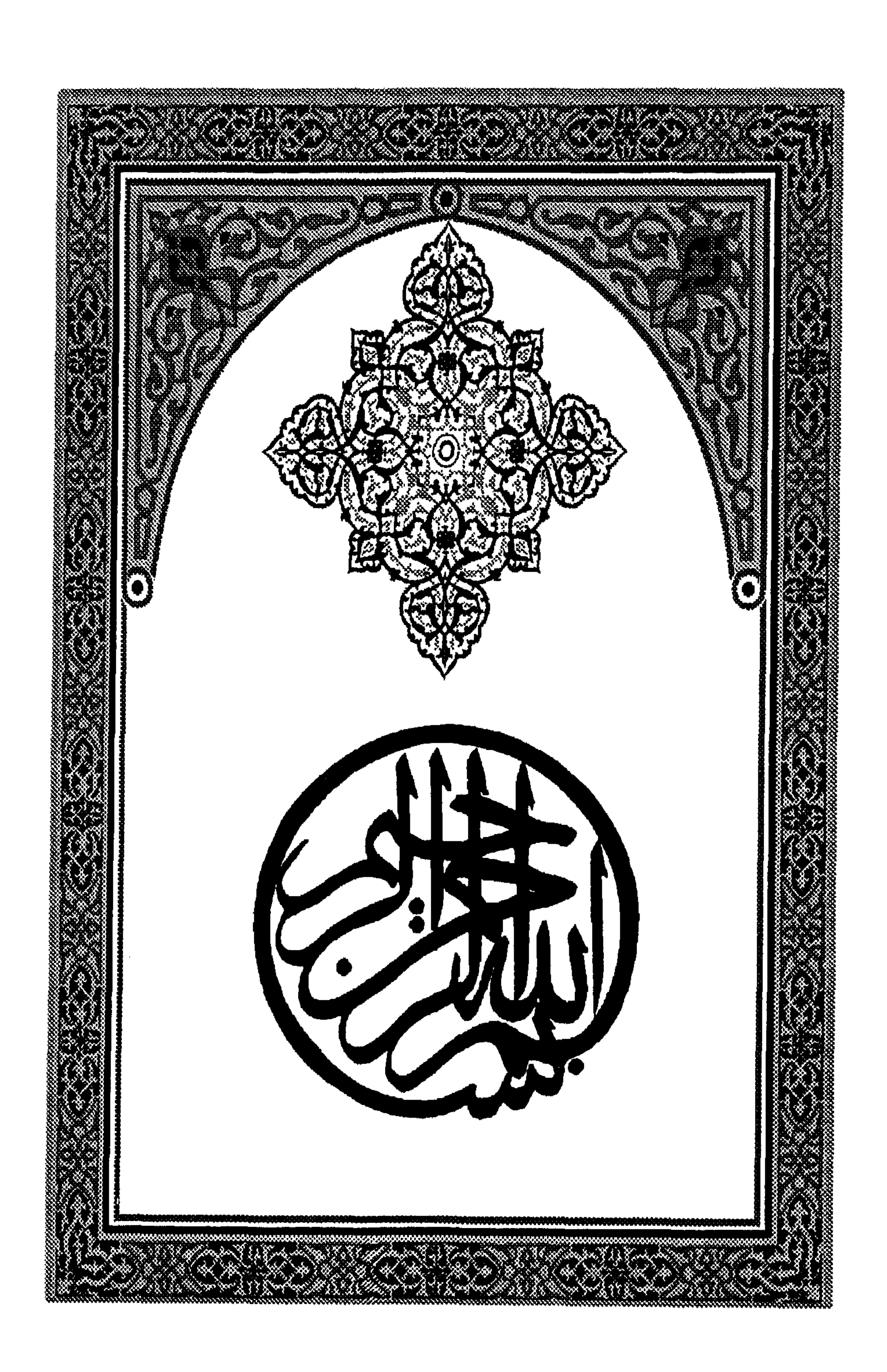
دام ظله



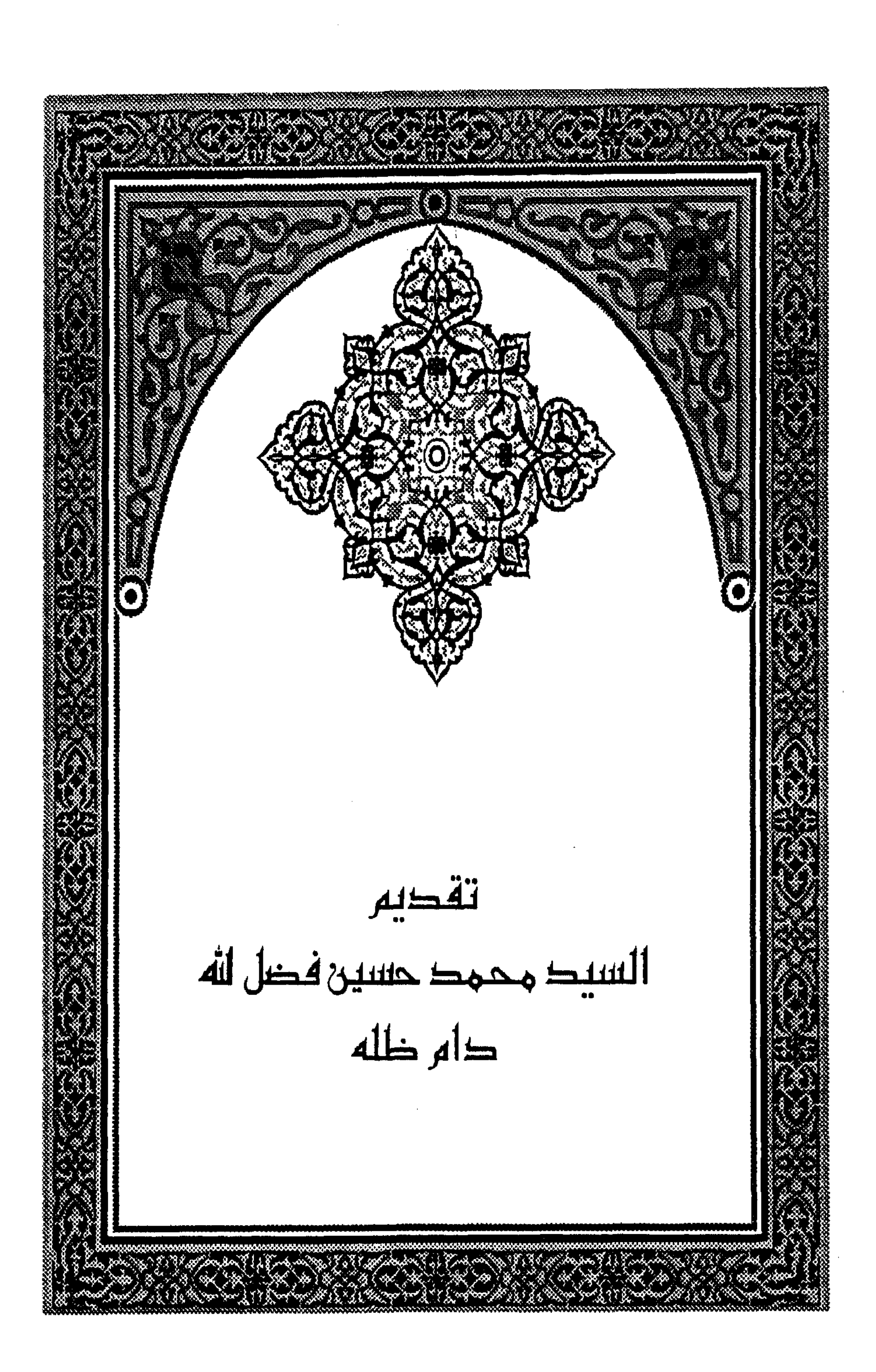
الطبعة الأولى
١٤١٧هـ - ١٩٩٧م



بيروت - بئر العبد - الصنوبرة - مقابل سنتر داغر - بناية ذياب ومهدي
تلفون: ٨٣٧٦٥٤ - ٨٢٣٥١٨ - ٦٠١٠٢٠
فاكس: ٠٠٩٦١٨٣٧٦٥٤ - ٠٠٩٦١٦٠٣٣٧٩
ص. ب: ٢٤/٦٣
Tel: 837654 - 823518 - 601020
Fax: 00961837654 - 00961603379
P.O Box: 63/24


بسم الله الرحمن الرحيم





تقديم

السيد محمد حسين فضل الله

دام ظله





السيد الامام الفقيه الكبير محمد الحسين آل فضل الله الحسني لواء خفاق في موكب الجهاد، وركن وثيق في الحركة الاسلامية المعاصرة، ومعلم بارز من معالم النهضة والتقدم الاسلامي، ثنيت له الوسادة في مرجعية التقليد وتقليد المرجعية من بين علماء الطائفة وفقهاء الشيعة العرب.

ومن دواعي الغبطة والاعتزاز بسماحته يسرّني ان اقدم الجزء الثالث من «معجم الخطباء» متيمناً بالكلمة القيمة التي خطتها انامله المباركة، وسجلها يراعه المرهف، مقرظاً كتابنا السابق ومباركاً كتابنا اللاحق فشكراً وعرفاناً لألطافه سابقا ولاحقا.

المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين وعلى جميع الأنبياء المرسلين.

للمنبر الحسيني دور الرسالة المتحركة المنفتحة على الإسلام كله في خط الوعي وحركة التحدي في مواجهة الكفر كله والظلم كله، وفي انفتاح الدعوة على قضايا الانسان العامة والخاصة. باعتبار ان الاسلام هو عمق الثورة الحسينية، فليس فيها شيء للذات - بل هي — في كل منطلقاتها وامتداداتها وعناوينها وتحدّياتها وآفاقها - اسلام يدعو ويثير ويشير إلى الواقع ويحاسب ويحاكم ويثور مما جعل النظرية فيها تنفتح على جانب التطبيق مما جعلنا نرى الإسلام إنساناً ثائراً مضرجاً بالدماء يتمثل في النموذج الحسيني المتجسد في أكثر من نموذج حيّ في أهل بيت الحسين وأصحابه في الطفل والشاب والشيخ والمرأة.

وهكذا اراد الأئمة من أهل البيت في دعوتهم لإنشاء هذا المنبر ليكون جامعةً متنوعة الأبعاد متعددة الاساليب تجمع بين عقلانية

الفكر والخط في الثورة وعاطفية الشعور في المأساة ليعيش الإسلام في وجدان الانسان حياة فكرية روحية حركية تجمع بين العقل والعاطفة لأن ذلك هو سر حيوية الانسانية في الانسان وكان الشعار وأحيوا أمرنا رحم الله من احيا امرنا، وليس لأهل البيت عليهم السلام أمر إلا الاسلام الذي تجسد فيهم وفي سيرتهم وحركتهم فكراً وعاطفة ومنهجاً للحياة وقد تنوعت التجارب المنبرية على مدى السنين واستطاعت ان تصنع جمهورها في تتابع الاجيال وكان النثر والشعر والقصة والتاريخ والتحليل والاثارة والصوت الموسيقي الحزين الذي عاش غنائية المأساة بطريقة شرعية وقد كنا ولانزال نتحدث مع أصدقائنا من خطباء المنبر الحسيني أن يحتفظوا بهذه التجارب لتبقى في وجدان الكلمة، كما كانت في حركة الصوت لتبقى زاداً عقلياً وعاطفياً وروحياً وحركياً لكل «من لايحضره الخطيب» ليعيش الانسان القضية في قراءاته كما عاشها في مسموعاته.

ولعل تجربة الخطيب العزيز السيد داخل السيد حسن في كتابه «من لايحضره الخطيب» الذي استوحى اسمه من الكتاب الحديثي للشيخ الصدوق «من لايحضره الفقيه» تمثل لوناً من ألوان الاحتفاظ بالتجربة في الكلمات المتنوعة الآفاق، المتحركة الابعاد التي تمثل هذا

الفن المنبري الذي يزاوج بين الفكرة في جديتها وحركتها والمأساة في عاطفيتها وبكائيتها حتى لاتعيش الفكرة جفاف الفكر، ولاتنطلق العاطفة بمجردة عن المضمون وذلك هو سرّ استمرار المنبر الحسيني في طهر العاطفة وامتداد الفكرة.

اننا نقدر له هذا الجهد ونتمنى عليه الاستمرار في الخط التصاعدي في خطابته لتنفتح على العصر في تطوره الثقافي وأساليبه الفنية لتكون الكلمة الحسينية كلمة العصر في كل ايحاءاته التي تتنوع لتمنح القضيه روحاً جديداً ولتلبس المأساة ثوبا جديداً فان من الضروري ان نتابع حركة التغيرات في تطور الاسلوب والشكل في اثاره العاطفة. كما نتابع حركة التطور في مفردات الفكر، حتى نعيش قضايانا في واقع العصر لنظل في خط التقدم المنفتح على الشمس بدلاً من ان نبقى في الظلام نحدّق في سواد الليل.

ويبقى لخطباء المنبر الحسيني ان يرتفعوا إلى مستوى رسالة المنبر في الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وإلى السير في خط اخلاقيته في وجدانهم الفكري وسلوكهم العملي ويبقى لتاريخهم ان يشير الى تاريخ الحسين عليه السلام ليكون الهدى في صحراء الضلال والنور في غياهب الظلام

وفي هذا الكتاب الجديد «معجم الخطباء» الكثير من احاديث هذا التاريخ الذي قد يكون مثيرا للجدل ومنفتحا على القضية في حركة الانسان والحياة.

ويبقى الحسين جديداً في حركة ثورته في امتداد الزمن ويبقى الانسان يستمد من الحسين الكثير الكثير مما يملأ عقله وقلبه وشعوره وحياته ليفتح الحياة على الإسلام قاعدة للفكر والعاطفة والحياة.

والله ولي التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل

٢٢ ذي القعدة الحرام ١٤١٦هـ

محمد حسين فضل الله



عوّدنا الاستاذ الخطيب الشهير والشاعر الكبير الشيخ جعفر الهلالي أن يكون سبّاقاً للفضل ومبادراً للوفاء فوردتنا منه هذه القصيدة العصماء ننشرها مع خالص الاعتزاز والامتنان لسيادته.

وفي الصورة أعلاه استاذنا الكبير مصافحاً فخامة الرئيس حافظ الأسد، ويبدو سيادة الدكتور مصطفى جمال الدين، والدكتور محمد رمضان البوطي.

بسمه تعالى

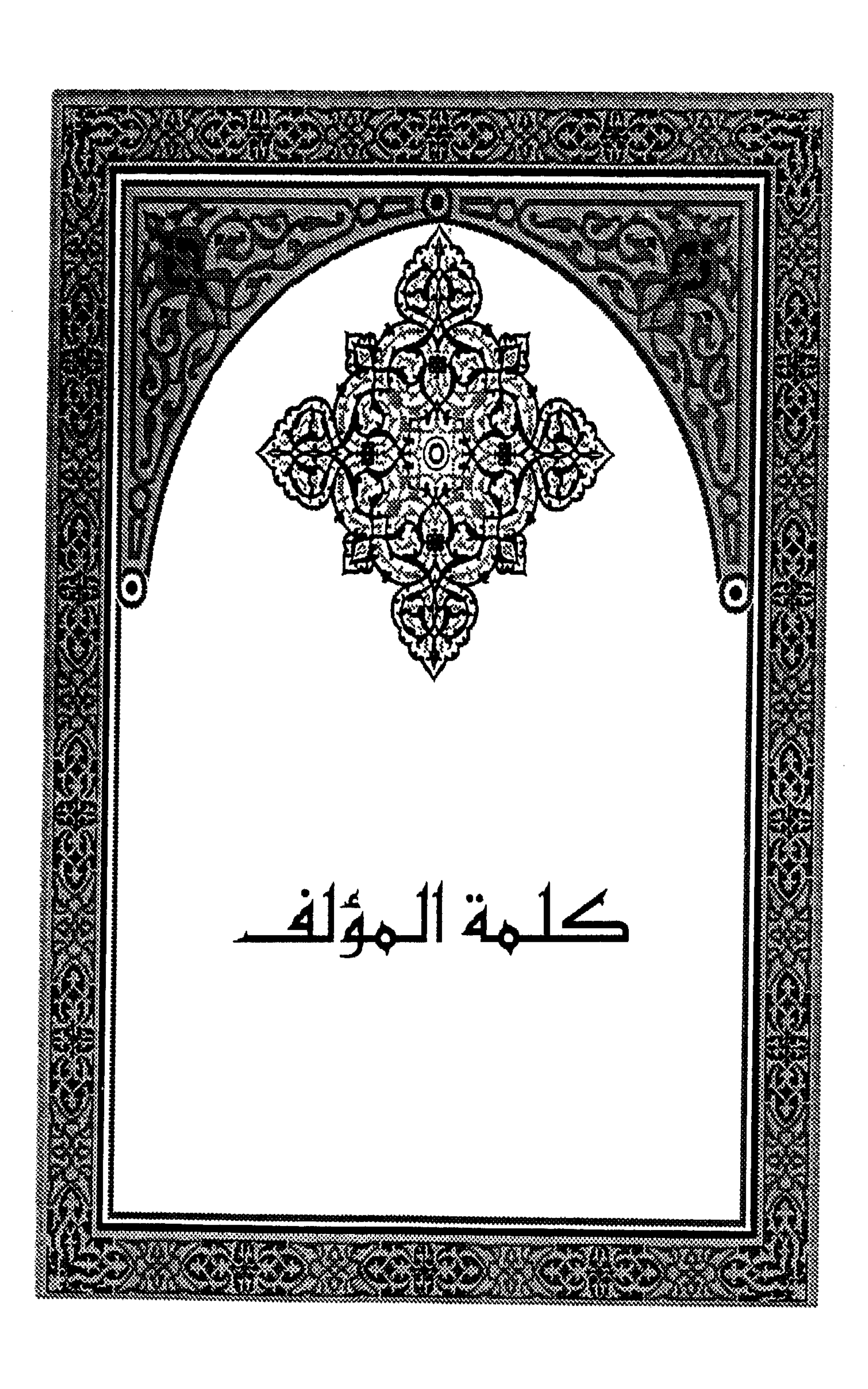
بنيل العلى فـازت رجـال قلائـل — بدا بينها في حلبة السبق (داخـل)
فتـىً لبـني المختـار تنميـه أسـرةٌ — لها في سـبيل المجـد بـانت دَلائـل
سمـا لبلـوغ الخـالدات فاشـرقت — لـه في دروب السـالكين مَشـاعِلُ
له وقفـات في الندى تخجل النّدى — كـأن لـه انسـاً بمـا هـو بـاذل
يجود ببذل الزاد عن طيبِ خاطر — تزينـه فيـه هنـاك الشـمائِلُ
أبيٌّ نأي عـن خطة الخسف طبعُه — لـه شـرف في دارة العـز مـاثِلُ
عرفت بـه صـدق الوفـاء مجسّـداً — لمـن راح يوليـه الوفـا ويقـابلُ
لـه طـالع جلّـى بكـل فضيلـةٍ — يريـك بهـا أن الرجـال منـازل
خطيب على الأعواد حلّق صاعداً — لـه مقـولٌ في حسـنِه متكـامل
يُشيد بذكـر السبط والآل عزمـه — قـويٌّ لـه دوت هنـاك المحـافل
وفي عـالم (التـأليف) تلقـاه بارعـاً — لـه قلـم مـا خيبتـه الأنـامل
فتأليفـه (مَـن ليـس يحضـر عنـده — خطيـب) بـأنواع الفوائـد حـافل
بـه للـذي يبغيـه أعـذب منهـلٍ — إذا مـا جـرت في عذبهـن المنـاهل
وفي (الأدب الشعبيّ) ضـم فرائـداً — مِن الشعر تحكي حسنهن الخمائل
(قصـائد) وافتـا لأوّل مـرةٍ — ترى النّور فيهـا أحسـن النظـم قـائل

وحسبُك منه (معجمٌ) (خطباؤه) بذكر حسين كل فردٍ مناضل
به دل عن فضل وقدرة كاتبٍ وعرض جديد فهو في الشكل كاملٌ
أناف على من قد تقدم قبله فجاء كما تهوى العلى والفضائلُ
به راح يستقصي حياة أماجدٍ هم اليوم للسبط الشهيد بلابل
قديمهم والمحدثون تتابعوا ستلقاك منهم في الكتاب قوافل
وتلك لعمر والحق أكبر خدمة يقدّمها وهو الخطيب المزاولُ
أبا حسنٍ فاهنأ بها إنّها المُنى إذا ما بدت يعنو لها المتطاول
وخذها من الخل الوفيّ خواطراً (هلاليّةً) للحب فيها دلائل
وعش سالماً في عزّة وسعادةٍ يغاديك من عطفِ المهيمن هاطل
وعذراً اذا ما قد تأخر نظمها ففي القلب ممّا يعتريه مشاغل
وآخر قولي مثلما قلتُ أولاً بنيلِ العلى فازت رجال قلائل

الكويت في ١٠ صفر سنة ١٤١٧ هـ

المخلص

الخطيب الشيخ جعفر الهلالي



كلمة المؤلف



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على عباده الذين اصطفى سيدنا ونبينا محمد المصطفى وعلى آله الطاهرين الميامين الشرفا وبعد:

فقد صدر ـ بحمد الله وتوفيقه ـ الجزءان الأول والثاني من كتابنا (معجم الخطباء) الذي تضمن تراجم مفصلة وانطباعات ومشاهدات ميدانية، ودراسات وصور ووثائق لجمهرة من أعلام المنبر الحسيني، وأكابر الخطباء الراحلين والمعاصرين.

وكان لصدوره صدى واسع وانتشار سريع في الاوساط الدينية والاجتماعية والثقافية، وقد بادر اساتذتي الكرام وسادتي الافاضل من اعلام الدين، وأرباب الفضيلة، ورجال العلم، وفرسان الأدب، وأساطين المنبر والخطابة

وسائر الطبقات الاجتماعية المثقفة فغمروني بأرق عبارات التبريك والتشجيع والتقريض، وتفضلوا بأنبل المشاعر الصادقة عبر رسائلهم أو اتصالاتهم الهاتفية او اعلانهم على المنابر أو نشرهم في الصحف الاسلامية والثقافية.

واني بالوقت الذي اعلن عن قصور لساني وعجز قلمي عن تقديم ما تقتضيه اصول الشكر والعرفان، ورد الفضل والامتنان أتخذ من الطافهم

ودعمهم وتشجيعهم محفزاً وسنداً وباعثاً لمواصلة العمل واستكمال المشروع، واستمد من محبتهم وعواطفهم روح العزيمة والاصرار على اجتياز العقبات والمثبطات التي تكتنف ـ غالباً ـ طريق العمل المخلص والرأي الواضح والطرح الجريء.

وأود ان اسجل للتاريخ واعلن للأجيال وللقّراء الاعزاء بان هذا الكتاب لا ينتمي لأي خط ولا ينتسب لأي تيار ولا ينحاز لأي فصيلة من الفصائل والتيارات والخطوط المتصارعة في الساحة الاسلامية، فان هذا العمل يحترم الجميع ولا يحمل سوى الهوية الحسينية الخالصة ويتعامل مع شخصيات الكتاب وفق خطة شاملة تعتبر خدمة سيد الشهداء عليه السلام الحق المشاع للجميع بغض النظر عن الأطر الضيقة والانتماءات الفئوية والتكتلات الحزبية، فلا يمكن لعمل من هذا النوع ان يحتسب على فئة دون اخرى او يترجم لجماعة ويتجاهل الاخرى التي لها وجود مفروض في الساحة الحسينية المقدسة.

وقد سلكت في مسلسل هذه التراجم، ودراسة هذه الشخصيات الخالدة نفس المسلك، ونسجت على نفس المنوال في التقسيمات الفنية السابقة في العروض والمواقع التي لا تتحكم بتقديمها وتأخيرها سوى الاحكام الفنية دون الاعتبار والنظر لموقع الخطيب وثقله الفني وطاقاته

الابداعية ومقدرته الخطابية، ومكانته الاجتماعية، فلا دخل لكل هذه الاعتبارات في تقديم بعض الشخصيات على البعض الآخر اطلاقاً، وانما توخيت الطريق المختصر للاخراج بما يتوفر لدي من معلومات، وتكامل عندي من تراجم بيسر وسهولة دون الانتظار للبحث عن حلقة مفقودة أو جانب غامض لم تتوفر مادته الموثقة، او لم تتجهز السيرة الذاتية أو الأعمال الكاملة للشخصية المترجمة.

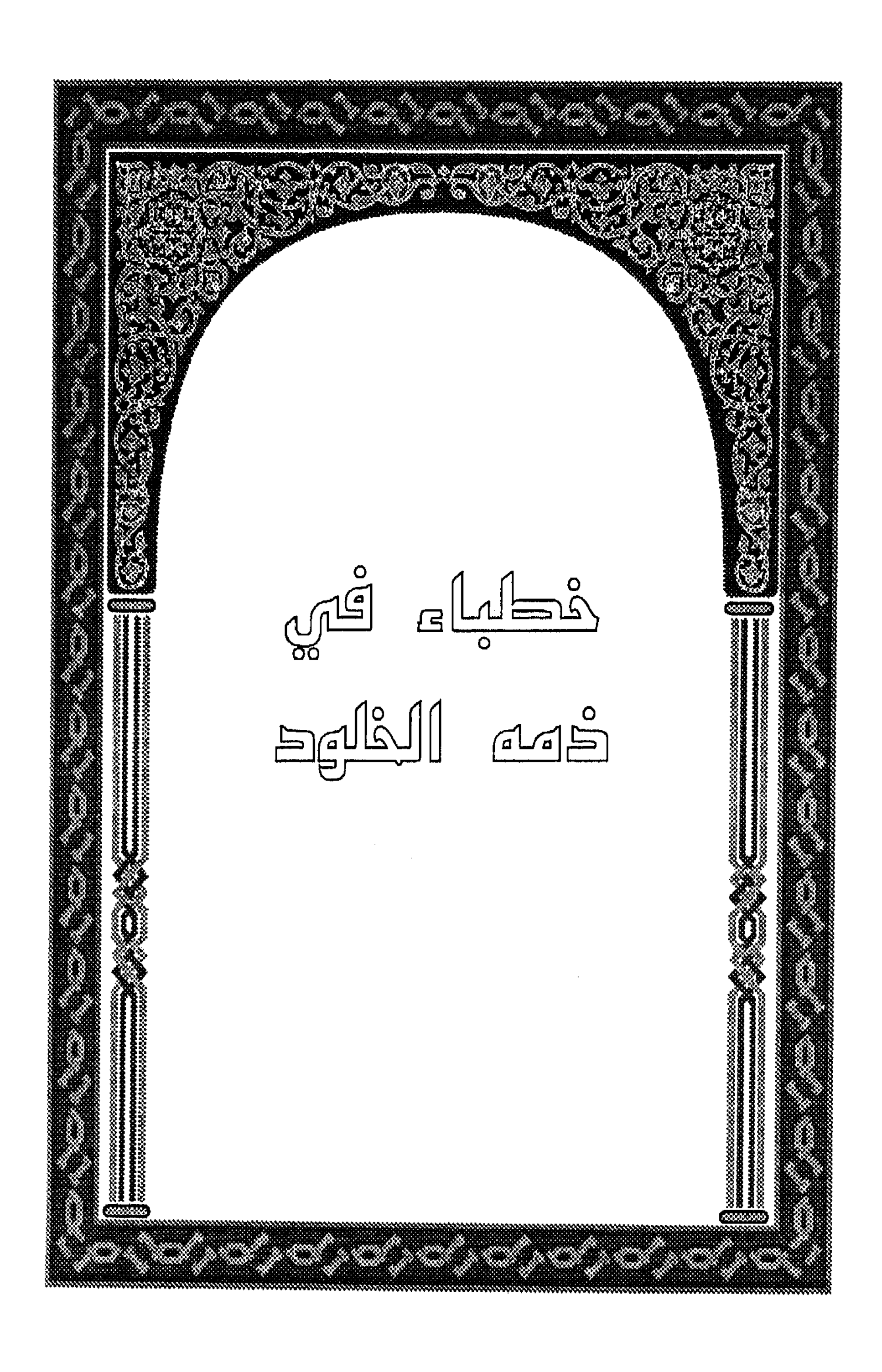
وقبل اقفال هذه الكلمة ارى من العرفان والوفاء أن أخص بمزيد الشكر والثناء سماحة آية الله العظمى الامام المجدد السيد محمد حسين آل فضل الله على كلمته القيّمة التي نتبرك ان تتصدر هذا الجزء، اسأل الله أن يديم ظلاله الوارفة بالعز والمجد والرفعة.

وأخيراً في نهاية هذا التقديم تجدر الاشارة الى ترقب الجزء الرابع ـ بحول الله وقوته ـ قريباً، فلازلت عاكفاً على لملمة أطرافه وتشكيل شخصياته، وتنسيق مسوّداته، واتضرع الى المولى جل شأنه ـ ان يجعل هذا الجهد المتواضع موضع الرضا والقبول، وأن يكلله بالنجاح والتوفيق، ويشمله بنفحات لطفه وكرمه إنه أكرم مسؤول وهو حسبي ونعم الوكيل.

الكويت في

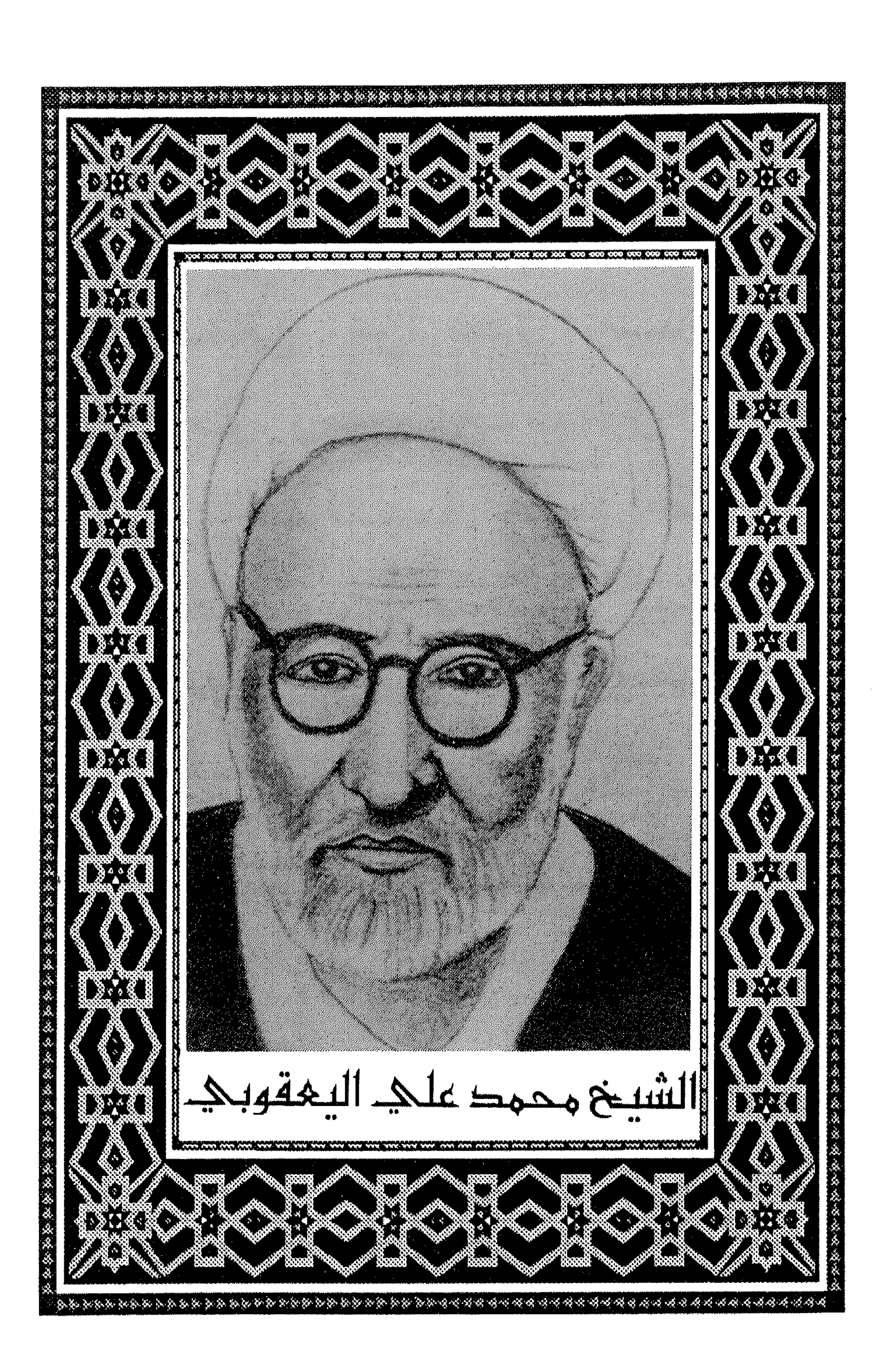
٢٨ محّرم الحرام ١٤١٧ هجـ

١٩٩٦/٦/١٥ م



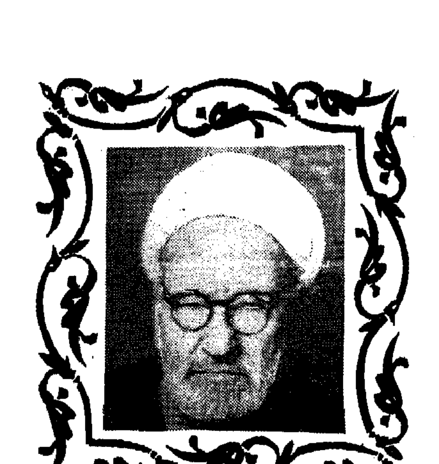
خطباء في ذمة الخلود





الشيخ محمد علي اليعقوبي





الشيخ محمد علي اليعقوبي

من فطاحل المنبر الحسيني ومن اساطين الخطابة وجهابذة الأدب العربي وعمالقة الفن والتحقيق العلامّة الكبير والخطيب القدير الشيخ محمد علي اليعقوبي طاب ثراه الذي تربّع على عرش إمارة المنبر الحسيني ردحاً من الزمن، وتسلم زمام عمادته حيناً من الدهر كان شيئاً مذكوراً.

الشيخ اليعقوبي هو الطاقة الملخصة لجهود السابقين، والتلخيص المختصر والعصارة المركزة والخلاصة المكثفة للادب والخطابة والتحقيق، حتى أصبح بحق «شيخ الخطباء» ولازمه هذا اللقب حتى إذا اطلق ولم يقيد ينصرف اليه تلقائياً ويتبادر إلى شخصيته ويؤشر إلى اختصاصه به دون سواه بكفاءة وجدارة واستحقاق.

وليس بين أيدينا من الوثائق المسموعة أو المرئية مانستطيع معه أن نرسم صورة عن اسلوب الخطابي، ونعطي فكرة عن

قدراته ومواهبه المنبرية الذائعة، بيد ان تواتر النقل واجماع الخبراء والمتخصصين إلامن شذ منهم ممن عاصره واستمع قراءته وتذوق أسلوبه وتأثر بفنه أجمعوا على ان شيخنا المترجم من عباقرة الخطباء الحقيقيين الذي لهم دوّي في المسامع بسحر البيان وسلاسة العرض وسعة الاطلاع.

وطالما سمعت ثناءاً واعجاباً مقروناً بالاجلال والاكبار من شخصيات لامعة ورموز دينية معاصرة كالمرحوم الشيخ أسد حيدر والمرحوم السيد عبد الزهراء الحسيني الخطيب، وسماحة الإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين وسماحة السيد فضل الله وغيرهم من الجيل الناقد البصير الذي عاصر اليعقوبي، وبعد هذا الاجماع فلا يعتنى ببعض الاقوال الشاذة والنظرات السلبية التي تنظر دائماً بعين ساخطة إلى الشخصيات ذات الثقل والخطورة في الإبداع والعطاء والتخصص.

وقد سألت - مرّة - أحد أعلام المنبر عن مستوى اليعقوبي ودرجة قراءته وكفائته المنبرية؟ فامتعض واستخف واوحى تلميحاً وتصريحاً انه ليس بشيء!! وهذا خلاف الاجماع والله العالم.

ومما يثير الغرابة والتساؤل في هذا الصدد ان شيخنا المترجم أحدث دوّياً صاخباً، وموجة من الحزن والأسى عند رحليه إلى دار الخلود، وقد تفاعلت مع ذلك النبأ المؤسف والخطب الجلل شتى الطبقات الاجتماعية والدينية والسياسية، وتبارى الأدباء والشعراء

والعلماء والخطباء والمثقفون والسياسيون وسائر الشخصيات الاجتماعية ومختلف المؤسسات والجمعيات مشاركين في محافل تأبينه ومجالس عزاءه وفاتحته حتى ألفت بذلك المؤلفات وكتبت المجلدات واتخمت الصحف والمجلات.

وقد تتبعت السجلات التي ضبطت تلك المحافل ودونت ذلك الزخم الهائل من الكلمات والقصائد من قبل أسماء لامعة وشخصيات بارزة في الحياة الدينية والاجتماعية والرسمية. فلم نلمح لبعضهم شخصاً ولم نسمع لهم صوتاً، وربما حالت ظروف خاصة أو شخصية دون المشاركة في مراسم تأبين وتخليد عمد من أعمدة المنبر، وركن من أهم أركان الخطابة الحسينية المعاصرة.

أجل تصفحت واستقرأت وتتبعت ماكتب عن الشيخ اليعقوبي وإذا أنا أمام بحر خضم متلاطم الأمواج هادراً زاخراً بالالئ والدرر والعظات والعبر التي صاغتها أنامل رجال البلاغة والبيان ورصعتها باللؤلؤ والمرجان وقدمت فيها أحر التعازي وأصدق معاني الصبر والسلوان.

رأيت رجال الأدب قد اشرعوا أسنة أقلامهم، وامتشقوا صقيل كلماتهم، وشمّر رجال العلم والثقافة عن سواعد الأبداع فدونوا مذكراتهم وانطباعاتهم وماجادت به قرائحهم من أدب جزل وصور معبّرة، فوقفت حائراً مكتوف الأيدي أمام هؤلاء العمالقة الذين افرد المرحوم الاستاذ الشيخ موسى اليعقوبي ـ نجل

المترجم له ـ مجلداً ضخما في عدد خاص من مجلة الايمان النجفية التي كان مديرها المسؤول وصاحب امتيازها تجاوز الأربعمائة صفحة من القطع الكبير أحصى فيه واثبت تلك العواطف الجياشة والوثائق الهامة في الأدب والتاريخ والتراجم التي دونتها أقلام رموز الأدب وأعلام الثقافة ورجال العلم والمعرفة وقد تصدى أخيراً سيادة الدكتور السيد عبد الصاحب الموسوي فقدم رسالة جامعية نال بها درجة الدكتورا في الشيخ اليعقوبي واخرجتها مطابع كندا ثم أعيدت طباعتها في المطابع الايرانية. وماذا عساني اكتب بعد هؤلاء العمالقة ودراساتهم المستفيضة، فإنه حتماً سوف يكون الكلام مكرراً والحديث معاداً بأسلوب وبآخر وبذلك هدر للوقت دون جديد، وليس لي إذا أردت أن انفرد بدراسة مستقلة إلا أن انتزع من هؤلاء الاساتذة ما أصنع منه مزيجاً وأستل من إنتاجهم وجهودهم باقة ملونة عابقة بنفحات الخصال اللامعة لخطيبنا الكبير وهذا مايحتاج إلى وقت وجهد لا أرى ضرورة لتجميد العمل ريثما تتم هذه الدراسة المطولة التي رأيت أن الاكتفاء بما كتب احجى.

وعندئذ لابد لي من الركون إلى دراسة افردتها جمعية الرابطة مع حذف أو زيادة أو تغيير طفيف لايمس جوهر الترجمة تقتضيه منهجية الكتاب ومراعاة الظروف الراهنة، والعهدة فيما ورد عليهم حيث اني لم التق الشيخ المترجم و لم استمع لمجالسه ولا

أعرف عنه شيئاً إلا عن طريق آثاره وآراء معاصريه وأقــوال عــارفي فضله ومقوّمي شخصيته.

مولده ونشأته:

ولد شيخنا المترجم في منتصف شهر رمضان سنة ١٣١٣هجـ في مدينـة النجـف الاشـرف وفي نفـس تلـك السـنة هـاجر والـــده المرحوم الشيخ يعقوب الحاج جعفر الى مدينة الحلّة لظروف قاهرة.

فنشأ شيخنا المترجم في مدينة الحلة الفيحـاء... المدينـة العربيـة العريقة المزدهرة بنوادي العلم ومحافل الأدب. وفي سنة ١٣٢٢ وهو في التاسعة من العمر شـرع يتعلـم القـراءة والكتابـة ونسـخ الخـط، وكان لايعطيه مؤدبــه إلا القطـع الشـعرية المختـارة كهائيـة الشـيخ كاظم الازري الشهيرة، ومن ثم بدأ يحفظ الكثير منها ومـن غيرهـا عن ظهر قلب.

وفي سنة ١٣٢٤ هجـ وهو بعد لم يتجاوز الحادية عشـرة مـن عمره رأى والـده الشـيخ يعقـوب رغبتـه الملحـة في الادب وحفـظ الشعر فبدأ يعمـل علـى توجيهـه وتنميـة قابلياتـه فاختـار لـه قـراءة ديواني (الشريف الرضـي) و (السـيد حيـدر الحلـي) فعكـف علـى قراءتهما استظهار ودراسة حتى استوعب أغلب شعرهما.

وفي مجال التراجم والأدب أرشده بادىء ذي بـدء إلى مطالعـة (وفيات الأعيان) لأبن خلكان، هذا بالاضافة إلى ما كان يلقيه عليه من دروس في النحو والصرف والمعاني والبيان والبديع.

وفي الوقت نفسه رأى والده أيضاً ميولـه الشـديدة إلى سـلوك طريق الوعظ والارشاد عن طريـق المنـبر الحسـيني فـأخذ يرتـب لـه المواضيع الدينية والمحاضرات الأخلاقية والتاريخيـة أشباعاً لرغبتـه في الخطابة المنبرية كما والزمه في كل يوم بحفظ قصيدة أو مقطوعة من المراثي الحسينية لمشاهير الشعراء المجلـين في هـذه الحلبـة لينشـدها في جامع العلامة السيد محمد القزويني بعـد فراغـه مـن تأديـة الصـلاة، وكان خلال ذلك يلقى من السيّد القزويني كل تشجيع ورعاية ممـا حرضـه علـى مواصلـة الجهـد ومضاعفـة السـعي في حفـظ الشـعر والمواضيع المنبرية ومن هنا بدأ ارتقاؤه للأعواد وبدأت خدمته لأهل البيت التي واصلها ـ بكل فخر واعتزاز ـ طيلة ستين عامـاً من عمـره الكريم.

وبتوجيه من أبيه وتشجيع السـيد القزويـني أزدادت رغبتـه في الأدب فأخذ يتردد على محافل العلماء وأندية الادباء ـ ومـا أكثرهـا يومئذ في الفيحاء ـ فكانت تلـك النـدوات أشـبه بـالمدارس الادبيـة والمعاهد الثقافية التي يتخرج فيهـا فطـاحل العلـم وفرسـان الادب، فصقلت تلك الاندية مواهبة وفتحت أكمـام قابلياتـه وحببـت إليـه الادب فأنصرف إليه حتى أصبح من أعلامه وأقطابه.

وفي سنة (١٣٢٩) توفي المرحوم والده فأنقطع حينذاك إلى ملازمة العلامة السيد محمد القزويني فغمره برعايته وأفاض عليه من علمه الغزير وأدبه الجم وثقافته الواسعة وأخلاقه الكريمة وكان يوليه عناية فائقة ويدأب على تعليمه وتوجيهه وذلك بما يمليه عليه من محاضرات مرتجلة تجمع بين الفقه والأصول وتفسير القرآن الكريم والأدب واللغة والنقد والتاريخ. فكان السيد القزويني مدرسته التي نشأ في حجرها ورضع صفو درها حيث كان عليه جل تحصيله العلمي والأدبي.

وخلال ملازمته وتلمذته على يد السيد القزويني تعرف على جماعة من علماء النجف الأعلام وأدبائها المشهورين كالعلامة السيد حسين القزويني والمجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي والعلامة الشيخ علي كاشف الغطاء وولده الحجة الشيخ محمد الحسين والسيد رضا الهندي والشيخ جواد الشبيبي وولده المرحوم الشيخ محمد الرضا وأضراب هؤلاء ممن كانوا يفدون على الحلة وينزلون في ضيافة السيد القزويني. وكان يحظى بأعجاب وتقدير كل من يتصل به من هؤلاء الفطاحل الاعلام ما كان يتحلى به من القابليات والمواهب. واتفق مرة للعلامة الشاعر الشهير السيد رضا الهندي أن زار الحلة سنة ١٣٣٣ هجـ فكتب بعد رجوعه إلى شيخنا المترجم ــ وهو يومئذ لم يتجاوز العشرين عاماً ــ رسالة مصدرة بالأبيات التالية:

رسـالة صـب بعيـد الوطـن — قليـل العـزاء كثـير المحـن
بتذكـاره لليـاليكم — يكـاد يجـن اذا الليـل جـن
يسـر ويعلـن أشـواقكم — فطـاب بكـم سـره والعلـن
ولمـا تملكتـم مـن لنيـد — لقـاكم هـواي بـأغلى ثمـن
طلبـت من الدهـر لقيـاكـم — فمـنَّ قليـلاً بـه ثـم مـن

وفي ذلك العهد كان السيد القزويني يساند الحركة الديمقراطية ويؤازر جمعية الاتحاد والترقي ضد السلطة الاستبدادية الحميدية فكان شيخنا المترجم ـ وجماعة من أقرانه ـ مولعين بتتبع تلك القضايا فيتابعون سيرها وتطورها ويتلقفون ما يصل إلى أيديهم من الجرائد البغدادية آنذاك (الزهور) و(الرقيب) و(الزوراء) و (صدى الاسلام)، ومجلة (العرفان) اللبنانية فيقرأونها بشغف وتكتم واستخفاء لابتعاد الناس يومذاك عن كل حركة تجددية.

ولما اختل نظام الحكم التركي في الحلة ـ على أثر ثورة الاهلين على الحكومة المحلية أواخر سنة ١٣٣٣ هجـ بحيث صار الاهالي يحكمون أنفسهم بأنفسهم ـ كما اتفق مثل ذلك في كل من النجف وكربلاء ـ خرج شيخنا المترجم مع عائلته مهاجراً إلى قرية (جناجة) قرب (طويريج) على ضفة (الهندية) اليسرى. وفي تلك الفترة هاجر من كربلاء إلى (جناجة) أيضاً الشاعر العراقي الشهير الحاج محمد حسن أبو المحاسن فراراً من حوادث كربلاء فأقام في تلك الفترة بقرية (جناجة) التي كانت قاعدة لأملاكه فانتهز

شيخنا المترجم فرصة وجوده مع أبي المحاسن فدرس عليه شطراً من الأدب واستفاد الكثير من مجاميعه المخطوطة الذي كانت تحتوي على المختار من آثار أدباء كربلا وبغداد والنجف، كما استنسخ الكثير منها وبصورة خاصة ديوان شعره الذي نسخ كثيراً منه، وحين رأى أبو المحاسن ولع المترجم في مجاميعه وديوانه أنشأ فيه هذين البيتين:

وصاحب عاشرني مدة ... فكان من خيرة اصحابي
يصبو إلى شعري فلا بدع أن ... سميته (الصاحب) و (الصابي)

وحين نشرت الصحف آنذاك نبأ انزال بريطانيا قسما من جنودها في سواحل ايران الجنوبية وكانت روسيا قد احتلت القسم الشمالي منها مما دفع المترجم إلى نظم قصيدة عامرة يستنهض فيها ايران للدفاع عن كيانها واستقلالها ونشرت في جريدة (الزهور) البغدادية. ومطلعها:

أما آن يا ايران ان تعلن الحرب ... فقد جلت البلوى وقد عظم الخطب

فقرضها أبو المحاسن بمقطوعة رقيقة منها قوله:

لقد قرظت أذني منك قصيدة ... كأن مجالي نظمها اللؤلؤ الرطب
ومن راح يصبو للغواني فأنني ... لنظم (علي) القدر بين الورى اصبو
(محمد) الشهم (العلي) مقامه ... هو السيف مصقول الغرارين لاينبو

له قلم قد حل باريه صنعه هو الاسمر العسال والمرهف العضب
اذا خمدت افكار قوم فانه لذو فكرة تذكو ضراما ولا تخبو

دوره في الجهاد:

وحين نفر المتطوعون للجهاد من مدن العراق وعشائره للدفاع عن البلاد واسترجاع البصرة بعد سقوطها بيد الانكليز بقيادة العلامة المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي في أواخر المحرم من سنة (١٣٣٣) هجـ وشيخنا المترجم يومئذ في مدينة (السماوة) بحكم مهنته المنبرية وكان متحمساً للقضايا الوطنية ومندفعاً للانضواء تحت راية الجهاد هذا بالاضافة إلى مواهبه وقابلياته وصفاته الكريمة التي اكسبته ثقة علماء الدين الاعلام فما كان الا أن زوده السيد الحبوبي بكتاب يأمره فيه بتحريض عشائر (السماوة) و (الرميثة) على الأنضمام في صفوف المجاهدين إلى أن كان ما كان من الاندحار واستيلاء الانكليز على (الناصرية) بعد وفاة العلامة المجاهد السيد الحبوبي فيها في شهر شعبان من تلك السنة، وكان المترجم لايزال أثناء ذلك مرابطاً مع القوم إلى ان حل شهر محرم الحرام من سنة ١٣٣٥ هجـ فوردت الانباء من الحلة بوفاة العلامة السيد محمد القزويني ودخول (عاكف) إليها وما ارتكبه جيشه فيها من الفظائع التي اوغرت صدر الشعب العراقي على الأتراك وانتهت بجلائهم عن العراق، فلم يرالمترجم بدأ من

الرجوع إلى الحلة فوجدها محاصرة بالجيش التركي في الداخل والخارج وما كان يستطيع الدخول إليها ولا يحلم بالنجاة من الحكم بالاعدام بتهمة أنه أحد الفارين من (الجندية) لو لم يكن محتفظاً بكتاب السيد الحبوبي فدخل الفيحاء ورأى بعينيه آثار الدمار والفتك الذريع بمعالمها ووجد دار سكناه منهدة الارجاء وقد أودى الخراب والحريق بما فيها.

وبعد سقوط بغداد في أواسط سنة (١٣٣٥) عاد إلى النجف الاشرف فألقى فيها عصا الترحال ليستجم من عناء تلك السنين المرهقة، إلى أن شبت نيران الثورة العراقية في الفرات الاوسط والتي كان شيخنا الفقيد يخوض غمارها حيث شهد معارك (الهاشمية) ونواحيها نظراً لما بينه وبين زعماء تلك الاطراف من روابط قديمة وعلائق أكيدة وكانت مواقف الثوار يومئذ في الجهة الغربية على الضفة اليمنى من فرات الحلة وتقابلها جماهير الثوار المرابطة حول قرية (الحصين) على الضفة الشرقية اليسرى التي كان يتوسطها السيد أبو القاسم الكاشاني والشيخ محمد جواد الجزائري وغيرهما من رجال الدين لتنظيم الهجوم على مراكز العدو في الحلة. وقد الهبت تلك الثورة عواطف الفقيد فتفجرت قريحته بعدة قصائد حماسية منها قصيدته الشهيرة التي نظمها سنة ١٣٣٨ هجـ والتي منها قوله:

أجبتنا بساحات الكفاح ... ثقوا بالنصر فيها والنجاح
سمحتم بالنفوس لها فكنتم ... مثالا للشجاعة والسماح
زأرتم كالأسود غداة رامت ... تروعها الاعادي بالنباح
وكيف تطيب في الدنيا حياة الـ ... ـفتى في ظل شعب مستباح
وخير من رجال في قصور ... شباب يستظل شبا الصفاح
وما سيان كأس دم الاعادي ... وكأس طلى يطاف به وراح
كتبتم بالدماء سطور مجد ... نواصع مالها في الدهر ماح
بها تتبجح الاجيال فخرا ... وتطريها بألسنها الفصاح
بها ابتهجت نواحي الشعب بشرا ... (ولندن) منه باكية النواحي
فان لم ألق بينكم حمامي ... عسى احظى بتضميد الجراح

وبعد اندحار الثوار والشروع بالمفاوضات وتأسيس المملكة العراقية غادر شيخنا المترجم النجف إلى الكوفة بحكم مهنته المنبرية ونزولا عند الحاح أهلها فقضى فيها بضع سنين وبعد ذلك ألزمه آية الله المغفور له السيد أبو الحسن الاصفهاني بالنزوح إلى مدينة (الحيرة) والاقامة فيها لاسباب اصلاحية استدعتها ظروف تلك المدينة فقضى فيها فترة من الزمن استوحشته خلالها اندية النجف الادبية وافتقدته أعوادها الحسينية مما دفع الشاعر الكبير الاستاذ محمد مهدي الجواهري إلى ان يكتب له رسالة يبثه فيها شوق

الاندية الأدبية إليه ويستحثه علـى العـودة إليهـا ليوقـظ الأدب مـن هجوده وصدرها بقصيدة غراء منها قوله:

هجـرت الديـار فقلنـا العفـاء لربـــع الســـرور وزواره
وبـت بليـل لفـرط الاســى كليـل الضجيـع علـى نـاره
وظـل يحـن فـؤادي المشـوق لذكـر الحبيـب واخبـاره
ولـو بنـت لابنـت عـن ذا المحيـط لضـاق علـي باقطـاره
اطلـت المقـام الا عـودة تحيـي الغـري بـأنواره
لعمـري اسـاء اليـك الصنيـع زمـان يشـاب بـأكداره
كـذا الدهـر كـم شـاد مـن خـامل وحـر تصـدى لانكـاره
علـى الرغـم تبـدو وان رام أن يغطيـك في مـوج تيـاره
تنـم بطيـب شـذاك البـلاد كمـا الـروض فـاح بأزهـاره
بعيشـك شـاطر فـؤادي الهمـوم فقـد ضـاق صـدري بأسـراره
فمثلـك ينهـض قطـر العـراق ويجمـع أشـتات احـراره
فـلا تحـرم الشـرق مـن مقـول تـروع عـداه بيتـاره
دعـوا ودعيـت لنظـم القريـض فكنـت السـبوق بمضمـاره
فهـل أنـت تغنمهـا فرصـة فتنهـض قطـرك مـن عـاره

وبعد ذلك عاد شيخنا المترجم إلى النجف حيث طلب إليه آية الله السيد ابو الحسن العودة اليها وحيث كانت الحركة الأدبية الناهضة في النجف تستحثه إلى ان يكون في رعيلها الأول، وهو في

هذه الفترة قد تألق نجمه الخطابي حيث أصبح الخطيب الأول الذي بز جميع اقرانه بمحاضراته القيمة التي كانت تستهوي النفوس وتجتذب القلوب بما فيها من أدب وتأريخ وظرف هذا من جانب، ومن جانب آخر عكف على البحث والتأليف واستيعاب كتب الأدب والتراجم التي استهوته منذ صغره فكان الخطيب المفوه، والباحث المتتبع، والمؤلف القدير، والأديب المبرز، والشاعر المجلي مما جعل اسمه يتردد في شتى انحاء المدن العراقية والبلاد العربية والإسلامية.

تأسيس الرابطة الأدبية:

وفي تلك الفترة كانت الحركة الأدبية والنهضة الثقافية النجفية في عنفوانها فتداعى كبار الادباء في النجف ـ وفي مقدمتهم فقيدنا الراحل ـ إلى تأسيس رابطة أدبية تجمع شمل الادباء وتعمل على تطوير الأدب والنهوض به فكان ان تم تأسيس (جمعية الرابطة الأدبية) سنة ١٣٥١ هجـ التي تعتبر أول مدرسة أدبية في تاريخ العراق الحديث والتي كان لها الفضل الأكبر في تخريج نخبة كريمة تعتبر من ألمع شعراء العراق في العصر الحاضر، كما كانت بحق تمثل وجه النجف الأدبي بما تشارك فيه من مناسبات وتقيمه من احتفالات في المواسم الدينية والوطنية، أو فيما تقيمه من محافل التكريم للوفود الأدبية والعلمية والسياسة.

وبعد فترة وجيزة من تأسيس (الرابطة) انتخبه أعضاؤها بالاجماع عميدا لها تقديرا لمكانته الأدبية واعترافا بمنزلته العلمية وبقي يتجدد انتخابه عميدا لها إلى ان لبى نداء ربه الكريم.

مشائخه في الاجازة:

كان شيخنا الفقيد عالما جليلاً وباحثا كبيراً اجازه جماعة من كبار العلماء نذكر منهم الحجة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء والحجة الشيخ اغا بزرك الطهراني والحجة السيد صدر الدين الصدر الكاظمي والعلامة السيد حسين القزويني الحائري والعلامة السيد هبة الدين الشهرستاني وكل تلك الاجازات محفوظة في مكتبته بخط أيديهم وهي ان دلت على شيء فانما تدل على احرازه ثقة العلماء فيه واعترافهم بفضله، ومن هنا فقد كان رحمه الله ـ لسان علماء الدين الاعلام الذي يعبر عنهم في مختلف المجالات، وصوتهم المدوي من فوق المنابر في مختلف الظروف منذ نصف قرن من الزمن.

صفاته وأخلاقه:

كان ـ رحمه الله ـ يمتاز بدماثة الخلق، وعفة اللسان، ورقة الطبع، ونقاء السريرة، والتواضع الجم مما جعله محببا ومقدرا لدى

جميع الطبقات بالاضافة إلى ذلك كان سخياً بنفسه، لايمنعها عن قضاء مصالح الناس، وبذل الكثير من أوقاته في تكاليفهم، فهو لم يتوان حتى في أيام شيخوخته ومرضه عن الاستجابة لما يطلب منه في التوسط وحل المشاكل، والاصلاح وغير ذلك من الخدمات العامة التي يتطلبها المجتمع.

ولو حاولنا سرد مايتحلى به من الصفات الكريمة والتي تدل على انسانيته لخرجنا عن حد الاختصار، ويكفي انه كان مثالا للانسانية الذي يحمل في نفسه روحا طيبة اتصفت بالكثير من نواحي الكمال.

أسفاره:

وبالرغم من ضعف بنيته، فقد كان بعلو همته يواصل سفره إلى الخارج كلما واتته الظروف وساعدته على ذلك صحته.

وفي مقدمة اسفاره تلك، هو توفيقه إلى زيارة بيت الله الحرام (مكة) لأداء فريضة الحج، والتشرف بزيارة قبر الرسول الكريم (ص) وعترته الطاهرة، كما زار بيت المقدس في الاردن، وسوريا ولبنان، وايران للاطلاع والتعرف، والتشرف بالعتبات المقدسة.

وكذلك شد الرحال إلى (باكستان) لحضور مهرجانها التاريخي الخالد بمناسبة مرور ثلاثة عشر قرنا على ولادة الامام

علي(ع) تلبية للدعوة التي وجهت إليه بهـذه المناسبة. فرفع هناك صوت الإسلام مدويا هو ونخبة من أقرانه من أهـل العلـم والفضـل والأدب من أعلام النجف الاشرف وبغداد والكاظمية.

آثاره ومؤلفاته:

وفي خلال حياته الكريمة، خلف فقيدنا الغالي مجموعة مـن آثاره ومؤلفاته العلمية والأدبية والتأريخية، والتي تشهد كلهـا بتتبعـه العلمي والأدبي وتعمقه في البحث والتحقيق.

ولقد طبع من هذه المجموعة عدد لايستهان بـه كـان موضـع تقدير واكبار كافة الاوساط العلمية والأدبية.

أ ـ آثاره المطبوعة:

١ ـ (المقصورة العلية): وهي قصيـدة تنـاهز الـ (٤٥٠) بيتـا بزفيها مقصورة ابن دريد الشهيرة. وهي في سـيرة الامـام علـي بـن ابي طالب(ع) وقد طبعت سـنة ١٣٤٤هـ وقـد قرضهـا نخبـة مـن العلماء، والشـعراء شـعرا ونـثرا منهـم الحجـة الامـام الشـيخ محمـد الحسين آل كاشف الغطاء والعلامة الشـهير السـيد رضـا الهنـدي، وشاعر العراق في عصره الشيخ محمد حسـن أبـو المحاسـن والحجـة

الشيخ عبد الكاظم الغبان والحجة الشيخ محمد طه الحويزي وفارس حلبة الأدب الاستاذ محمد مهدي الجواهري وغيرهم.

٢ ـ (عنوان المصائب في مقتل الامام علي بن ابي طالب(ع) طبع في سنة ١٣٤٦هـ.

٣ ـ الذخائر: وهو ديوان شعر خاص يتضمن ما قاله في أهل البيت مدحا ورثاء وقد طبع سنة ١٣٦٩هـ.

وكان ـ رحمه الله ـ يعتبر هذا الديوان في مقدمة ذخائره ليوم الحساب فأوصى بأن يدفن معه في قبره وقد نفذت وصيته فوضع هذا الديوان عند رأسه في قبره.

٤ ـ البابليات: وهو موسوعة أدبية تأريخية تقع في أربعة أجزاء تبحث عن شعراء الحلة الفيحاء وأدبائها، وبيوتها العلمية والأدبية، وأهم حوادثها التأريخية منذ تأسيسها حتى العصر الحاضر وقد طبع سنة ١٣٧٠هـ وقرضه نخبة من الاعلام كالحجة الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء والحجة الشيخ اغا بزرك الطهراني والاستاذ السيد محمود الحبوبي والخطيب الشيخ قاسم الملا وغيرهم.

٥ ـ ديوان شعره: الجزء الأول طبع في سنة ١٣٧٦هـ وبقي الجزء الثاني مخطوطا، ويعتبر هذا الديوان بحق سجلا لأحداث العراق، والبلاد العربية السياسية والاجتماعية والوطنية منذ أكثر من

نصف قرن. كما انه تعبير عن النهضة الأدبية الحديثة في العراق حيث كان المترجم في مقدمة فرسانها.

٦ ـ ديوان جهاد المغرب العربي: وقد أصدرته جمعية الرابطة الأدبية تضمن ما قاله عميدها في جهاد المغرب العربي.

٧ ـ الجعفريات: وهو مجموعة شعرية تضم ما قاله السيد ميرزا جعفر القزويني في رثاء أهل البيت وقد طبع سنة ١٣٦٩.

٨ ـ ديوان الشيخ عبد الحسين شكر: وقد طبع سنة ١٣٧٤.

٩ ـ ديوان الشيخ عباس الملا علي: وقد طبع سنة ١٣٧٤.

١٠ ـ ديوان الشيخ يعقوب الحاج جعفر (والد المترجم) وقد طبع سنة ١٣٨٢.

١١ ـ ديوان الشيخ محمد حسن ابو المحاسن: شاعر العراق في عصره واحد كبار رجال الثورة العراقية. وقد طبع سنة ١٣٨٣.

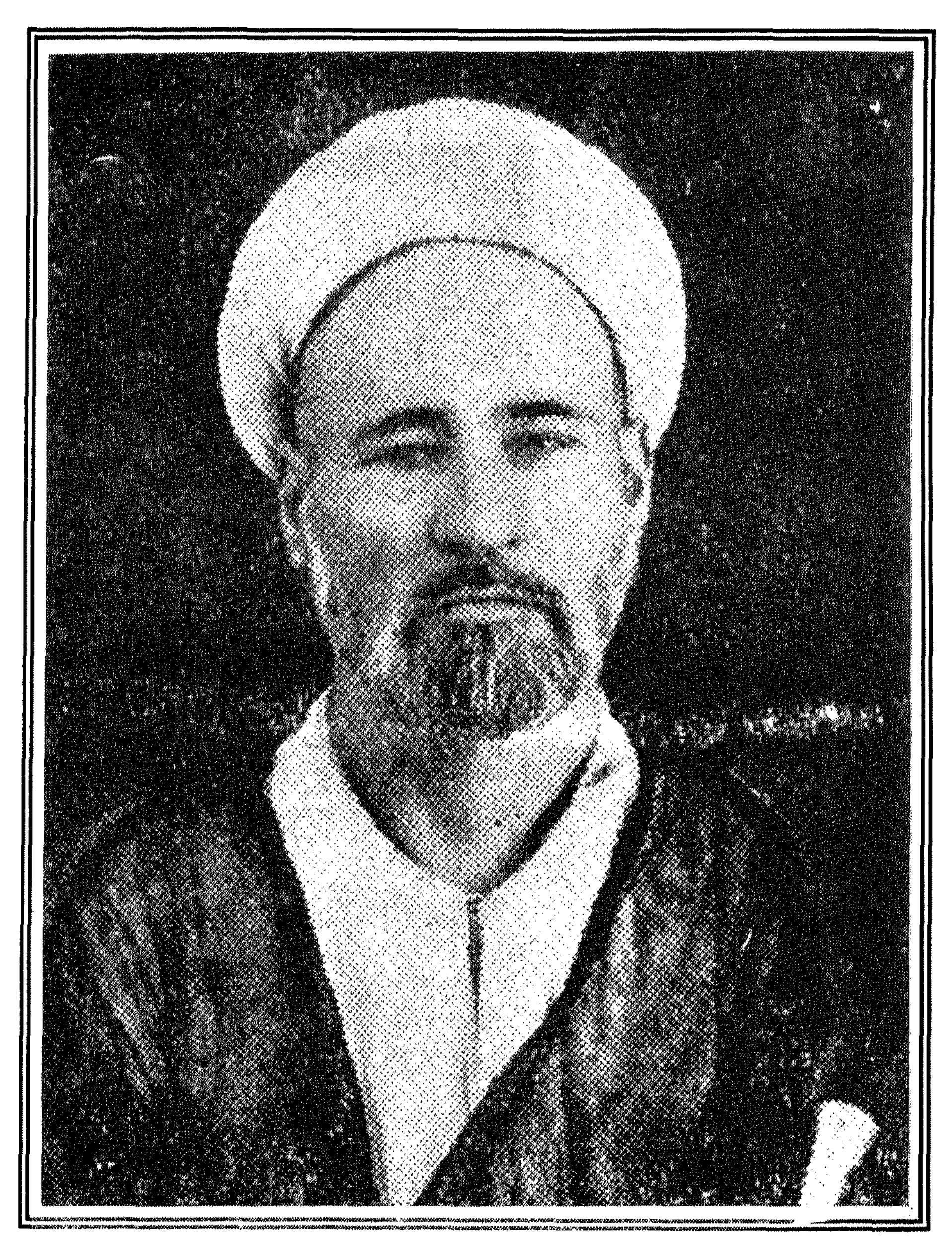
١٢ ـ ديوان الشيخ صالح الكواز وقد طبع سنة ١٣٨٤.

١٣ ـ ديوان الحاج حسن القيم الحلي: وقد طبع سنة ١٣٨٥.

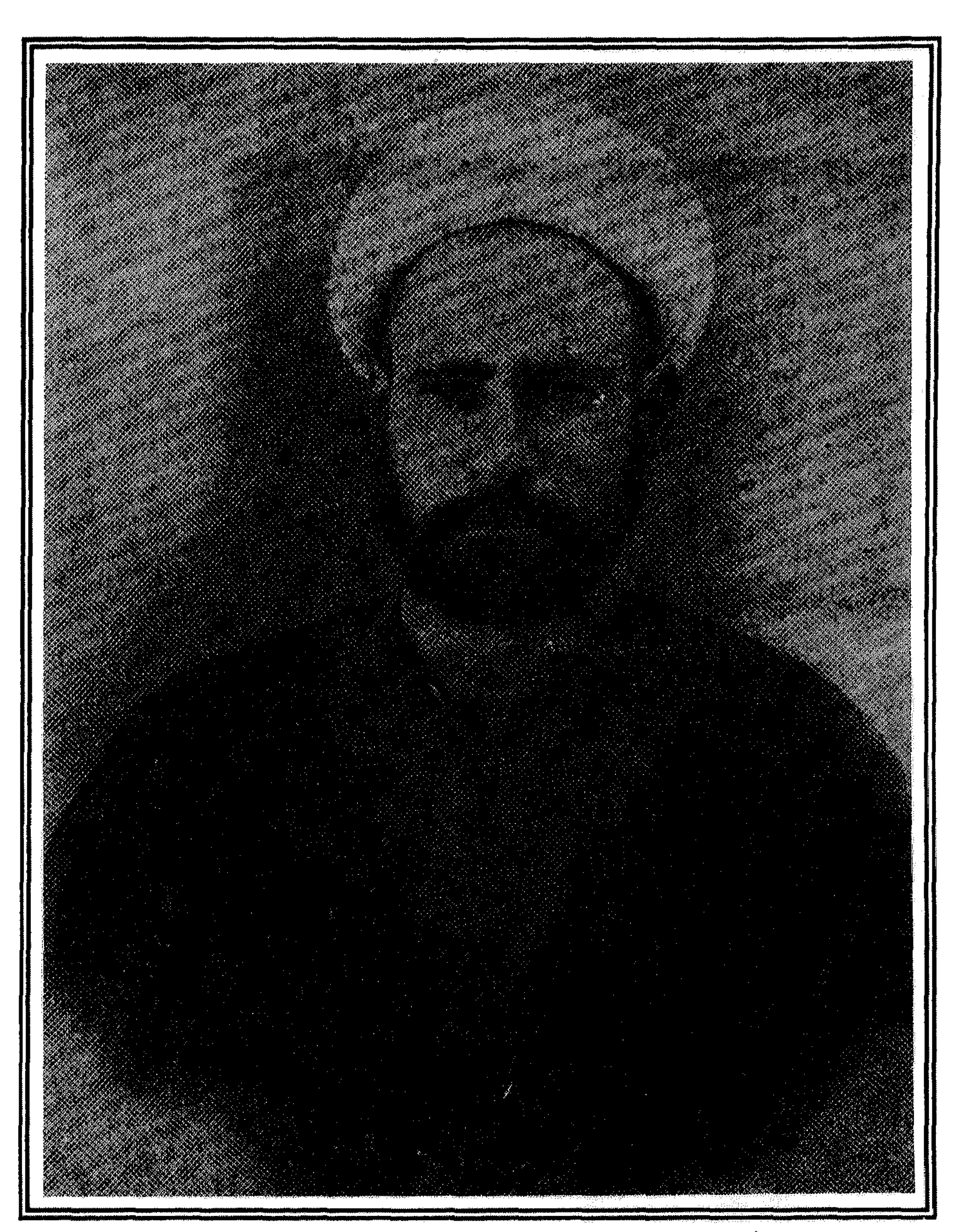
١٤ ـ نقد كتاب شعراء الحلة طبع سنة ١٣٧٢هـ.

والحقيقة ان شيخنا الراحل أحيا في أصداره لهذه المجموعة من الدواوين والمجاميع الشعرية تراثا أدبيا كبيراً كاد يندثر لولا جهوده ومساعيه. وقد كانت نيته متجهة إلى نشر دواوين شعراء آخرين

مبرزين في مختلف العصور ولكن الاجل المحتــوم لم يمهلـه لاحيائهــا، وابرازها إلى عالم النشر.



صورة المترجم في أيام كهولته



صورة المترجم في أيام شبابه

ب ـ آثاره المخطوطة:

١ ـ وقائع الايام: وهو سفر تاريخي قيم، فيه أهم الاحداث في كل من أيام السنة حسب الشهور العربية، ويقع في جزءين.

٢ ـ جامع براثا: رسالة تتضمن دراسة مستفيضة عن هذا الجامع التاريخي.

٣ ـ مع الشريف الرضي في ديوانه، ويقع في أربعة فصول: أولها ـ في ذكر شعر الشريف الذي لم يثبت بديوانه المطبوع، وثانيها ـ في الشعر المنسوب للشريف في ديوانه وهو ليس له، وثالثها ـ ما أخذه الشريف الرضي ممن سبقه من الشعراء، ورابعها ـ فيما أخذه الشعراء المتأخرون من الشريف.

٤ ـ تعليقات ومؤاخذات على معجم البلدان لياقوت الحموي.

٥ ـ تعليقات ومؤاخذات على وفيات الاعيان لابن خلكان.

٦ ـ تعليقات ومؤاخذات على كتاب (اعيان الشيعة) للسيد محسن الامين العاملي.

٧ ـ تعليقات ومؤاخذات على عبقرية الشريف الرضي للدكتور زكي مبارك.

٨ ـ تعليقات ومؤاخذات على ديوان (مهيار الديلمي) الذي نشرته دار الكتب المصرية.

٩ ـ تعليقات ومؤاخذات على ديوان (سبط ابن التعاويذي).

١٠ ـ تعليقات ومؤاخذات على ديوان الصاحب بن عباد.

١١ ـ تعليقات ومؤاخذات على ديوان دعبل الخزاعي.

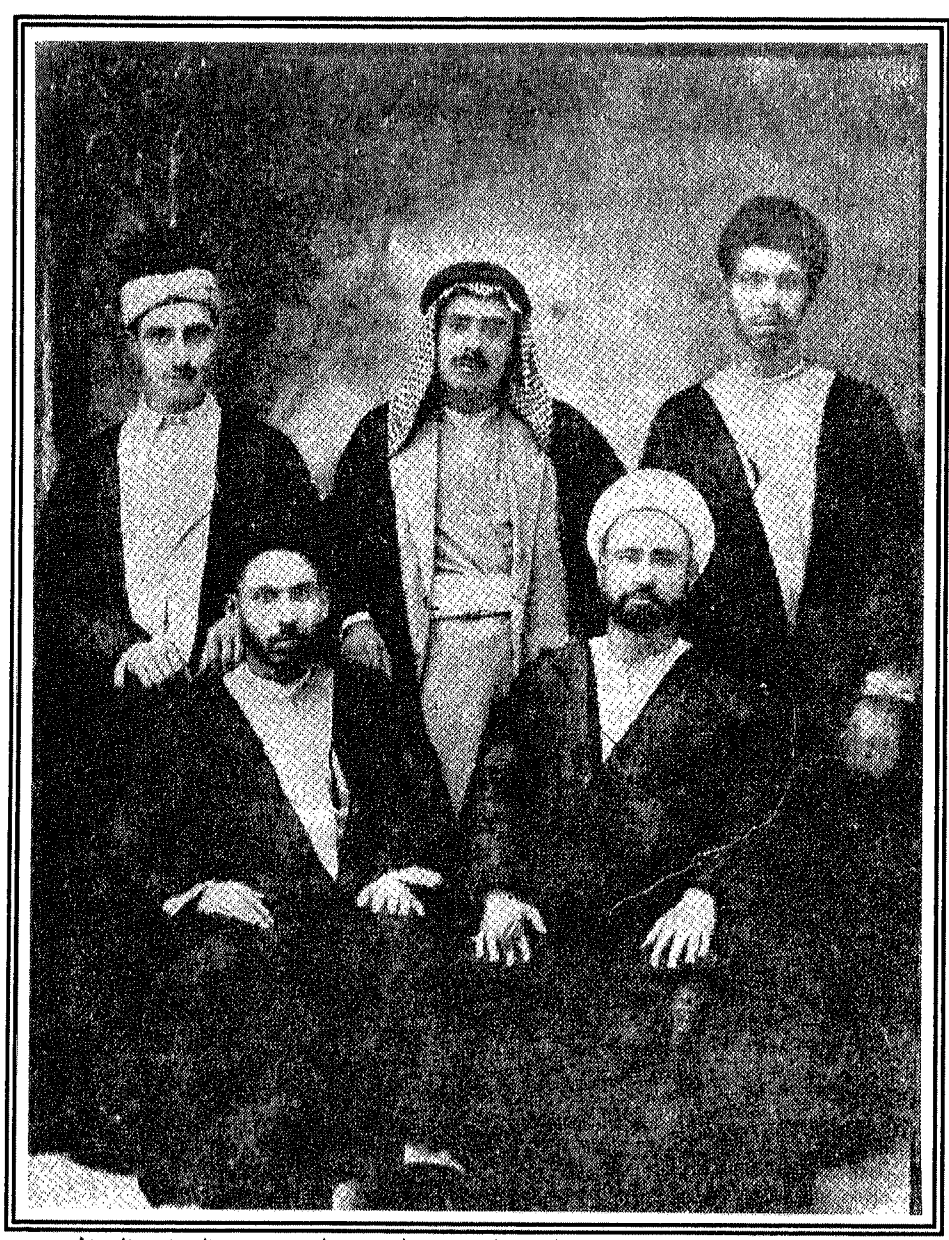
١٢ ـ تعليقات ومؤاخذات على ديوان الشيخ كاظم الازري.

١٣ ـ تعليقات ومؤاخذات على ديوان الشيخ صالح التميمي.

١٤ ـ ديوان شعره: الجزء الثاني.

صندوق اليعقوبي:

ولابد لنا من الاشارة إلى مكتبة الفقيد القيمة التي تضم المخطوطات النفيسة والدواوين الشعرية الثمينة المخطوطة لطائفة من كبار الشعراء في مختلف العصور. ويعلم اغلب القراء بما ثار حول (صندوق اليعقوبي) ـ الذي يضم تلك النفائس ـ من مساجلات أدبية نشرتها الصحف والمجلات العراقية في فترات متعاقبة.



صورة تذكارية للشيخ المترجم وقد جلس الى جنبه الاستاذ السيد عبد الوهاب الصافي ووقف خلفهما السادة الافاضل السيد نوري شمس الدين والسيد محمود الحبوبي والسيد محمد علي البلاغي صاحب مجلة (الاعتدال) وكلهم من مؤسسي (الرابطة الادبية)



صورة تذكارية للشيخ المترجم والى يساره الاستاذ سلمان الصفواني والاستاذ محمد علي البلاغي والى يمينه الاستاذ السيد عبد الوهاب الصافي والاستاذ السيد محمود الحبوبي وقد اخذت هذه الصورة في ادارة احدى المجلات في بغداد

أقوال العلماء والأدباء فيه:

كتب الكثير عن شيخنا الراحل، ودون عنه أكثر من أديب فاضل، ولسنا الآن بصدد تسجيل كل ذلك، ونحن بازاء هذه الصفحات المعدودة لذا سنكتفي بالاشارة إلى بعض الأقوال، والتي تعكس لنا قيمة الشيخ اليعقوبي ومدى ما يحمله الاعلام والادباء من اعجاب وتقدير لهذه الشخصية فقد كتب الامام الحجة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء في تقريظه للجزء الأول من كتاب (البابليات) مانصه:

«ان الشيخ اليعقوبي في كتابه هذا قد اتحف المكتبة العربية بتحفة هي خير ما انتجه هذا العصر من نوعه وسيبقى أثرا خالدا تشكره عليه الاجيال الآتية كما شكرته الاجيال الماضية التي أحيا ذكرها».

وكتب عنه العلامة المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي في تقديمه للجزء الاول من ديوان المترجم «... انه في قصائده ينوه بجهاد المجاهدين ويندد بسياسة المستعمرين الطغاة.. وله قصائد غير قليلة استوحى بها شؤون الامة العربية الحاضرة وشجونها، واهاب بها إلى احياء مجدها وبعث حضارتها، وخص الشاعر الاستاذ شؤون العراق الداخلية وأحداثها وما وقع فيها على عهده من رجات واضطرابات.. وفي قصائده نقد لاذع لاساليب السياسة

الغاشمة ومناهجها المتبعة في العـراق... إلى أن يقـول فيهـا: ان هـذا الشاعر المجيد على جانب كبير من التعفف والاباء وهو من شعراء العراق الموهوبين وخطبائه المعروفين وانه جبل على كثـير مـن كـرم النفس وشرف السجية فهو لايتملق ولايتصنع بأدبه ولاتغريه بـروق المطامع وقد قنع اليعقوبي من عيشه بما تدره عليه محاضراته ومجالسه الشعبية، وتلك الخطب التي طالما اهتز لها السامعون...».

وكتب عنه الحجة المجاهد الشيخ عبد الحسين الاميني في كتابـه ـ الغدير ـ في شعراء القرن الرابع عشر مانصه: الشيخ محمد علي بن الشيخ يعقوب بن الحاج جعفر بن الشيخ حسين الحلي النجفي:

هو قاموس الأدب، ولسـان العـرب، وخطيـب العصـر الفـذ، واحد امراء الكلام، ان خطب ابهج، وان نظم اطـرب، وان سـامر سر، وان قال اتقن، والغالب على شعره المتانة والجزالة، في سلاسـة وانسجام، وهو من المكثرين المجيديـن، ولـه في أهـل البيـت الطـاهر صلـوات الله عليهـم قصـائد رنانـة، مدحـا ورثـاء، طبعـت منهـا (مقصورته العلية في السيرة العلوية) يباري بها مقصورة (ابن دريد) ومستهلها:

صبـا لنعمـان وايـام الصبـا	صب اذا مـاهبت الريح صبا
يزيـده الـبرق اللمـوع وامضـا	شوقا إلى عهد بنعمـان مضـى
يحـق للعيـش الـذي فيـه حـلا	بقرب مـن يهواهـم ثـم خـلا

وقد ساعدت المترجم له اليعقوبي على تضلعه في الأدب الرائق، بيئته الحلة الفيحاء، التي هي منبت الأداب والفضائل، ومغرس العلم والكمال منذ مصرَّت فانك ان سبرت تاريخها المجيد، من ذلك الامد البعيد، فلا تجد بين أحقابها واعوامها الا افذاذا من حملة الفقه، واساتذة من أئمة العلم وزرافات من صاغة القريض، وزمرا من صيارفة الكلام، ونقاده وانت إذا جلت في نوادي المدينة ومجتمعاتها فأيسر شيء لك ماتراه فيها من أرواح مزيجها الاريحية، ونفوس نزاعة إلى الأدب العربي، اعناق متطلعة للنظر إلى ذلك الجمال المبهج، وألسنة مدمنة لترتيل حروف الشعر، وتجويد أبياته، وافراغه إلى بوتقة النظم، وهنالك زعماء ومشايخ يحبذون لهم تلك الخطة القويمة، بالاصاغة لمايتلى منه والانصات له، وتطلب نظمه في الموارد المناسبة له والاثابة والاستحسان والاستعادة إلى غير هذه من معاني التشويق كل ذلك بعد قضاء من هوائها النقي ومائها الفرات وتربتها المربية.

وان لم يتأت لك ان ترى تلك الفئة الزاكية من كثب، أو انه حالت بينك وبينها المنايا فعليك بكتاب (البابليات) للمترجم له اليعقوبي فلقد جمع فأوعى من تراجم القوم والمختار من شعرهم، مايكون ألقا في جبين الدهر، واثرا خالداً له ولهم الذكر الجميل.

وكتب عنه الكاتب الشهير الاستاذ محمد علي الحوماني في كتابه (وحي الرافدين) في الرسالة التي وجهها إلى شيخنا المترجم

والتي صدرها بقوله: «الشيخ محمد علي اليعقوبي من علماء العرب وأدبائها وخطبائها المصاقع وأحد خريجي جامعة النجف، يتخصص للخطابة في الذكرى الحسينية في هذه المدينة ويكاد يكون العلم الفرد في هذه المهنة». ويكتب رسالته الثالثة والعشرين عن الشيخ المترجم وهي تنيف على عشر صحائف منها قوله: «عزيزي الخطيب المفوه اني لاكبر فيك سلامة الذوق وحسن التخير وبراعة الاسترسال في خطابك ثم الروعة كل الروعة في خلوصك من الحكمة إلى الفن، أما فصاحتك وبلاغة المنطق فيك فغنيّتان عن البيان ان أطريهما وأدل عليهما بين فكرك ولسانك وليس من السهل ان تتوفر في الشخص هذه الخلال ولعلنا نتصفح ملايين الرجال ثم لانعثر على الرجل الذي يجمع العلم والأدب إلى الفن والأريحية كما جمعتها أنت في شخصك. ثم يدل عليه ذكاؤك وبعد نظرك وجامعتك الكبرى التي تطرفنا منها بما يملأ صدورنا عظة وعبرة. وأدب ينم عليه ذوقك وطراز حديثك الطريف فيما تتخير من سير وعبر...».

وكتب عنه الاستاذ الكبير محمد عبد المنعم خفاجي في كتابه (من تاريخنا المعاصر) المطبوع في القاهرة سنة (١٣٧٧) بما نصه: «.. عميد الرابطة الأدبية في النجف الاشرف في العراق والخطيب المفوه البليغ والشاعر الوطني الجليل صاحب (ديوان اليعقوبي) الذي نشر في النجف الاشرف. والجانب الوطني في شعر اليعقوبي ضخم

متعـدد النواحـي. ويشـتمل الديـوان علـى عـدة أبـواب، وقصـائد الديوان حافلة بالطلاقـة الفنيـة وقـوة التعبـير ووضوحـه وبـاضطرام الشاعرية والخيال والعاطفة وتأجج الملكة الشعرية في نفس الشـاعر. ان اليعقوبي شخصية قوية في الشعر العراقـي المعـاصر ولـه مدرسـة يتتلمـذ عليهـا كثير مـن الشعراء المعروفـين في العـراق، وجهــوده ومؤلفاتـه وتحقيقاتـه ممـا يعـز شـأن الأدب والأدبـاء في هـذه البـلاد الشقيقة».

ولشيخنا الفقيد مطارحات ومراسلات أدبيـة المجـال مـع نخبـة من كبار أدباء العصر في العراق والبلاد العربيـة ممـا لايتسـع لذكـره المجال كالمراسلات الأدبية الـتي وقعـت بينـه وبـين الدكتـور زكـي مبارك، وبينه وبين أمير البيان شكيب ارسلان، وبطـل الريـف عبـد الكريم الخطابي، وعبد الرحمن عزام، والسيد أحمد صـافي، وبولـس سلامة، والدكتور محمد مهدي علام واضرابهم.

وقد أطراه كثير من الأدباء في العصر الحديث كالنمـاذج الـتي مرت في ثنايا هذه الترجمة. ونذكر هنا نمـاذج أخـرى ممـا قالـه فيـه بعض الشعراء فمنهم الشيخ عبد الحسين الحويـزي حيـث قـال فيـه من أبيات:

متى الكـرام بأشـواط العـلاء جـرت   كل تعقب عـن جـرى ابـن يعقـوب
(ابـو فـــراس) حبـــاه في تقرســـه   ومـن (ابـي طيّـب) قـد فـاز بـالطيب



الشيخ المترجم يدعو الناس الى نهج الحق، ويوجههم لسبيل الخير في احدى مجالسه العامة في قضاء الصويرة



المرحوم الأستاذ محمد علي الحوماني يتوسط الشيخ اليعقوبي والأستاذ السيد محمود الحبوبي مع جمع كبير من أعضاء جمعية الرابطة الأدبية

وللشيخ الحويزي أيضاً:

سلكت بواد لابن يعقوب بالثنا   تقدس ما بين الخليقة تقديسا
فان كان موسى ظل للنعل خالعا   فقلبي مخلوع بوادي أبي موسى

وكتب الشيخ الحويزي اليه أيضاً:

ان ابن يعقوب تشكل للعلا   قطبا عليه رحى الكمال تدور
ومن العجائب انه في فضله   طال الجبال الشم وهو قصير

وخاطبه الحاج عبد المجيد العطار الحلي حين فرغ من القاء احدى محاضراته المنبرية بقوله:

خلت المنابر من أبيك وأوحشت   واليوم منك زهت بخير خطيب
ارث الخطابة آل يعقوب بكم   أرث النبوة في بني يعقوب

وكتب إليه الدكتور محمد مهدي البصير الذي كان من أخدانه وأقرانه:

عليك سلام الله ما التاع من هوى   فؤادي ذاك الموجع المتفجع
لك الخير هل من رقدة تستعيرها   نواظر ليست بعد بعدك تهجع
رعى الله دهرا قد تقضى ببابل   عسى يسمح الدهر الضنين فيرجع
كأن الذي في أضلعي تحت   فما لي ـ اذن ـ الاعلى الجمر مضجع

وكتب اليه الدكتور حسين علي محفوظ في صدر رسالته يتشوق بها إليه منها:

مصقع ان تحدر اللفظ من فيه أدرت سحرا كؤوس المعاني

وبليغ ومن يكابر في (النهج) (عيا) وهل له من ثاني

فهو ان حدث الحديث ابن (عبا د) وان قصد القصيد (ابن هاني)

واذا زانت البيان معانيه شأي سابقا (بديع الزمان)

اتمنى وهل يفيد التمني ان أراه على المدى ويراني

فسلام عليك يا مطلع الفضل ويا ذروة العلا والشان

وكتب اليه الشاعر الرقيق الدكتور عبد الحسن زلزلة في صدر رسالة بعث بها اليه:

ألا ياحبذا تلك الليالي وان كانت ببهجتها قصارا

بها قد كنت للاعواد نورا به افق الفضيلة قد انارا

حبيت بذروة الشرف المعلى ونلت بطيب محتدك الفخارا

لئن جارتك قوم فهي تدري بأنك في المعالي لا تجارى

ولا عجب ألست سليل قوم زكوا أصلا كما طابوا نجارا

وكم طوقت جيد الدهر نظما وكم حكما نثرت له نثارا

يمينا يا ابن اكرم من تردى رداء العز واتزر اتزارا

بأني ما منحت سواك ودي　　لانك مفخر العرب الغيارى

وكتب اليه الحجة السيد محمد جمال الهاشمي في صدر رسالة بعث بها اليه:

وافى سلامي وتكريمي وترحيبي　　اليك فأقبله شوقا غير مكذوب
سمعت انك في الفيحاء منبثقا　　كالفجر تغمرها بالنور والطيب
فكدت لولا قيود لاتفارقني　　اسعى اليك بأرقال وتخبيب
حكيت يعقوب حبامذ عرفتك في　　صفاتك الغر يحكيك ابن يعقوب

وللاستاذ محمد علي البلاغي من قصيدة يقول فيها:

ذاك ابن يعقوب الـذ　　ي افتخرت به أم اللغات
هو رب مدرسة الفضا　　ئل والايادي الناصعات
شيخ القريض ومن تفوق　　بالقوافي الشاردات
وابو المنابر من أتى　　في فنه بالمعجزات
وأتى بأبكار الفرائد　　والمعاني الباهرات
واستخرج الدرر اللوامـ　　ـع واللآلي الغاليات
سبر القرون صحائفا　　وطوى الحوادث خالدات
عبرا بها أسمى الدروس　　.بمقول ماضي الشبات
يلقى على سمع الانام　　شروحهن مسلسلات

فكأنهـــــا وحــــــي أتــــــت فيـــــه الملائـــــك نـــــازلات
متحـــــدرات كــــالصواعق فــــوق هامـــــات الطغــــاة
ولـــــرب طعــــن باللســــان أشـــد مــــن طعــــن القنــــاة

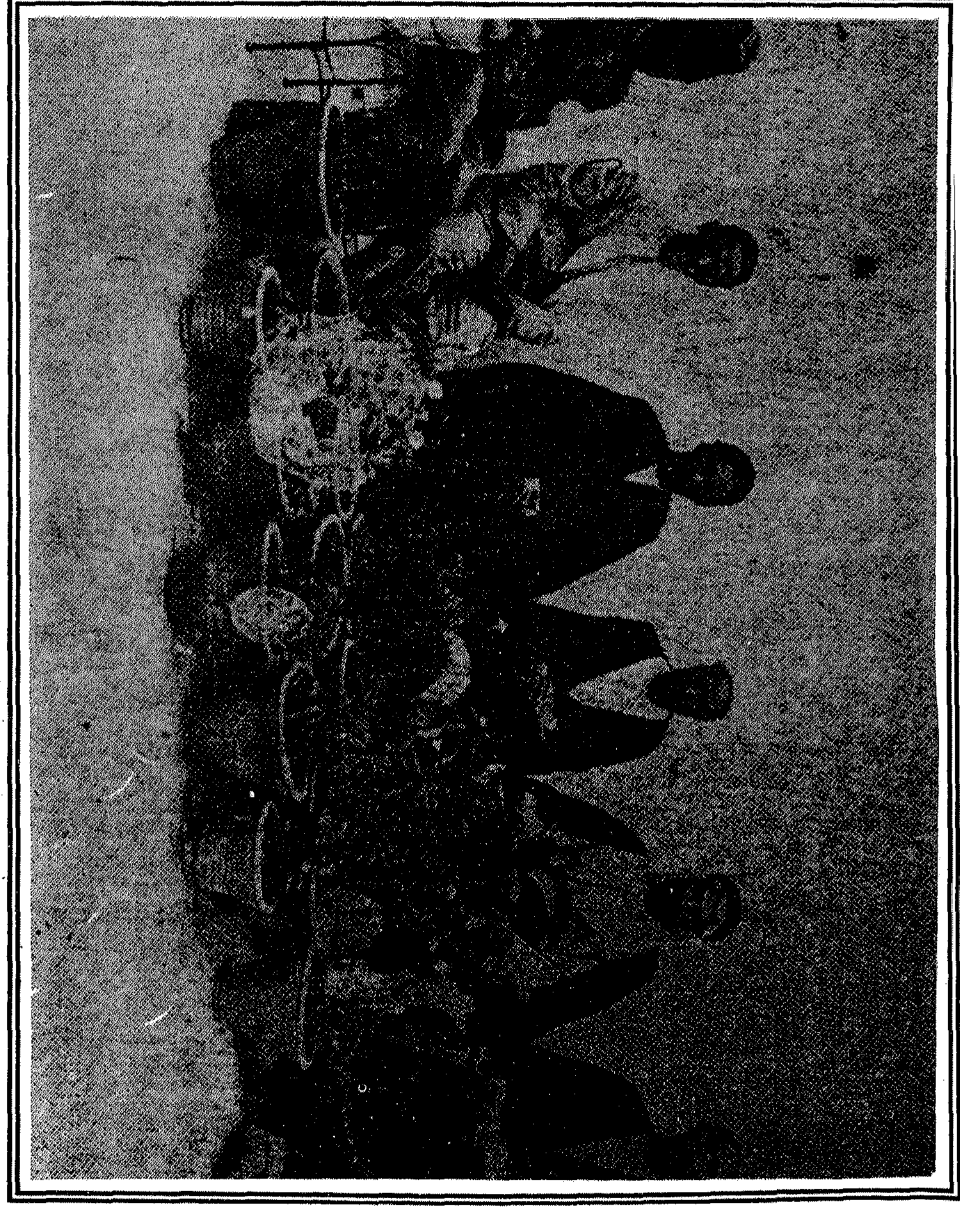
وللمرحوم الشاعر السيد مهدي الاعرجي من قصيدة يقول فيها:

عبقـري ان رمـت تسـأل عـن لفـظ تجـد رحـب صـدره قاموسـا
كـم لـه مـن سـبائك ذهبيـات حسـان حلّـى بهـن الطروسـا
فـاذا أمسـك الـيراع بكفيـه تخـال السـطور درا نفيسـا
أو رقى منـبر الخطابـة للوعـظ على الجالسـين يلقـى دروسـا

وللشاعر الكبير الاستاذ السيد محمـود الحبوبـي وقـد ارتجلهـا على أثر انتهائه من احدى محاضراته المنبرية.

رأيـت ابـن يعقـوب ان يعتلـي المنـا بـر بـالوعظ ينفـي الشـكوك
كملـك على عرشـه ان يفـه لـه قـالت النـاس لا فـض فـوك
ومـذ عجبـوا قلـت لاتعجبـوا ملـوك الكـلام كـلام الملـوك

و لم يكن هذا كل ما في هذا الحقل، انما هـو بعـض مـن كثـير قدمنا للقارىء نماذج منه لنتعرف على مكانة منزلة الفقيد في نفوس الاعلام والادباء.



صورة الأستاذ المترجم الثالث عن اليمين مع جمع من اخوانه اعضاء جمعية الرابطة



الشيخ اليعقوبي في أيام شبابه وهو واقف الى جنب العالم الجليل المغفور له السيد رضا الهندي

نماذج من شعره:

وإذا ما وصل بنا الحديث في هذه الدراسة المختصرة إلى أدبه وشعره يحسن بنا ان نقدم للقارىء الكريم نماذج من شعره في مختلف المناسبات، الدينية والوطنية، والاجتماعية والتي عالجها بأسلوبه السهل الممتنع الذي كان يمتاز به.

١ـ ولاؤه لآل البيت:

هذا الموضوع يكاد يكون الأول في دنيا الشعر عند خطيبنا المترجم فقد احتل مكانة يغبط عليها. إذ لم يترك ـ رحمه الله ـ مناسبة الا ونظم فيها، وتفانى في اظهار الولاء لها. وأدل دليل على ذلك ديوانه الذخائر ذلك الذي ضمنه قسما مما نظمه في آل البيت عليهم السلام، وطلب ان يكون هذا الديوان رفيقه في قبره، إذ هو الذي ينفعه ساعة لاينفعه فيها مال ولابنون إلا العمل الصالح، وخدمة آل محمد رسول الانسانية(ص).

وقد صدر ديوانه الذخائر بالبيتين التاليين:

سرائر ود للنبي ورهطه ... يقلبي ستبلو (يوم تبلى السرائر)

وعندي مما قلت فيهم (ذخائر) ... ستنفعني في يوم تفنى الذخائر

وبقوله في قصيدة له:

مالي سوى الهادي النبي وآله حصن اليه لدى الشدائد
انا مرتج منهم وان نزل الرجا بسواهم ينزل بباب مرتج

وقال مرتجلا حين اصيبت عينه مستجيرا بالحسين (ع):

مولاي يا من كان فرضا له سعيي على العينين والرأس
لي مقلة جار عليها القذى وما لها غيرك من آس
وكم على رزئك منذ الصبا بكت وأبكت أعين الناس
جئتك أرجو سيدي برأها فلا تعد راجيك باليأس

ويقول في قصيدة ولائية:

غرست بقلبي حب آل محمد فلم أجن غير الفوز من ذلك الغرس
ومن حاد عنهم واقتفى اثر غيرهم فقد باع منه الحظ بالثمن البخس

ومن قصيدته المعروفة بالمقصورة العليّة في السيرة العلوية قال فيها:

فقل لمن والى علياً لاتخف في الحشر من هول عذاب يتّقى
فالنار لاتحرق عوداً منك قد اورق في ماء الولاء ونما
لاتخشى من بعد ولاه زلّة فقد تمسكت بأوثق العرى

وقال مرة:

قالوا نرى الايام قد أعرضت عنك وزادت في تجنيها

فقلت: حبي لبني المصطفى   خير من الدنيا ومن فيها

ومن قصيدته المعروفة بالمقصورة العليّة في السيرة العلوية قال فيها:

فقل لمن والى علياً لاتخف   في الحشر من هول عذاب يتّقي
فالنار لاتحرق عوداً منك قد   اورق في ماء الولاء ونما
لاتخشى من بعد ولاه زلة   فقد تمسكت بأوثق العرى

ويخاطب الامام أبي الحسن مرة فيقول:

مالي سواك عدة ألقى بها   دهري اذا أخنى علي واعتدى
ذخيرتي في (يوم لم ينفع به   المال ولا البنون الا من أتى)

٢ ـ وطنياته:

لسنا مبالغين اذا ادعينا أن الشيخ اليعقوبي عالج القضايا الوطنية في شعره أكثر مما عالجه أي اديب عراقي.

فقضية فلسطين ـ مثلا ـ كانت أوليات المشاكل التي كرس فيها جهوده ففي عام ١٣٥٧ هـ أصدرت جمعية الرابطة الادبية ديواناً خاصاً بفلسطين، اسمته (الفلسطينيات) يضم مجموعة من

الشعر لاعضاء الجمعية، وكان في طليعة الشعراء الذين عالجوا هـذه المشكلة هو فقيدنا الراحل فقد قال:

وجوه العيش كانت فيك بيضا ... فكيف اليوم عادت وهي سود
ومـا لبنيـك لا ورد هـني ... يسوغ لهـم ولا عيـش رغيـد
تبدد شمـل اهلك ليت شعري ... ايجمـع ذلـك الشـمل البديـد
حكومـات، ولكـن ليس تبـدي ... بغـير الاستشـارة أو تعيـد
لقـد حمـل الـبريد لنـا حديثـاً ... ألا لله مـا حمـل الـبريد
تكـاد الارض منـه تمـور شـجواً ... وشـم الراسـيات اسـى تميـد
بـأن معـابد العـرب استبيحت ... وقـد فتكـت بسـادتها العبيـد
ومـن عجـب الزمـان وكـل آن ... بـه يبـدو لنـا العجـب الشـديد
شـعوب العـرب محكـوم عليهـا ... وتحكـم في فلسـطين اليهـود
أتحسـب ان ذاك الغـاب يبقـى ... لهـا وطنـا وتتركـه الاسـود
وليـس لهـم وان رغمـت أنـوف ... طريـف في البـلاد ولا تليـد
جنـوا فيهـا فظائع ليس يجـدي ... عليهـا الاحتجـاج ولا يفيـد
ومـاذا ينفـع (الاضـراب) فيهـا ... عـن الاعمـال أو تغنـى (الوفـود)

حتى يقول فيها:

وما نهضت بنو (صهيون) لـولا ... تقـدم مـن يسـوس ومـن يقـود
وما عقـدوا بنـود الحـرب لكـن ... عقـدن (بلنـدن) تلـك البنـود
وقد سفكت دماء العرب عمـدا ... بـأمر امـس دبـره (العميـد)

وان تتصل (الاحلاف) منها ... فما تلك البوارج والجنود

ولقد حفل الجزء الأول من ديوانه بعشر قصائد خاصة في فلسطين القي قسم منها في احتفالات جمعية الرابطة الادبية التي أقامتها في هذا الصدد والقسم الباقي القي في مناسبات مختلفة.

ثم جهاد المغرب العربي: فكان له نصيب أيضاً في هذا الديوان فرغم ان جمعية الرابطة الادبية أصدرت ديواناً خاصاً له بمناسبة زيارة الملك محمد الخامس ملك المغرب إلى النجف عام ١٩٥٧ ففي الديوان ما يقارب عشر قصائد في هذا الموضوع فمن قصيدة بعنوان (جهاد المغرب) نوه فيها بجهاد العرب هناك لنيل استقلال بلادهم، وندد فيها بسياسة فرنسا الاستعمارية قال:

عرب لنيل العز ثاروا ... والنصر يسري حيث ساروا
ثاروا وليس سوء القضا ... ء على الطغام لهم شعار
أقطاب معركة بهم ... أضحت رحى الهيجا تدار
غاروا على الوطن المضا ... ع وأي شهم لا يغار
حاطوا حماه كأنه ... عضد أحاط به السوار
لم يصبروا والحر ليس ... له على الضيم اصطبار
ثاروا على (المستعمرين) ... لانهم ظلموا وجاروا
أنى وتونس والجزا ... ئر لايفك لها أسار
والحكم فيها ما يفوه ... به (المقيم) المستشار

ذوقي (فرنسة) ما جنيت | فغاية الضغط انفجار
أوما اعتبرت بما مضى | لو يردع الباغي اعتبار
فدعي البلاد لاهلها | فوراء ذاك الزند نار
هيهات مالك في (مراكش) | مطمأن أو قرار
ما كل غرس يستغل | وتجتنى منه الثمار
والظالمون اذا عتوا | مصير ملكهم البوار
واذا ذهبت نقول لا | (رجعت ولا رجع الحمار)

وحيا شاعرنا الكبير الزعيم الريفي الامير عبد الكريم الخطابي عام ١٣٤٥ هـ بقصيدة عصماء على أثر استسلامه للقوات المعادية بعد مقاومة عنيفة لاسبانيا وفرنسا يقول فيها:

يا بطل الريف عليك السلام | في الحرب والسلم رعيت الذمام
وفيت بالعهد وصنت الحمى | ان الوفا بالعهد فرض لزام
أنبأنا البرق بأن العدا | قد أدركت منك المنى والمرام
يا أسد الحرب ومقدامها | كيف استباح القوم منك الاجام
فلا يهولنك ما قد جرى | فالدهر وصل تارة وانصرام
فرب ليل حال ثم انجلى | وصرح مجد مال ثم استقام

ثم يتألم على تونس والجزائر فيقول:

أرأيت هاتيك المجازر | ما بين تونس والجزائر

أي النواظـــر لا تفيـــض دمـا علـى تلـك المنـاظر
مـا بـين تلـك وهـــذه دارت على العرب الدوائـر
مـا حـال شـعب وادع أضحى يحكـم فيـه جـائر
ذكرى تشب لظى الجـوى بـين الجوانـح والحنـاجر
وأمـض مـا اقـترف اللئام مـن الجرائـم والجرائـر
هـدروا دم الاحـرار فيهـا واستبيح حمى الجرائـر
مـا دل سـوء فعالهـا الا علـى خبـث السـرائر

إلى أن يقول فيها:

يـا أمـة العـرب انهضـي للحـرب مـن بـاد وحـاضر
واسـترجعي مجـداً لـه عنـت القيـاصر والاكاسـر
شـرعت لكـم آبـاؤكم نهـج المكـارم والمفـاخر
مـا قـدر جامعـة لكـم قد راح منها الغـرب ساخر
فـالى م تقتحـم الذئـاب عرينـه الاسـد الخـوادر

ولقضية الجزائر جند شعره فيها، وهو يستحث العزائم لاستقلالها وفوزها في المعركة المصيرية.

يقول في قصيدة له:

قل لشعب الجزائر الحر بشرى وهنيئاً بالانتصارات تترى

أنت بيت القصيد لفظاً ومعنى ... لو نظمنا بطولة العرب شعراً
قهرتك العدا على الحق لكن ... ثرت حتى أخذت حقك قهرا
جاهدت قبلك الشعوب ولكن ... كنت أولى بالذكر منها وأحرى
فارفع الرأس شامخاً رغم قوم ... شمخوا بالأنوف تيهاً وكبرا
ثورة لقنت (فرنسا) دروساً ... عبرا للدهور تبقى وذكرى
سوف يطوى عمر الزمان ويبقى ... ذكرها بالثناء يعبق نشرا

وعند الاعتداء الثلاثي على مصر هب الشاعر يصرخ في قصيدته العصماء قائلاً:

لظى الحرب في مصر قد أوقدت ... ونافخ ضرمتها (ايدن)
ألندن تحمي الشعوب الضعاف ... وفيما ادعت كذبت (لندن)
ألم يكن الغدر من شأنها ... ونقض العهود لها ديدن
تحاول اخضاع مصر لها ... وهيهات تخضع أو تذعن
تمد الصهاينة المجرمين ... وتدبيرها معهم بين
فباريس تعضدها في الشمال ... ولندن ساعدها الأيمن
لقد حاولت في (القنال) المحال ... وقد حسبت أنه ممكن
وصحراء (سيناء) قد غودرت ... مقابر فيها العدا تدفن
وكانوا على الشك من طيشهم ... وفي (بور سعيد) قد استيقنوا
ستظعن عن مصر مدحورة ... وتبقى الخزاية لا تظعن

وعلى تربة الوطن، وفي سبيل استقلاله كرس الكثير من شعره في الهاب روح الحماس والنضال عند المواطنين.

ففي الثورة الوطنية في العراق عام ١٣٣٨، ارسل الشاعر قصيدة إلى جماعة من أصدقائه المجاهدين المرابطين في جبهة السماوة والرميثة حيث تدور رحى الحرب بين الثورة والانكليز يقول فيها:

أحبتنا بساحات الكفاح ... ثقوا بالنصر فيها والنجاح
سمحتم بالنفوس لها فكنتم ... مثالاً للشجاعة والسماح
وكاد يطير من شوق اليكم ... فؤادي وهو محصوص الجناح
فان لم ألق بينكم حمامي ... عسى أحظى بتضميد الجراح

وعندما اصطدم العراق بالجيش الانكليزي عام ١٩٤١ في الحرب العالمية الثانية في (حركة رشيد) نظم هذه الرائعة التي نشرتها عدة مجلات واذاعتها عدة محطات لاسلكية.

بالشعب قد عاثت يد عادية ... فجددوها نهضة ثانية
واستقبلوا الاعداء في وقفة ... فيها نعيد الوقفة الماضية
جاءت لتحتل البلاد التي ... نفدي لها أرواحنا الغالية
خانت عهوداً قد وفينا بها ... وأظهرت غدرتها الخافيه
تغزى إلى الان بأوطانها ... فكيف جاءت شعبنا غازيه
وما حمت (لندن) أبناءها ... فكيف يحمون (بجانيه)

حتى يقول:

أيـن المفـر اليـوم مـن جحفـل   جـاث لهـا كـالهضب الراسـية
تعضـده مـن يعـرب أمـة   ثـارت بهـا عزمتهـا الذاكيـة
كـأن كـأس المـوت مسـتعذباً   لديهـم كـأس الطـلا الصافيـة
لا يرتضـي الشـعب سوى أهلـه   حكومـة آمـرة ناهيـة
يـا ضربـة الله لاعدائـه   كونـي عليهـم ضربـة قاضيـة

و لم يكن هذا كل ما في وطنياته، فما قدمناه لم يكن الا غيضا من فيض سمحت لنا به المناسبة فسجلناه مقتضبين الكثير لمناسبة أخرى نحاول أن نسجل فيها ذلك كله.

٣ـ الاجتماعيات:

وفي هذا المضمار للمرحوم اليعقوبي شوط كبير يجمع فيه الطرافة في التعبير، والنقد اللاذع.

فمن قصيدة له بعنوان (انتخاباتنا):

للانتخابـات قـامت   معـارك ومعـامع
لكـل حـزب هتـاف   تصطـك منـه المسـامع
وللجماهـير حشـد   تغـص فيهـا الشـوارع
تديرهـا حيـث شـاءت   يـد العـدو المخـادع

فللشـــــباب طمـــــوح وللشـــــيوخ مطـــــامع
ســـوق الضمــــائر فيهـــا مــــا بـــين شــــار وبـــائع
ذرائـــع القـــوم شـــتى والمـــال بعـــض الذرائـــع
وليـــس يربــــح الا مـــن رشـــحته (المراجـــع)
تســـن كـــل نظـــام اشـــــارة بالاصـــــابع

وحينما عرض عليه بعض المسؤولين تسنم بعض المناصب المهمة في الدولة فرفض وقال:

أأرتــاح بالكرســي مزدهيــاً بــه وتهــتز مــن شــوق الي المنــابر
أأضـــرع مـــأموراً لنـــاه وآمـــر ولي مقـول في الشـعب نـاه وآمـر
اذا مـا رمـى اصمـى الطغاة بنصلـه و لم تحمهــا اذراعهـــا والمغـــافر
ومن عجـب تغـري المـوارد معشـراً و لم تـدر مـا تجـني عليهـا المصـادر
رضيـت لنفســي في الحيــاة بمقنـع مـن العيش يأباه خطيـب وشــاعر
ولــم أدخـــر غـير القناعـة ثــروة وتـلـك الـتي تبقـى وتفنـى الذخائـر

وله قصيدة بعنوان (نكرات) يقول فيها:

ومــن البليــة أن نعيــش بموطــن يلعــى دنــي القــوم فيــه شـــريفا
ويصيـب عرضـك قاذفـا متهجمــا مـن عـاش مـا بـين الـورى مقذوفـا
يجزيــك ان شـيدت مجــد بــلاده في هــدم مجــدك تــالدا وطريفـــا
فـدع العكـوف علـى سـباب زعـا نف عاشوا على سب الكرام عكوفـا

جاءت بهم صحف الليالي غلطة   لا تقبل التصحيح والتصحيفا

وقال مرة بعنوان أمراض الشعب:

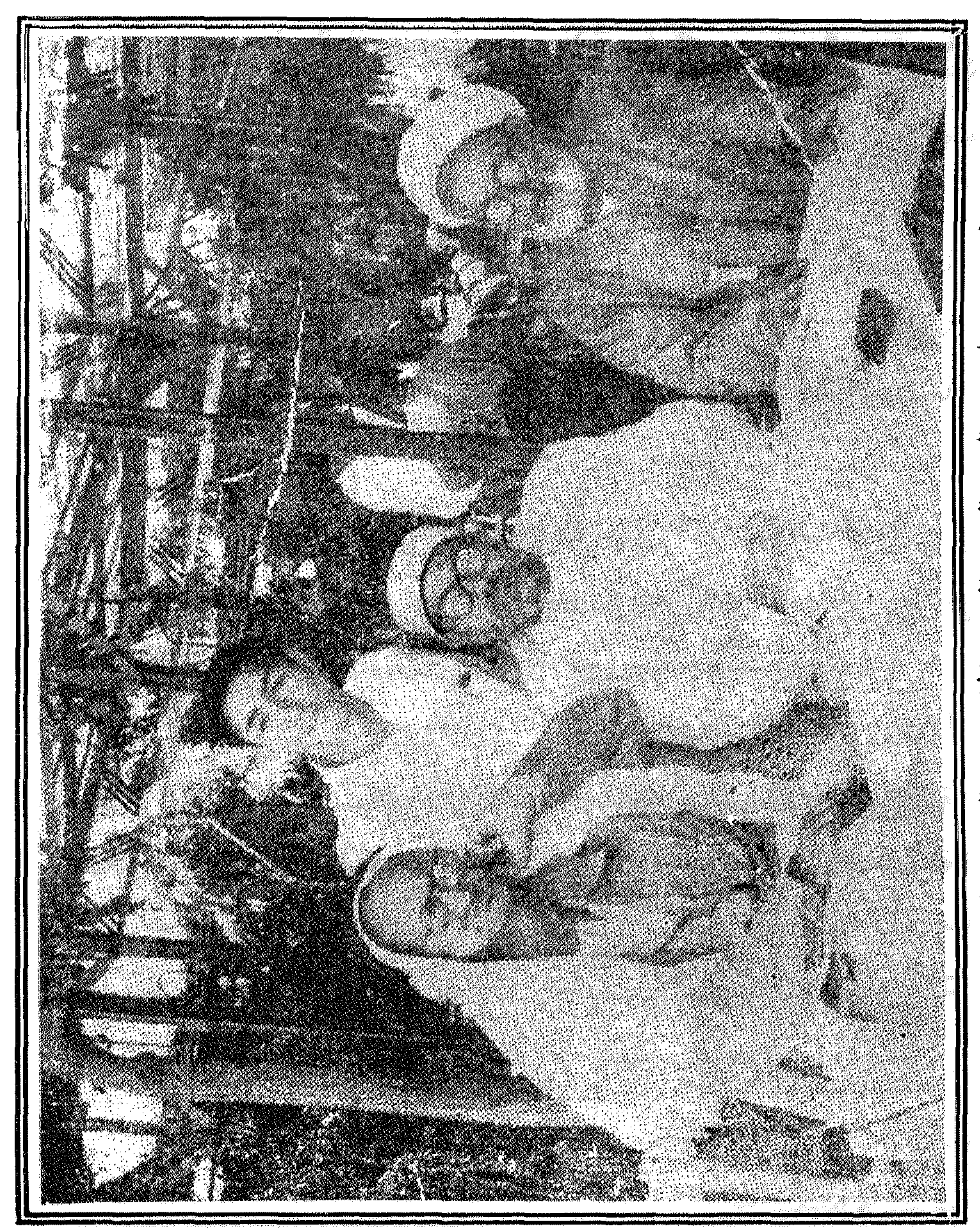
يا زمرة للشعب قد ادركت   جل امانيها وأغراضها
تشكو بنوه نهب أموالها   منكم وتبكي هتك اعراضها
خفتم عليها مرضا ساريا   وانتم أعظم أمراضها

وقال يخاطب العلامة المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي في العهد القاسمي ويشير إلى كلمته المشهورة في العهد السعيدي التي قالها في البرلمان وهي (إلى الله المشتكى).

ابا اسعد عيل صبر البلاد   لطول انزوائك في (الزاوية)[1]
اعد لمواقفك الحاضرات   عهود مواقفك الماضية
شكوت إلى الله حتى استجاب   دعاك على الفئة الطاغية
وها نحن في محن لم تزل   على الشعب رائحة غاديه
فثن بشكواك علّ الأله   يجيب الدعا مرة ثانية

---

[1] فيه اشارة إلى محلة (الزوية) التي يسكنها المرحوم الشيخ الشبيبي في بغداد.



اخذت هذه الصورة في دمشق والى يمينه الوجيه النجفي المعروف الحاج مهدي البهبهاني فالشاعر
العراقي الكبير الاستاذ السيد أحمد الصافي



صورة تذكارية للمترجم عند عودته من حج بيت الله الحرام سنة ١٣٦١هـ مع جماعة من مستقبليه

٤ـ الوصفيات:

وحفل الجزءان من ديوانه المطبوع والمخطوط بهذا اللون الرائع من الوصف. فله مقطوعة جميلة في الباب الذهبية لحرم أمير المؤمنين علي عليه السلام وقد كتبت شطور هذه القطعة في الميناء على أطراف الجبهة العليا من الباب الذهبي المنصوبة في الايوان الذهبي الكبير للحرم العلوي. يقول فيها:

وباب صيغ من ذهب تجلى ... وجلل نور قدس ليس يطفى
وقد سدل الجلال عليه بردا ... كما أرخى الجمال عليه سجفا
وشع على مطالعه هلال ... ترصفه يد الابداع رصفا
(يصد الشمس أنى واجهته) ... فيحجبها الحيا فتميل خلفا
وان وراءه للعلم بابا ... حوى مكنونه حرفا فحرفا
أبو الحسن الذي حارت عقول ... الورى عن كنهه نعتا ووصفا
توسلت الملائك فيه قدما ... فقربها له الرحمن زلفى
ولم تطق الولوج بغير اذن ... اذا أبتدرت له صفا فصفا
فكيف وعنده الحاجات يلفى ... قضاها والنوائب فيه تكفى
اذا ما الدهر عفى كل باب ... فباب الله باق لا يعفى
ولا يبقى مع التأريخ (الا ... علي الدر والذهب المصفى)

وله قصيدة يصف فيها وقوع العواصف والبرد على الفرات الاوسط وأتلفت المواشي والزروع وقضت على عدد كبيرمن النفوس في عام ١٩٣٤ يقول فيها:

ويوم للعواصف فيه رعد — يروع الناس منه ما يروع
أحالت كل شارقة ظلاما — كأن الكون طبقه هزيع
كأن الجو ساق جموع سحب — لحرب الارض تتبعها جموع
وجرد من بوارقها سيوفا — نبت عنها المغافر والدروع
تصب قنابل البرد اللواتي — لها في الهضب ان عرضت صدوع
فلا تحمي الفتى ان فر منها — معاقله ولا الحصن المنيع
كأن الله أرسلها عذاباً — به العاصي يؤاخذ والمطيع
أتت فتحمل الفلاح فيها — من النكبات ما لايستطيع
فهد عماد بيت كان يأوي — إليه وأقفرت تلك الربوع
وراح يعض من أسف عليها — أنامله كمغبون يبيع
يبث فيسمع (النواب) شكوى — وما في البرلمان فتى سميع
أيحتلبون بعد اليوم مالا — وقد جفت من الشعب الضروع

٨ـ الاخوانيات:

وفي الديوان عدد كبير من القصائد من هـذا النـوع، فقصيـدة عامرة يرسلها إلى أمير البيان شكيب ارسلان يقول فيها:

سرت نفحات الشرق طية الشذى بذكرك والذكـر الجميـل يطيـب
وما برحـت تطريـك بـالحمد أهلـه فكـل لسـان بالثنـاء رطيـب
(أمـير بيـان) أن أجـال يراعـه أتتـه المعـاني الغـر وهـي سـروب

وقصيدة أخرى يجيب بها الدكتور زكي مبارك على رسالته التي بعثها اليه وهو يتشوق إلى العراق والنجف خاصة قال فيها:

يهـدي اليـك سـلامه خـل رعيـت ذمامـه
مـا كـان أطـول وجـده يـوم النـوى وغرامـه
وافـى كتـابك فاستجد مـن اللقـا أيامـه
ان همـت في شـعب العـ ـراق فقـد أطلـت هيامـه
وتركتـه يـوم الـوداع مكـابداً آلامـه
يشتاق عهدك (يا زكـي) ولا ينـال مرامـه

وقصيدةثالثة يرد بها على رسالة العلامـة الكبير أبي المجد الشيخ أغا رضا الاصفهاني النجفي عام ١٣٦٢.

أبا المجـد حسـب المجـد فخـرا بأنـه يكفيـك فيـه حـاضر النـاس والبـادي

ورثت للزايا الغر عن خير أسرة ... وأنجب آباء وأطيب أجداد
حنت لأكناف (الغري) وكم بها ... لوصلك حنت من قلوب وأكباد
ومالي فضل ان رددت تحية ... بدأت بها ـ مولاي ـ فالفضل للبادي

وهناك قصائد كثيرة في هذا الباب يطول بنا المجال لو حاولنا الاشارة اليها.

٦ـ التأبين والرثاء:

وهذا الباب كبير جداً في ديوان شاعرنا الكبير، فقد اشترك في رثاء أغلب شخصيات النجف وخاصة أهل العلم وكذلك الشخصيات العراقية والاسلامية والعربية. أمثال المرحوم الحجة السيد محمد القزويني اذ يقول في قصيدته له:

لله ما صنعت يد الاقدار ... ذهبت بعليا هاشم ونزار
وجرى القضاء فقلص الظل الذي ... نأوى اليه من القضاء الجاري
أودى الردى (بأبي المعز) فكورت ... شمس الرشاد وغاب نجم الساري

وله مقطوعة بعنوان (على ضريح الشيرازي) قالها حين وقف على قبر الامام المجاهد الشيخ محمد تقي الشيرازي زعيم الثورة العراقية وذلك عام ١٩٢٠.

يا منقذ الامة من بعدما ... جارت عليها الفئة الطاغية

غرسك قد أثمر لكنما — جنته أيدي عصبة جانيه
قد ارخصوا سوم البلاد التي — لها فدينا الانفس الغاليه
اذا شكونا حالنا لم نجد — عينا ترى لو اذنا واعيه
لو عدت حيّاً وترى ما بنا — نهضت فينا نهضة ثانيه

وله في رثاء المرحوم آية الله السيد أبو الحسن الاصفهاني:

أي خطب قد حل بالشرق — جلل المغرب القصى حداده
مانعاه الاثير والبرق حتى — اصبح الوجد فيه يورى زناده
سن للمصلحين نهجا قويما — سنّةً قبل للورى أجداده
شيعوا الوالد العطوف — تشتكي اليتم بعده أولاده

وقال في رثاء المرحوم العلامة الجليل السيد علي السيد هادي بحر العلوم.

شيعوا من عترة الهادي علاها — وطووا من حوزة الفضل لواها
لا تضاهيه فخارا معشر — كان أسمى منهم شأنا وجاها
عقد الدين عليه مأتما — فيه قد حلت أولو الفضل حباها
انا ان ابكيك ابكي خلقا — مثل أزهار الربى يذكو شذاها
وأخا قد كان أوفى ذمة — بين قوم عز بالعهد وفاها

وقصيدة في رثاء الامام الميرزا حسين النائيني عام ١٣٥٥، فيقول:

وأنت عليك للملأ ازدحام   أم التقوى تشيعها الانام
نعيت فمال بالدنيا اضطراب   وشب بمهجة الدين اضطرام
هو النبأ العظيم فليس بدعا   اذا قعد الانام له وقاموا
كأن النعش يوم حملت فيه   سحاب خلفه البدر التمام
تمد لحمله الايدي استلاما   (كما للناس بالحجر استلام)

وقصيدة في رثاء الحجة المجاهد الشيخ محمد الجواد البلاغي عام ١٣٥٢ قال:

سلوا قبة الإسلام ما ذا أمادها   متى قوضت منها الليالي عمادها
وعوجوا نناشد حلبة العلم و(الهدى   متى صرعت كف المنون (جوادها)

وله في رثاء شاعر العرب الشيخ عبد المحسن الكاظمي عام ١٩٥٤هـ قصيدة عامرة قال في مطلعها:

أصات بدولة الادب النعي   غداة أصيب فارسها الكمي
نعى الناعي بمصر (أبا رباب)   بصوت في العراق له دوي
ومن عجب بكتك وأنت ميت   بلاد ضيعتك وأنت حي

وهكذا يشارك شاعرنا الكبير في حفلات التأبين والعزاء بذكرى الاعلام والشخصيات الأدبية والاجتماعية والسياسية حتى لو حاولنا عزل هذا الباب في ديوان خاص لزاد على المئات من الصفحات.

ان ديوان شاعرنا الراحل يعتبر في حقيقته روضة أدبية تجد فيها إلى جانب الادب الرفيع، الملاحظات التأريخية والنكات الرائعة، والمناسبات البديعة، والتي قل ان نجدها عند غيره من الشعراء البارزين، كل بأسلوب رقيق، وسهولة في التعبير، وصدق في الصورة.

اليعقوبي والثورة:

كان خطيبنا المترجم ـ رحمه الله ـ كثيرا مايبشر الملأ بالثورة المنتظرة، التي تصحح للشعب اغلاط الحاكمين.

وعندما حدثت ثورة تموز عام ١٩٥٨، كان المرحوم من الشعراء المبادرين لتهنئة الثورة في قصيدته التي أذيعت من دار الاذاعة العراقية يقول في مطلعها:

الجيش للوطن العزيز دعام   يبني عليه كيانه ويقام
ان جارت الحكام فيه فانما   بالعدل منه تصدر الاحكام

ثم استمر يناغي الثورة بين آونة وأخرى، حتى ظهر له انحرافها فاتخذ من الحفلات التي أقيمت في كربلاء والنجف وغيرهما من المدن العراقية ميدانا لمحاربة الظلم والظالمين، واستنكر التيارات الوافدة على عراقنا الحبيب.

وشرع يخاصم التيار الأحمر، ويوضح مفارقاتهم وذلك في الاحتفال الذي أقيم في النجف الاشرف في الجامع الهندي بتاريخ ٥/٢/١٩٦٠ في ميلاد الحسين (ع) فقال:

حذار من السيل الذي بلغ الزبى ... ومن ليل غي طبق الأرض فاحمه
طلائعه بالشر وافى نذيرها ... وتنبيء عن سوء المصير علائمه
يهاجمنا الالحاد من كل وجهة ... وما العار إلا اننا لانهاجمه
وان عدوا في مباديه زاحفا ... لحرب مبادينا فكيف نسالمه

وتأسس احتفال النجف الخالد في عام ١٣٨٠ واتخذ من ميلاد الحسين منبرا يجالد الانحراف، والتبعية، والعبودية، فكان شيخنا رحمه الله من المساهمين فيه في سنواته الخمسة مقارعا الظالمين، وصارخا في وجه المستبدين لم تأخذه في الله لومة لائم.

فمرة يجهر في محاربة الشيوعيين في احدى قصائده التي شارك بها في مهرجان النجف يقول:

يا أبا التسعة الميامين من لم ... يحص اجمال فضلها التفصيل

وهداة الورى إذا خبط الساري ... وتاه الحادي وضل الدليل

هاجمته ابناؤه وعليه الشرك ... هاجت أضغانه والذحول

فالى صدره تراش سهام ... وعلى رأسه تسل نصول

يوم ضلت نهج الهدى وأضلت ... فئة من شعارها التضليل

قد نمتها في الشرق (أم) رؤوم ... وأبوها الحنون (اسرائيل)

قادها الغي للشقا وحداها ... وأتت يقتفي الرعيل الرعيل

جددت شرعة الضلالة والكفر ... وغالت شرائع الحق غول

فهي طورا سيف الخصوم وطورا ... في المسيرات بوقها والطبول

برزت كالفحول منهم أناث ... وبدت تشبه الاناث الفحول

حاولوا (مطلبا عظيما) وظنوا ... الحكم ينهى اليهم ويؤول

ما دروا أن ذلك الظن وهم ... وسراب لم يرو فيه الغليل

كل يوم عرض لديهم مباح ... ودم في سيوفهم مطلول

فدفين تحت الثرى وهو حي ... وصليب فيه العمود يميل

أمن السلم حربهم للمبادى ... ومن العدل ذلك التكيل

ومن الرفق والتحنن ذاك ... الفتك بالابرياء والتمثيل

فأستحالت (أم الربيعين) منهم ... مأتما كله بكا وعويل..

و (بكر كـوك) للفظـائع مـتن — يقصـر الشـرح عنـه والتسـجيل
انكـروا بـالاقوال مـا ارتكبـوه — وشـهود الافعـال منهـم عـدول
كيف يحنـو عطفـا ويضمر خـيرا — مـن علـى الشـر طبعـه مجبـول
ان يخونـوا عهـد البـلاد فعـذرا — مـا لهـم ناقـة بهـا وفصيـل
ليـس فيهـم الا دخيـل وهـل — يؤمـن يومـا علـى البـلاد دخيـل

ومن هذا اللون كثير وكثير حمل فيه علـى هـذه الزمـرة دون خوف أو وجل، وما أن برز الحكم البعثـي علـى مسـرح العـراق، حتى برزت آماله وأحلامه جلية لاتشوبها شـائبة في مخالفـة الديـن، فما كان شاعرنا إلا أن اخذ يكافحهم بقصائده الرائعـة، وفي عـدة مناسبات، ولكن كانت ألمع تلكم المناسبات هي احتفالات النجف وكربلاء فقد قال في احداها وهويجالد الحكم البعثي فيقول:

سمعـا ابـا الحسـنين شـكوى مالهـا — مصـغ سـواك إذا الحـوادث تطـرق
مـن واجـد ذابـت حشاشـته دمـا — فغـدت علـى اماقـه تـترقرق
ديـن اقمـت بـذي الفقـار حـدوده — أضحـى يحيـط بـه البـلاء المحـدق
عـاثت يـد المسـتعمرين بأهلـه — مـن بعـد وحـدة صفهـم فتفرقـوا
الحكـم قيدهـم واخرسـهم فـلا — كـف تصـول ولا لسـان ينطـق
قـد طبـق الظلـم البـلاد فأوشـكت — منـه السـماء علـى البسيطة تطبـق

نكـرات هـذا الجيـل لا فـرع لهـم　　زاك ولا اصـل بمجـد معـرق
لـو يرزقـون مـن الكرامـة ذرة　　مـا كـان بينهـم الكرامـة تسـحق
راجـت بعهدهـم الرذيلـة واشـت　　سـلع الفضيلـة بينهـم لاتنفـق
ومـن الحماقـة والرعونـة أمـة　　فيهـا تحكـم أرعـن أو أحمـق
كـم حرمـة للشعب قـد هتكـت بـه　　ولكـم دم هـدراً يطـل ويهـرق
وكأنمـا الاسـلام اصبـح بينهـم　　شـلو بأنيـاب الوحـوش ممـزق
طـورا بهـم(فهـد) يسـود وتـارة　　يسترعم القطريـن فيهـم (عفلـق)

ولم ينته نضاله وجهاده بهذا فحسب، بل استمر يعلن على الملأ ثورته ويطالب بتصحيح المفارقات كلما سنحت له الفرصة، حتى اللحظة الاخيرة من أيامه الخالدة. فهو يقول في احدى روائعه الاخيرة:

يـا أبـا العـترة الـتي بولاهـا　　نرتجـى في غـد نعيمـا وزلفـا
ليـت ذاك الحسـام عـاد بكفيـك　　فتسـقي العـدا بكفيـك حتفـا
قـم وداو الاسـلام هـا هـو يشـكو　　علـلا لم تكـن بغـيرك تشـفى
قـد غـزاه حـزب الضـلال بجيـش　　مثل جيش الاحزاب مذ جاء زحفا
فرقـوا أهلـه وكـانوا جميعـا　　وغـدوا ليـس يعـرف الالـف إلفـا
كـل فـرد عليـه ألـف رقيـب　　يمنـة يسـرة أمامـا وخلفـا

كـم امـور تحـت الجوانـح تخفيهـا ... وليسـت علـى ذوي اللـب تخفـى
بـدع كلهـا ضـلال وافـك ... تفلوهـا بالشـعب جـورا وعنفـا
زعموا انهـا من الدين قـد جـاءت ... ولم يعرفـوا مـن الديـن حرفـا
يسـتباح المـال اغتنامـا ونهبـا ... وتسـام الاحـرار ضيمـا وخسـفا
يشتكي الشعب والمسامع صمت ... فشـكى رافعـا إلى الله طرفـا

ولم يكن هذا خافيا على الجميع، فلقد كانت الاحتفالات النجفية، وغيرها تعج بروائع الشيخ اليعقوبي، إلى ان وقف ذلك الذهن الوقاد، واللسان الصادق.

مثنيات اليعقوبي (الدوبيت)

يكثر عند الشعراء تضمين المناسبة أوالنكتة في بيتين من الشعر، ليسهل على المرء حفظها.

والمرحوم يكاد يكون فريدا في هذا النوع، فلو حاولنا افراد ديوان له في هذا الحقل لحفل بكل رائع جميل، وفي هذه الدراسة المختصرة نقدم نموذجا من هذه (الدوبيتات) ليتعرف القارىء الكريم على مدى قابلية الشيخ المترجم، وافقه الواسع، وروحه الطيبة، وملاحظته للنكتة، واليك قسما منها:

كان الاستاذ السيد عبد الوهاب الصافي عميداً لجمعية الرابطة في أول تأسيسها، وكان يلهج بذكرها أينما حلس، وفي أي ناد حل، حتى قال له ذات يوم المغفور له الشيخ محمد رضا الشبيبي: ان الناس ليصابون بمرض ذات الرئة وذات الجنب، ولكنك اصبت بمرض يدعى (ذات الرابطة) ولماعين السيدالصافي قاضيا كتب إليه المرحوم الشيخ اليعقوبي كتابا صدره بما يلي:

يا صاحب الذات التي اعيا الورى ... منها شفاك ولات حين شفاء
عوفيت منها وابتليت بمثلها ... من ذات رابطة لذات قضاء

ولما انتخب اليعقوبي هو نفسه لعمادة الجمعية كتب للصافي يقول:

يا صاحب الذات التي ... علقت به طول الزمان
اشكر آلهك انه ... عافاك منها وابتلاني

وعندما طغى دجلة عام ١٣٧٣هـ قال:

طغت بغداد ظلما واستمرت ... بنوها بالعكوف على الملاهي
ولولا ذلك الطغيان فيها ... لما غمرت بطغيان المياه

وحز في نفسه ان يرى قسما من الناس يدعي الوطنية وهي منه براء فقال:

كم غيور وطني يدعي ... نصرة الشعب بسيف وفم

واذا مــــا حققــــت آمالـــه   وضـع الاوطـان تحـت القـلم

وفي عـام ١٩٥٤ تـأثر مـن الاوضـاع الشـاذة فقـال بعنـوان (لصوص):

يا سائلي عن وزارات مضت وأتت   امثالهـا ولهاالاطمـاع غايـات
مـا القوم الا لصوص كلما ذهبت   عصابة منهـم جاءت عصابـات

وصور مرة البرلمان فقال:

أرى البرلمـــان ونوابـــه   سـكوت بـه سـكتة الاخـرس
تمـــاثيل ينحتهـــا الانتـــداب   وتعـرض في قاعـة (المجلـس)

وتعرض العراق مرة للجراد فقال:

الاقـل للـوزارة وهـي تبغـي   مكافحـة الجـراد عـن البـلاد
فهـلا كـافحت في الحكـم قومـا   أضـر علـى البـلاد مـن الجـراد

وعندما شكل السيد راشد العمري وزارته قال:

قـالوا الـوزارة شـكلت   برئاسـة العمـري (ارشـد)
فأسـتقبل الشـعب الـوزارة   بـالصلاة علـى محمـد

ولقد ضمن موضوع صندوقه ببيتين من الشعر يقول:

قـالوا اذاع الـذي مـا زلـت تخبئـه   (توفيق) قلت لهم من حسن توفيقي
قد جاء يبحث عن صنلوق مكتبتي   وان في الصلر عندي الف صنـلوق

ومرة كان المرحوم الشيخ محمد السماوي قاضيا في بغداد، وقد احيل على التقاعد، واتفق ان المرحوم السيد محمد الصدر كان رئيساً لمجلس الاعيان، ونسبوا أمر فصل العلامة السماوي إلى السيد الصدر فكتب الشيخ اليعقوبي له:

قل للسماوي الذي فلك الكمال به يدور
الناس تضربها الذيول وانت تضربك الصدور

وخاطب مرة التلاميذ بعد ان طغى تيار الحزبية على الاساتذة:

لا تتبع فئة اضاعت رشدها والحق خلف ظهورها منبوذ
وإذا المعلم لم يهذب طبعه فمتى يهذب طبعه التلميذ

وهناك فئة ولوعة بسرقة الكتب فقال فيهم:

لصان لم ير في السراق مثلهما عليهما الحد والتعزيز قد وجبا
لص يصول على الاموال يسرقها سرا وآخر جهرا يسرق الكتبا

وفي داء العقول قال:

بلاد كلها سقم وجهل وليس إلى التداوي من سبيل
وهب داء الجسوم له دواء فقل لي كيف في داء العقول

وقال مرة يضمن المثل المعروف (دار الظالم خراب).

ودار على ظلم الضعيف تأسست ... وللجور أطناب بها وقباب
دعا اهلها داعي الفناء فأصبحت ... خرابا ودار الظالمين خراب

ونكتفي بهذه النماذج الرائعة من هذا النوع، فاننا لوحاولنا استقصاءها لضاق بنا المجال.

وفاته:

وفي فجر يوم الاحد ٢١ جمادى الثانية ١٣٨٥هـ الموافق ١٧/١٠/١٩٦٥ سكت هذااللسان الصادق، وخبا الضوء اللامع، الذي طالما اعشى عيون الظالمين والمنحرفين.

فقد لبى نداء ربه الكريم بعد أن أدى رسالته الإسلامية على أكمل وجه، وأسدى خدماته الجليلة في ميادين العلم والبحث والأدب مما جعله في مصاف الخالدين، وروع النجف الاشرف خاصة، والعالم الإسلامي عامة بفقده عن ثلاثة وسبعين عاماً، حافلة بالمآثر والمفاخر، والجهاد والتضحية،والمواقف المشرفة.

وقد بادرت المؤسسات والهيئات والجمعيات الثقافية، والدينية إلى اصدار نشرات خاصة تنعى فيها الفقيد الكبير، وتشيد بمنزلته العلمية والأدبية وتشير إلى الخسارة البالغة بفقده، ومن ساهم في تلك النشرات:

١ ـ جمعية الرابطة الادبية ـ النجف الاشرف.

٢ ـ جمعية منتدى النشر ـ النجف الاشرف.

٣ ـ جمعية التحرير الثقافي ـ النجف الاشرف.

٤ ـ جمعية التوجيه الديني ـ النجف الاشرف.

٥ ـ هيئة خطباء المنبر الحسيني في النجف الاشرف.

٦ ـ دار التعارف ـ بغداد.

وكانت فاتحة آل الفقيد غاصة بمختلف الطبقات والهيئات العلمية والأدبية والسياسية في العراق، واعقبت فاتحة آل الفقيد فواتح اخرى داخل النجف وخارجه وهي كما عرفنا:

١ ـ فاتحة جمعية الرابطة الأدبية في النجف.

٢ ـ فاتحة هيئة خطباء المنبر الحسيني في النجف.

٣ ـ فاتحة محلة البراق في النجف.

٤ ـ فاتحة آل جبارة في النجف.

٥ ـ فاتحة العلامة الشيخ جواد الظالمي في مدينة البياع بغداد.

٦ ـ فاتحة جامع الحاج ابراهيم الساعاتي في مدينة الكمالية بغداد.

٧ ـ فاتحة جمعية العدالة الاسلامية في مدينة السلام بغداد.

٨ ـ فاتحة محلة الكريمات بغداد.

٩ ـ فاتحة جامع الحاج عباس الشوك بغداد.

١٠ ـ فاتحة الحسينية الكبيرة في كرادة مريم بغداد.

١١ ـ فاتحة هيئة خطباء المنبر الحسيني في المعقل البصرة.

١٢ ـ فاتحة حسينية آل فخر الدين في العشار البصرة.

١٣ ـ فاتحة حسينية اهالي السماوة المقيمين في البصرة.

١٤ ـ فاتحة مدينة الكوت.

١٥ ـ فاتحة مدينة تلعفر.

١٦ ـ فاتحة مدينة قلعة سكر.

١٧ ـ فاتحة مدينة ناحية الاحرار.

١٨ ـ فاتحة مدينة الحيرة.

١٩ ـ فاتحة اهالي صوب الخسف في ناحية الشنافية.

٢٠ ـ فاتحة اهالي صوب السراي في ناحية الشنافية.

٢١ ـ فاتحة الحجة الشيخ عبد الكاظم الغبان الشنافية.

٢٢ ـ فاتحة مدينة المشخاب.

٢٣ ـ فاتحة الحاج مهدي الغرباوي في قلعة صالح.

٢٤ ـ فاتحة ناحية الدجيل.

٢٥ ـ فاتحة الحجة الشيخ علي الصغير ـ جامع براثا بغداد.

٢٦ ـ فاتحة خطباء عبادان والمحمرة في دار الحجة السيد عدنان في خرمشهر ـ ايران.

٢٧ ـ فاتحة آل سيد نزاري في المحمرة ـ ايران.

٢٨ ـ فاتحة الحجة السيد عباس المهري ـ الكويت.

٢٩ ـ فاتحة مدينة الحلة.

٣٠ ـ فاتحة أهالي مدينة الحرية بغداد.

٣١ ـ فاتحة أهالي الصويرة.

٣٢ ـ فاتحة الخالص أهالي الحويش.

وهكذا تشارك الامة النجف الاشرف احزانها في فقد هذه الشخصية التي خسر فيها العلم والادب والخطابة علما من أعلامها.

وممن ارخ هذا المصاب الجلل الشيخ الجليل الاستاذ الشيخ محمد الخليلي ـ أحد مؤسسي هذه الجمعية وأدبائها اللامعين قال:

نعى ابن يعقوب ناعي الحتف حين نعى ... به الفضائل والاخلاق والادبا

والثكل للنبر العالي بمجلسه ... كأن سحبان ما أوحى وما خطبا

وتلك اندية الاداب كان لها ... للصباح منه استارت رشدها فخبا

و لم يجد بعده للملهوف حاجته — تقضي وكان له قبلا اخا وأبا
قضى الحياة بأرشاد بمقوله — ومزبر سال اصلاحا بما كتبا
وكرس العمر في مدح النبي وفي — مدح الوصي وآل المصطفى النجبا
وذي مرائيه قد امست (ذخائره) — لموقف ليس يجدي غير ما اكتسبا
وراح تحت لواء السبط منتصرا — اذ كل من ضمه ذاك الوا غلبا
فيا له من فقيد لم نجد بدلا — عنه لدى المجد والعليا وقد وهبا
وافضل اذ راح تاريخ الفقيد نعى — عميد رابطة الاداب والخطبا ١٣٨٥هـ

الفقيد في التاريخ:

انبرى جماعة من الشعراء الذين اشتهروا بنظم التواريخ الشعرية يؤرخون عام وفاة الفقيد، وها هي بعض تلك التواريخ التي جادت بها قرائح اولئك الشعراء الافاضل:

للشيخ كاتب الطريحي:

رابطة العلم بكت — عميدها المهذبا
ذاك ابوموسى الذي — رثته جل الادبا
ارخت باكيا له : — (مات كبير الخطبا)

وللخطيب السيد علي الهاشمي:

قضى ابن يعقوب وناعي الحجى　　للفضل ينعاه وللعلم
والله قد قال بتاريخه　　(أجل بكاه رائق النظم)

وللسيد علي الهاشمي أيضاً:

قضى ابن يعقوب والناعي نعاه ألا　　اساء صرف الردى فينا تصرفه
والناس تندبه شجوا واد معها　　من ذوب اكبادها أرخت: (تذرفه)

وللسيد محمد الحسيني الحلي:

خطب ألم على الثقافة فأنبرى　　يبكي له وجدان كل خطيب
ألوى بشيخ العبقرية ناسفا　　حصنا يلوذ إليه كل أديب
والمنبر المفجوع ينشد صارخا　　أرخ: (فقيدا شيخنا اليعقوبي)

وللشيخ علي البازي:

غاب أبو موسى وباق ذكره　　ما بيننا ما دارت الدوائر
بكت عليه اعين الفضل دما　　ارخ: (وقد أثكلت المنابر)

وللاستاذ صالح الجعفري:

أجاب ابن يعقوب داعي الاله　　وها هو يسعد في نعمته
فان جزت يوما على قبره　　فشم الغوالي في تربته
تجد نفحات رياض الجنان　　تعبق بالطيب من روضته

لقـد ضـم هـذا الـثرى سـيدا ... قضـى عمـدة العمـر في خدمتـه
ومـن كـان سيفا علـى الظـالمين ... تغمـده الله في رحمتـه
ومـن آنـس الحـق في وحدتـه ... يؤانسـه (الحـق) في وحدتـه
ومـن آزر الديـن في غربتـه ... وقـام الليـالي علـى نصرتـه
وارخ (فقـد رضـي الله عنـه) ... (وعطـر مثـواه في جنتـه)
١٣٨٥ ... ١٣٨٥

وللشاعر عبد الكريم الندواني:

مـا بـال نفسـي لم يـرق ... لمسـامعي في النـاس ذاكـر
يـروي الجفـون مدامعـا ... حتـى تفيـض بهـا المحـاجر
قـد كـان يعقـوبينـا ... بحـرا بموج العلـم زاخـر
هـل غـاب ملفوعـا بنشـر ... الوعـظ في أهـل المقـابر
لكنـني لمـا أنطـوى ... أثـر الخطابـة لا المـآثر
ناشـدت أهـل الفـن مـن ... للوعـظ في الجيـل المعـاصر
قـالوا أجـل فينـا الـرواة ... عـن الاوائـل للأواخـر
فـأجبتهم في منطـق الـ ... تـاريخ لا خلـت المنـابر

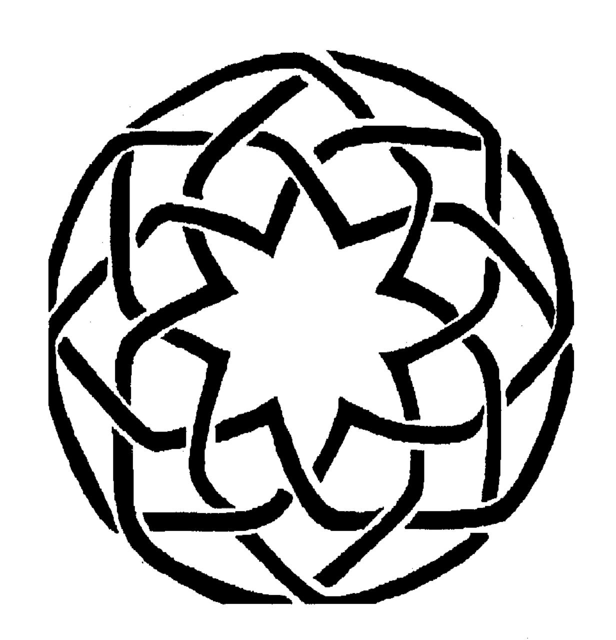
١٣٨٥ هـ

وللخطيب السيد عبد الامير الاعرجي:

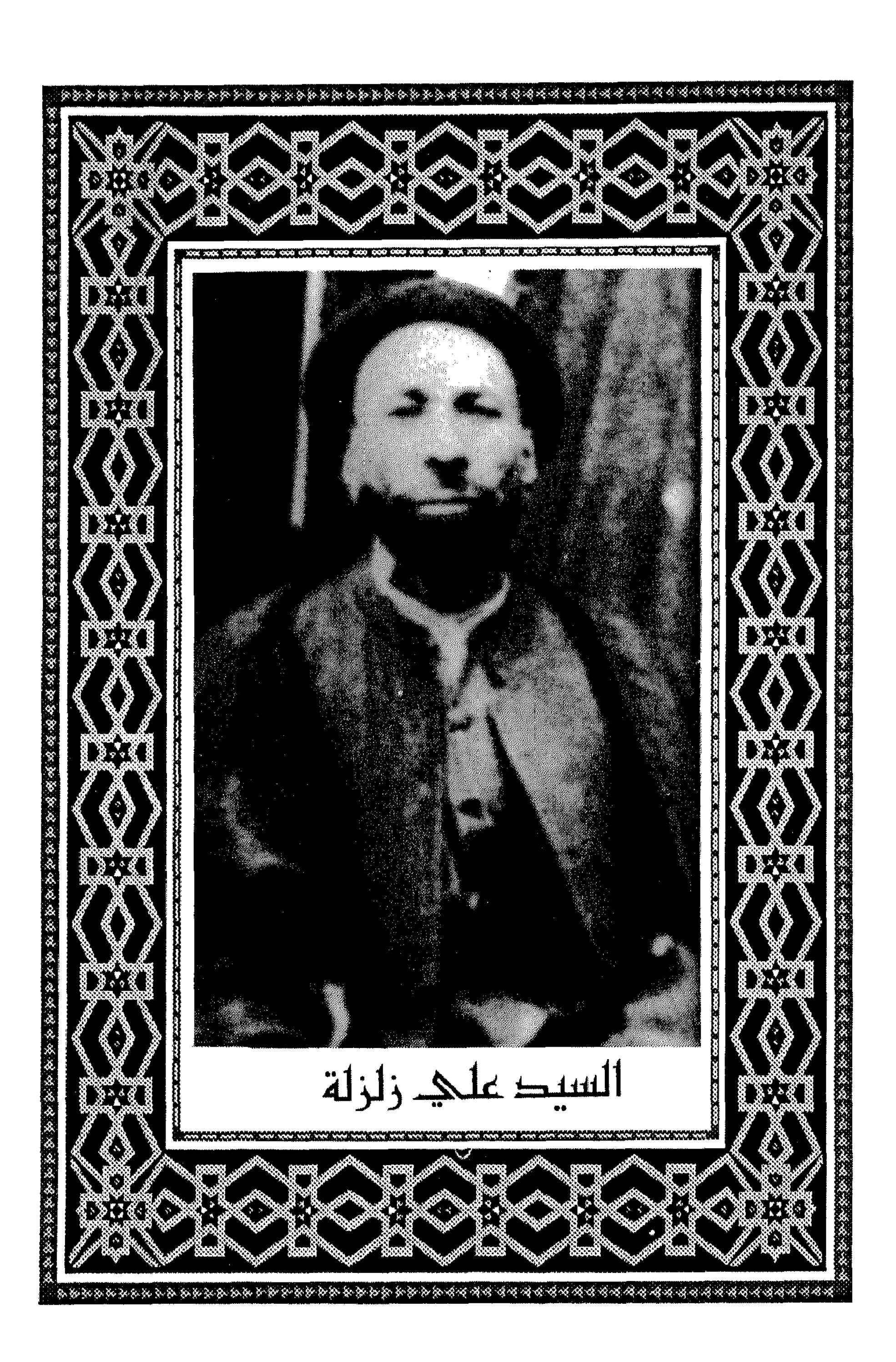
نادب أهل البيت اصحاب العبا	سليل يعقوب عميد الادبا
علي قدر قد تسامى قدره	إلى الثريا فأنار الشهبا
والد موسى كم له من مواقف	ينسيك سحبان إذا ماخطبا
والبابليات وما أدراكها	قضى بها للعلم ما قد وجبا
وكم له من موقف مشرف	شن على ابناء حرب حربا
له بمدح المصطفى وآله	ذخائر أنوارها لن تحجبا
في فضل أهل البيت كم من آية	رائعة يجلو سناها الغيهبا
يعنو جرير وابن جهم خاضعا	والحكم الكلبي يحثو التربا
مثل الكميت والتميمي جرى	مجليا جواده وما كبا
سل ثورة العشرين كم قصيدة	الهب فيها عزم اصحاب الابا
ما مات بل حيا أراه خالدا	في الناس فيما قد روى او كتبا
فكم حديث قد وعاه قلبه	للمصطفى والمرتضى والمجتبى
وللحسين كم اسال اعينا	تجري عليه أبدا لن تنضبا
وكم خطيب قد تلقى فنه	أرخت: (من منبر شيخ الخطبا)

وللشيخ عبد الغفار الانصاري:

ان يغـــب عنـــا علــــي فغـــدا   ســـوف للكوثـــر يغـــدو ســـاقيا
آل يعقـــوب فـــارخت (بكـــم   كـــذب المـــوت علــــي باقيـــا)







السيد علي زلزلة



السيد علي زلزلة



في الثالث عشر من شهر محرم الحرام عام ١٤١٧ هـ الموافق ١٩٩٦/٥/٣١م جمعتنا حلقة مصغرة على طاولة المطالعة في مكتبة الامام الصادق (ع) العامة في الكويت، وكان ذلك الاجتماع العفوي يضم كلا من الاستاذ الشيخ جعفر الهلالي، والخطيب الشيخ صالح الجزائري، والاستاذ الحاج عبد الامير الفيلي مدير المكتبة، وكانت جلسة عاطرة بعبق الهدوء والمحبة والألفة، عامرة بتجاذب اطراف الاحاديث الودّية الممتعة عن ذكريات خلت تتعلق ببعض الشخصيات الكريمة من الخطباء الأوائل، وأدلى كل بدلوه وتحدث عما يجول بخلده، وكانت حصة الاسد في عرض تلك الذكريات بطريقة درامية مثيرة للخطيب الشيخ صالح الجزائري، فلعمري انه محدث بارع يجيد الوصف والتمثيل والمحاكاة التصويرية حتى لطريقة سعال أو عطاس الشخصية التي يتحدث عنها.

ومن ذلك ماطرحه من حديث مما علق باله وارتسم في لوحة ذاكرته من صور ومشاهدات عن شيخ الخطباء الشيخ محمد علي اليعقوبي، وكيف كان يتصنع السعال - أحياناً - في بدء صعوده على المنبر ليتيح لنفسه الفرصة ان يجيل ببصره نحو المستعمين ويتصفح وجوههم ليقف على مستواهم الثقافي، حتى يتمكن من طرح الشيء الملائم والحديث المناسب والموضوع المطابق لمقتضى الحال ثم استشهد الجزائري بلقطة استدل بها على سعة اطلاع اليعقوبي وطول باعه في الادب والتحقيق أن فاجأه يوماً الشاعر محمد مهدي الجواهري وهو في جلسة استرخاء في احدى مقاهي بغداد، فقرأ الجواهري بيتين من الشعر - لم يحفظهما الراوي - بقصد التحرش والدعابة الساخرة بالشيخ اليعقوبي وكيف يجلس بذلك المقهى وهو الشيخ الوقور والعلم المذكور!!.

فما كان من اليعقوبي الا ان افشل سخرية الجواهري وردّها عليه بسؤاله عن مصدر هذين البيتين بشكل تحدي ومن هو قائلهما؟؟ فنسبهما الجواهري لاحد الشعراء فاثبت له اليعقوبي فوراً زيف تلك النسبة، وانهما للشاعر الفلاني المتوفى قبل الشاعر المزعوم بعشرات او مئات السنين، فبان الفشل على وجه الجواهري.

فبادرت انا الآخر لادلي بدلوي في هذا السياق على صيغة سؤال عن قائل الابيات الشهيرة:

الا قـل لسـكان وادي الحمـى   هنيئـا لكـم في جنـان الخلــود

....الخ

فاجاب الاستاذ الهلالي وهو الخطيب الموسوعي المتخصـص في الادب والشعر، وشاركه الـرأي الشيخ الجزائـري باجابـة موحـدة فورية بأنها للنراقي مع السيد بحر العلوم وكذلك سمعت فيما مضى عـن الاسـتاذ الوائلـي يستشـهد بهمـا بنفـس النسـبة للنراقي وبحـر العلوم، فذكرت لهما ماظفرت به مـن تحقيـق الشـيخ اليعقوبـي ان الابيات اقدم من الـنراقي وبحـر العلـوم بثمانمائـة سـنة حيـث انهـا لخلف بن احمد القيرواني الذي تأدب بافريقيا ودخـل مصـر ومـات سنة ٤١٤، ترجم لـه يـاقوت في معجمـه ج١١ ص٦٥ قـال ومـن شعره:

هل الدهـر يومـا بليلـى يجـود   وايامنـا بـــاللوى هـل تعـود

ومنها:

الاقـل لسـكان وادي الحمــى   هنيئـا لكـم في جنـان الخلــود

افيضوا علينـا مـن المـاء فيضـا   فنحـن عطاشــا وانتـم ورود

واوردهما البهائي في الكشكول غير مرّة[1]

---

(1) مجلة الايمان المجلد الاول ص٧٧٨.



السيد المترجم الأول من اليسار من السادة الجالسين على الكراسي بين كوكبة من المؤمنين.

وبعد هذا فلا ادري لماذا جرّنا الحديث وطالت المقدمة وتشعبت، وكنت أودّ الاشارة الخاطفة والمرور العابرلتكون ذريعة ومدخلاً لترجمة الخطيب الجليل السيد علي زلزلة. حيث بتلك الجلسة وبذلك المحضر قررت الكتابة عن هذه الشخصية الكريمة عندما بادرني الاستاذ الفيلي بنقل توصية خاصة وطلب مؤكد على لسان الاستاذ الاديب عبد المطلب الكاظمي - وزير النفط الكويتي الأسبق - حول عدم إغفال الكتابة عن ترجمة خاله الخطيب - زلزلة واختلف الحاضرون في تحديد اسمه بين علي وحسن، فاخبرتهم بمعرفتي الشخصية بالمرحوم السيد حسن زلزلة الذي كان من روّاد حسينية السيد عمران القديمة في منطقة بنيد القار قبل انتقالها إلى موقعها الحالي في شارع الاستقلال بمنطقة الدسمة، واتذكر جيداً كيف ان هذا السيد الشريف كان يؤم الحسينية المذكورة ومن حوله انجاله الكرام، ومن بينهم ولده الخطيب السيد المصطفى وكان يومئذ لم يبلغ الحلم.

أجل لم يكن السيد حسن خطيباً حسينياً ولكنه خلّف خطيباً من مفاخر الخطباء كفاءة وايماناً وتقوى وهو الخطيب المصطفى الذي ستأتي ترجمته في الأجزاء المقبلة ان شاء الله.

فلم يبق بعد هذا التحقيق الا أن يكون المقصود هو السيد علي زلزلة والد السيد حسن وجد السيد مصطفى ودلفت اتصفح كتاب المرجاني في خطباء المنبر، وقد علق ببالي أنه ترجم للسيد

المشار إليه لعلّي اظفر ببغيتي، فعثرت على تلك الترجمة الموجزة ومن غريب المصادفات أشارة المرجاني في ذيل الترجمة أنه كتبها بأيعاز وإلفات نظر من المرحوم الحاج زيد الكاظمي، وهكذا شاءت الصدف واتفقت توارد النوايا والخواطر بين الشقيقين الكاظميين لأحياء ذكر هذا السيد العلم بتثبيت تاريخه وتسجيل ترجمته على صفحات معجم الخطباء ومن ورّخ مؤمناً فكأنما أحياه كما ورد في الحديث النبوي الشريف[1].

أسرته ونسبه:

تتوزع هذه الأسرة الكريمة التي تتصل حلقات نسبها بالأمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن طريق عبد الله المحض بن الحسن المثنى ـ كما سنعرض ذلك مفصلاً فيما يلي ـ وتنتشر في أمصار وأقطار مختلفة من أهمها العراق والكويت وسوريا ولبنان وهي من الأسر التي حظيت بقسط وافر من المجد والشرف والسؤدد، كما حفلت بشخصيات مرموقة واعلام بارزة في عالم الفضل والادب والثقافة وخدمة المنبر الحسيني ومن هؤلاء الاعلام سيدنا المترجم فهو السيد علي بن السيد صالح بن السيد صادق بن السيد محمد بن السيد صادق بن اسماعيل بن قاسم بن

---

[1] معجم الخطباء ج ٢ ص ٩.

محمد بن أحمد بن محمد بن شرف الدين بن شهاب الدين أحمد بن عز الدين حسين بن حمدان بن محمود بن أبي الفضل بن يحيى بن جريان بن الحسن بن ذياب بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن محمد ابن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الامام الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ولادته ونشأته وهجرته:

اطل على الحياة من ثرى العز والكرامة حيث مولده الميمون في أرض كربلاء، وتدرج ناشئاً بحمى أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الاشرف، ثم هاجر ميمماً شطر الكويت وأقام فيها حتى عام ١٣٨٠ هـ حيث وافته المنية ليلة الاحد في الخامس من شهر شعبان المعظم، ليعود مرّة أخرى بجثمانه المقدس إلى جوار جده أمير المؤمنين عليه السلام ليرقد في روضته خالداً مطمئناً بعد حياة حافلة بمواقف الشرف والتقوى تجاوزت مسيرتها العقد التاسع من العمر بناء على رواية الحفيد المصطفى الموثقة عن المرحوم والده بأن ليس بين أيدينا رقماً محدداً معتمداً لسنة ولادته بيد أنه عاش عمراً طويلاً تجاوز التسعين أو الخامسة والتسعين عاماً، وعلى هذا الإساس نستنبط تاريخ ولادته على وجه التقريب والتخمين بعام ١٢٨٥هـ.

خطابته:

لاشك ان هذا الطراز المتميز من الرعيل الاول لرجال المنبر الحسيني يقومون بهذه الخدمة الشريفة بحرارة المعتقد وغزارة العواطف وأخلاص النوايا.

واذا ما استقرأنا تاريخ تلك الحقبة تجد أن الأسلوب التقليدي هو السائد والمسيطر على أجواء الساحة المنبرية يومئذ والذي يعتمد أساساً على أثاره العواطف وربط الجمهور وجدانياً وعاطفياً بثورة سيد الشهداء عليه السلام، وقد يتخطى قليلاً نحو إضافة شيء من التاريخ أو الأدب أو الموعظة. وليس لدي مصدر يتحدث عن خطابة سيدنا المترجم سوى الصورة التي رسمها المرجاني في خطباء المنبر فقال: (وكان خطيباً مفوهاً بارعاً في سيرة الامام الحسين وأهل بيته عليهم السلام، وكان يعد من الطبقة الجيدة للمنبر، حسن الاسلوب، مواضيعه أكثر ما فيها التوجيه الديني[1].

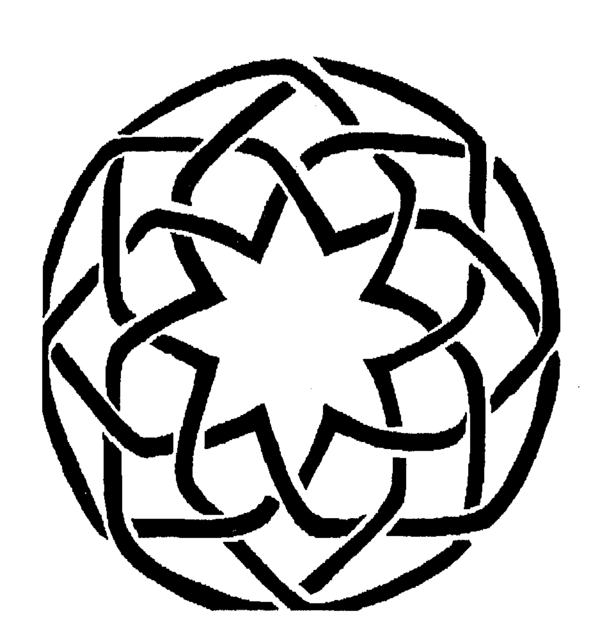
وبطبيعة الحال لم يكتمل النصاب الشرعي بهذه الشهادة، فلا بد من شاهدين عادلين لاصدار الحكم المسؤول، وكم اسفت على اضاعة الفرصة دون أن اتزود بمعلومات كافية عن طريق المرحوم السيد حسن زلزلة النجل الاكبر لسيدنا المترجم، ولا يترك الميسور بالمعسور وما لايدرك كلّه لا يترك جلّة، فربما التقطت من هنا

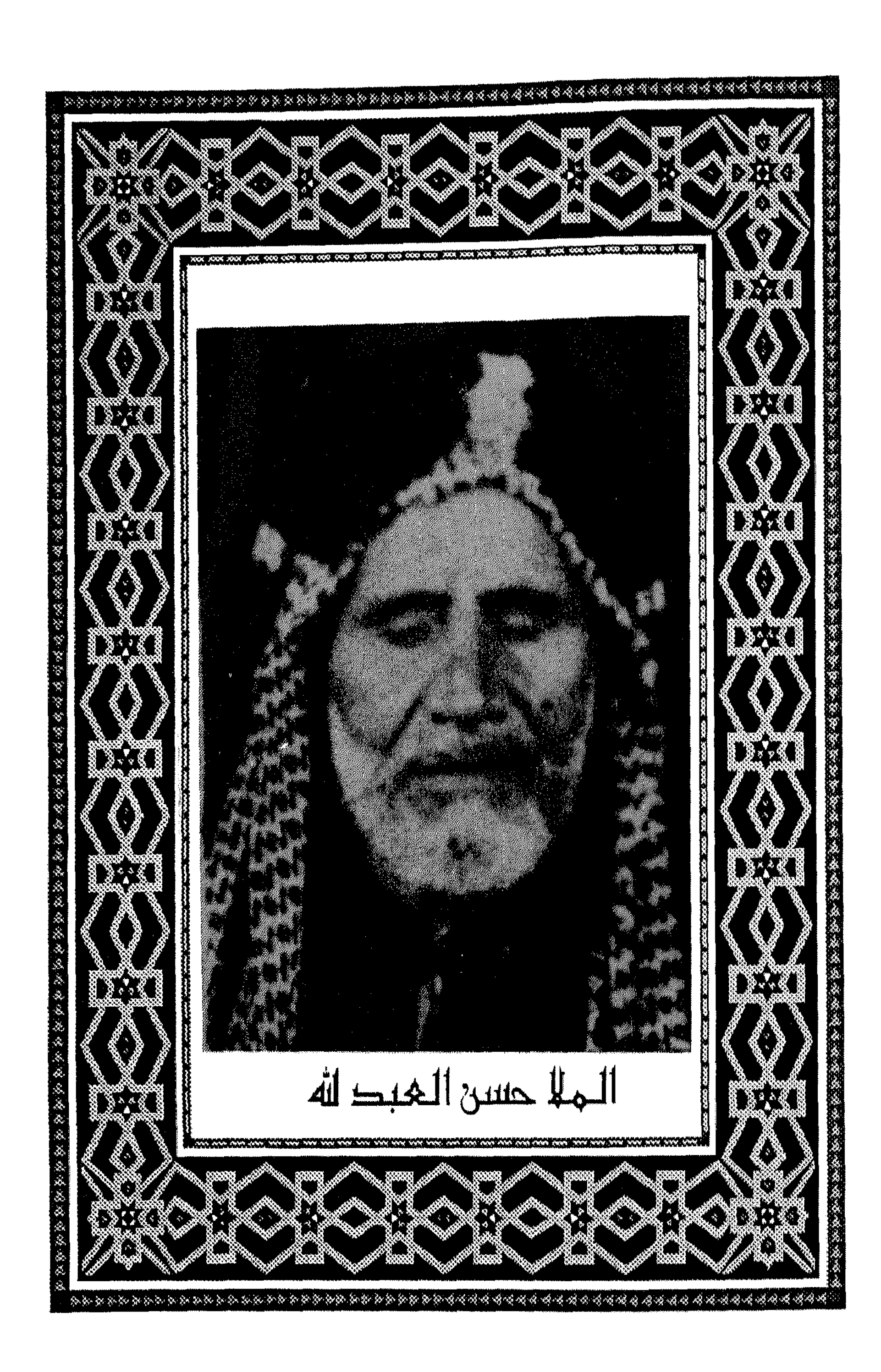
---

(١) خطباء المنبر الحسيني ٢/٢٥٠.

وهناك فكرة اجمالية، ولو كانت متناثرة ومتقطعة، إلا أنها تلتقي وتتمحور بنقطة مركزية واحدة وهي أن السيد المترجم كان في عداد الخطباء اللامعين من أبناء جيله وزمانه.

فرحمه الله يوم ولد في جوار سيد الشهداء ويوم رقد بجوار أمير المؤمنين ويوم وفد إلى جنة الخلد مع أجداده الطيبين الطاهرين.





الملا حسن العبدالله





الملاّ حسن العبد الله

من التقاليد المتّبعة عالمياً، والاعراف المعمول بها عند الامم والشعوب كافة، تكريم رجالاتها وصنّاع مجدها ورموز حضارتها، الذين كان لهم دور بارز في ميادين الحياة المختلفة.

كما تقاس عظمة الشعوب والمجتمعات بما تمتلك من رصيد نوابغ وعظماء وشخصيات وضعت كيانها وطاقاتها لخدمة المجتمع.

ولذا تفاخر الاصناف والفئات الاجتماعية بمختلف قطاعاتها بما تمتلك من روّاد أوائل ورعيل مؤسس لمجدها ونهضتها الحضارية، فتبادر لتكريمهم وتخليد ذكرياتهم وتسجيل اسمائهم بأحرف من نور على صفحات المجد والخلود.

وكم رأينا وسمعنا وقرأنا عن مقابلات ولقاءات ومحاورات أجريت مع رجال لهم الأسبقية في العمل والعطاء والابداع والخدمات العامة في مجالات اختصاصهم وفي دوائر اهتماماتهم فيقال فلان من المحاربين القدماء وفلان من المجاهدين الأوائل وفلان

من رجال النهضة، وهذا من (نواخذة) البحر ورجال الغوص، وذاك من أعلام الفن الفلاني وهكذا دواليك وإذا كانت كل الطبقات والشرائح الاجتماعية تحتفل وتمجد وتعتز وتخلد أفذاذها ورجالها، فلا نغفل بدورنا الاعتزاز بطبقة رائدة من رجال الاصلاح الاجتماعي والتنوير الديني، وتثقيف الجمهور وربطه عقائدياً وولائياً وعاطفياً بالمنابع الاصيلة للاسلام والمصادر الصافية المعتمدة للعقيدة، تلك هي طبقة خطباء المنبر الحسيني.

وفي الكويت كما في سائر الاقطار الاسلامية رصيد من هؤلاء الرجال الافذاذ والجنود المجهولين في رفد المجتمع بمقومات البناء الداخلي للانسان وتنقية الاجواء الروحية ليعيش حياة آمنة مستقرة، ونشر مفاهيم التقوى والخلق القويم والسلوك الطيب من خلال المواسم الدينية والمناسبات الاسلامية التي تتجمهر فيها أعداد وحشود هائلة، وتحتشد فيها جموع كبيرة وهي على درجة عالية من التهيؤ والاستعداد النفسي لتقبل النصائح والتوجيهات والارشادات التي يطرحها هؤلاء الاعلام من على منبر سيد الشهداء عليه السلام.

ومن هذه الشخصيات خطيبنا المترجم الملا حسن بن محمد بن عبد الله الناصر الذي استقرأت أخباره وتتبعت سيرته من خلال صور الاعجاب والاكبار التي يتناقلها معاصروه وعارفو فضله ودارسو تاريخ حياته فقد وصفه الاستاذ الفاضل علي محمد المهدي

على صفحات مجلة المواقف الغرّاء في الحقل الذي يكتبه تحت عنوان شخصيات من الخليج بما يلي:

شخصية فذة من الشخصيات الاسلامية في الكويت، قضى جل حياته في خدمة الدين والعقيدة من خلال المنبر الحسيني حيث أنه كان خطيباً لامعاً في تلك الحقبة من حياته، وكان له دور بارز في بث الوعي الثقافي الاسلامي، وكانت له مساهماته الواضحة في نشر التعاليم العقائدية وغرس بذور الولاء لاهل البيت عليهم السلام، تخرج من مدرسته العديد من شخصيات الكويت نذكر منهم الاديب الكويتي الاستاذ عبد الرزاق البصير والحاج عبد الله بن حسن البغلي (عميد أسرة البغلي) في الكويت والمرحوم الحاج عاشور العبد السلام، والمرحوم الحاج نجم المسري ، والحاج محمد الخرس، وصالح ابراهيم العبد الله، وغيرهم كثيرون تعلموا وحفظوا القرآن المجيد وشيئاً من اللغة العربية والدين على الطريقة التي كانت سائدة في الكويت في بداية هذا القرن[1].

ولادته وأسرته:

ولد خطيبنا المترجم في الكويت عام ١٨٨٦ م في أوساط أسرة عربية عريقة اشتهرت بأسرة الناصر، وهي من فروع القبيلة

---

(١) الموقف ص ٩ عدد ١٠١١.

العربية المعروفة بالهواجر القحطانية، وقد نزحت هذه الأسرة قديماً من موطنها الاصلي في الإحساء ببلدة (المجمعة) في المملكة العربية السعودية واستوطنت الكويت مثلها كمثل الاسر والعوائل الاحسائية الاخرى التي تمثل طبقة مرموقة ذات ثقل اجتماعي خطير في المجتمع الكويتي، وذات نفوذ فاعل في مختلف المرافق الرسمية والاجتماعية.

وقد تميزت بحرارة الولاء لأهل البيت عليهم السلام، وعمق الايمان بفضائلهم ومناقبهم ، والالتزام بأقامة محافلهم واستعادة ذكرياتهم طيلة العام لاسيما في حسينياتهم العامرة كالحسينية الجعفرية والحسينية العباسية وحسينية آل يس وحسينية الزهراء والحسينية الحيدرية والحسينية الرضوية والحسينية الهاشمية وحسينية الهزيم وغيرها.

ففي هذه الاجواء الكريمة العابقة بشذى الولاء لمحمد وآل محمد تبرعم خطيبنا المترجم، وفي السنة الرابعة في سني طفولته المبكّرة أصيب بمرض الجدري فكف بصره ونشأ كفيفاً بصيراً.

دراسته:

لاشك أن خطيبنا المترجم تلقى تعليمه بالطريقة التقليدية المألوفة يومئذ في مكاتب تحفيظ القرآن، وتعلم مبادىء القراءة

والكتابة على يد الخطيب الأحسائي الملاّ حسن الهزومي ثم تلقى بعض الدروس الفقهية والدينية على يد عالم من علماء الكويت الاجلاّء هو سماحة العلاّمة الشيخ ابراهيم اسماعيل الذي كان هو الآخر فاقد البصر نافذ البصيرة وكان المرحوم المترجم قوي الحافظة منفتح الذهن حتى أتقن حفظ القرآن الكريم، والتقط الكثير من الاحاديث النبوية الشريفة، واستظهر المزيد من خطب نهج البلاغة، واختزن رصيداً من الادب العربي بقسميه الدارج والفصيح.

وشكلت له تلك الثروة العلمية والأدبية أساساً متيناً للولوج إلى رحاب المنبر الحسيني وخدمة سيد الشهداء عليه السلام وممارسة الخطابة.

خطابته:

كما تلقى مبادىء التعليم وحفظ القرآن على يد الخطيب المرحوم الملاّ حسن الهزومي، كذلك تتلمذ عليه خطابياً، ويعتبر هو أستاذه الاول في الفن الخطابي حتى استقل بنفسه خطيباً مفوهاً في سنة المبكرة فقد ارتقى الاعواد ولما يكتمل عقده الثاني.

وعلى منبر الحسينية الخز عليه في الكويت كان مجلسه الاول الذي افتتح به عمله المنبري، ثم توالت عليه الدعوات للقراءة في

مختلف المجالس الحسينية سواء في داخل الكويت أو خارجه فقد قرأ في البحرين وقطر ودبي والشارقة ومسقط وزنجبار.

كما تتلمذ على يديه كوكبة من الخطباء الحسينيين منهم الملاّ باقر بن الشيخ ابراهيم وأخوه الملاّ علي الشيخ ابراهيم، والملاّ أحمد المهدي، والملا أحمد بن محمد المويل، والسيد جابر السيد ياسين والملاّ عبد الرزاق البصير وغيرهم.

صلاحه وتقواه:

من السمات التي يجب أن تقترن بشخصية المصلح الاجتماعي هي سمات الورع والصلاح والتقوى وبدون ذلك يفتقد تأثيره في النفوس.

وكان خطيبنا المترجم من الابدال المتحرجين في دينهم المعروفين بصلاحهم واصلاحهم وزهدهم وتقواهم، لذا كانت له المكانة المرموقة في مجتمعه والمنزله الرفيعة في قلوب عارفية، وقد رويت عنه بعض الصور والأحداث الدالّة على صفاء نيته ونقاء سريرته مع الله.

ومن شواهد ذلك ما ذكره ولده الحاج جواد الناصر عن إحدى سفرات أبيه إلى البحرين لقراءة العشرة الاولى من شهر محرم الحرام وكان هو برفقة أبيه ومن شهود العيان لهذه الحادثة

وملخصها أن والده بعد انتهاء موسم عاشوراء أرسل لعائلته في الكويت خمسمائة روبيه مع (نوخذة) معروف عند الكويتيين يدعى (معيجل) وهذا الاسم أما تصغيراً لمعجّل من العجلة والسرعة، أو تصغيراً لمعقل والكويتيون وبعض العراقيين يقلبون القاف جيماً في مثل هذه الاسماء كما يقولون عن عقيل عجيلاً ويعبرون عن العاقل بالعاجل وعن القاسم بالجاسم وهكذا.

وكان (معيجل) هذا يملك سفينة يتولى قيادتها بنفسه وبينما هو في وسط البحر في طريقه إلى الكويت إذا تعرضت السفينة لعاصفة شديدة ثم ارتطمت بصخرة كبيرة في جوف الليل وفي حلك الظلام الدامس والجو المرعب فتحطمت السفينة بالقرب من الجبل وتعرضت للغرق في عمق البحر ومات جمع من بحارتها وكانت معهم مبالغ كبيرة جداً تتجاوز عدة ألوف من الروبيات كودائع وأمانات وأموال تجارية، ولما وصل الخبر إلى الكويت بادر التجار الكويتيون بالاتصال بأخوتهم في البحرين لتدارك وانقاذ مايمكن أنقاذه من أموالهم وتم الاتفاق على إرسال غواصين إلى مكان الحادث ليتحروا ويتفحصوا مكان تحطم السفينة عسى أن يعثروا على أموالهم الغريقة ولهم نسبة الربع مما يستطيعون انقاذه فقام الغواصون بمهمتهم ولكنهم فوجئوا بتمزق الأوعية الحافظة لتلك الأموال وتبعثر محتوياتها مما شق عليهم وضاعف جهودهم فطالت عليهم مدّة البحث واشتدت عليهم وطأة البرد القارص

فطلبوا زيادة الاجر فجعلوا لهم نصف ما يستخرجون ثم تضاعفت عليهم قسوة البرد وشدة المعاناة فاعطوهم ثلاثة أرباع والربع الباقي لأصحابه.

وكان الملا حسن ـ خطيبنا المترجم ـ قد كتب كتاباً إلى الحاج أحمد الخرس رحمه الله يخبره عن ارساله خمسمائة روبية لعائلته مع النوخذه معيجل صاحب السفينة المحطمة، وشاءت المقادير أن يصل الكتاب متأخراً فاخذه المرحوم الخرس وعرضه على الشيخ عبد الله الجابر وكان يشرف يومئذ على عمل الغواصين في استخراج الأموال من البحر، وما أن قرأ الرسالة حتى التفت إلى الخرس مخاطباً: أن أموال خالك الملا حسن أموال من الحلال الخالص خذها كاملة لم ينقص منها شيء ولم تتعرض لضرر ودفع له خمسمائة روبية عداً ونقداً ببركة سيد الشهداء عليه السلام.

وحادثة أخرى رواها الاستاذ المهدي في مجلة المواقف تتلخص أن المرحوم المترجم كان على متن سفينة تقلّه إلى وطنه الكويت فهبت عاصفة شديدة أوشكت معها السفينة وركابها على الغرق فصاح ربّانها (النوخذة) بلهجة المستغيث: أين أنت يا ملا حسن؟ أين دعواتك الصالحة؟ فتضرع إلى الله بخالص الدعاء وتوسل إليه بمحمد وأهل بيته فانجى الله السفينة وركابها من غرق محتم ببركة دعواته وكرامته عند الله عز وجل.

وصورة أخرى من صور الإيمان والتقوى نقلت عن المرحوم العلامة الشيخ ابراهيم إسماعيل وهو في حالة النزع والاحتضار وكان الملا حسن يقرأ عند رأسه سورة يس، فأخطأ في بعض آياتها، وكان يومئذ لم يتمكن من حفظها تماماً فرد عليه العلامة المحتضر وهو على فراش الموت يعالج الروح مصححاً له الخطأ، وتمر الأيام سراعاً فيحتضر الملا حسن للموت وتشتد عليه حالة النزع فيقرأ له أحد المؤمنين سورة يس فيخطأ هو الآخر ببعض آياتها فيبادر الخطيب المحتضر لاعادة الصورة السابقة مع استاذه الراحل فيصحح الخطأ في قراءة القرآن الكريم وهو يصارع سكرات الموت ثم اسلم الروح إلى بارئها آمنة مطمئنة.

وفاته وخلفه:

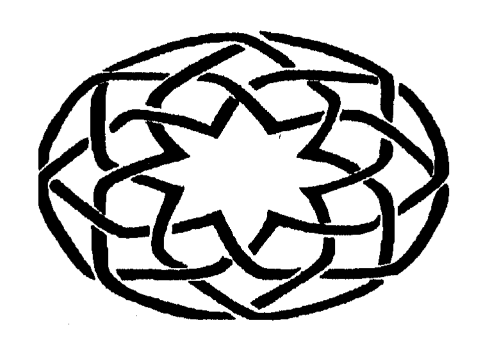
بعد عمر حافل بخدمة سيد الشهداء عليه السلام، وحياة طافحة بمعاني الخير والمعروف والاصلاح، وفد على ربه بتاريخ ١٥/١٢/١٩٦٣م في الكويت، ونقل جثمانه إلى النجف الأشرف ليرقد في وادي السلام بجوار أمير المؤمنين عليه السلام في روضة خالدة وفي أرض مقدسة طابت وطاب من دفن فيها وفاز فوزاً عظيماً ولسان حاله:

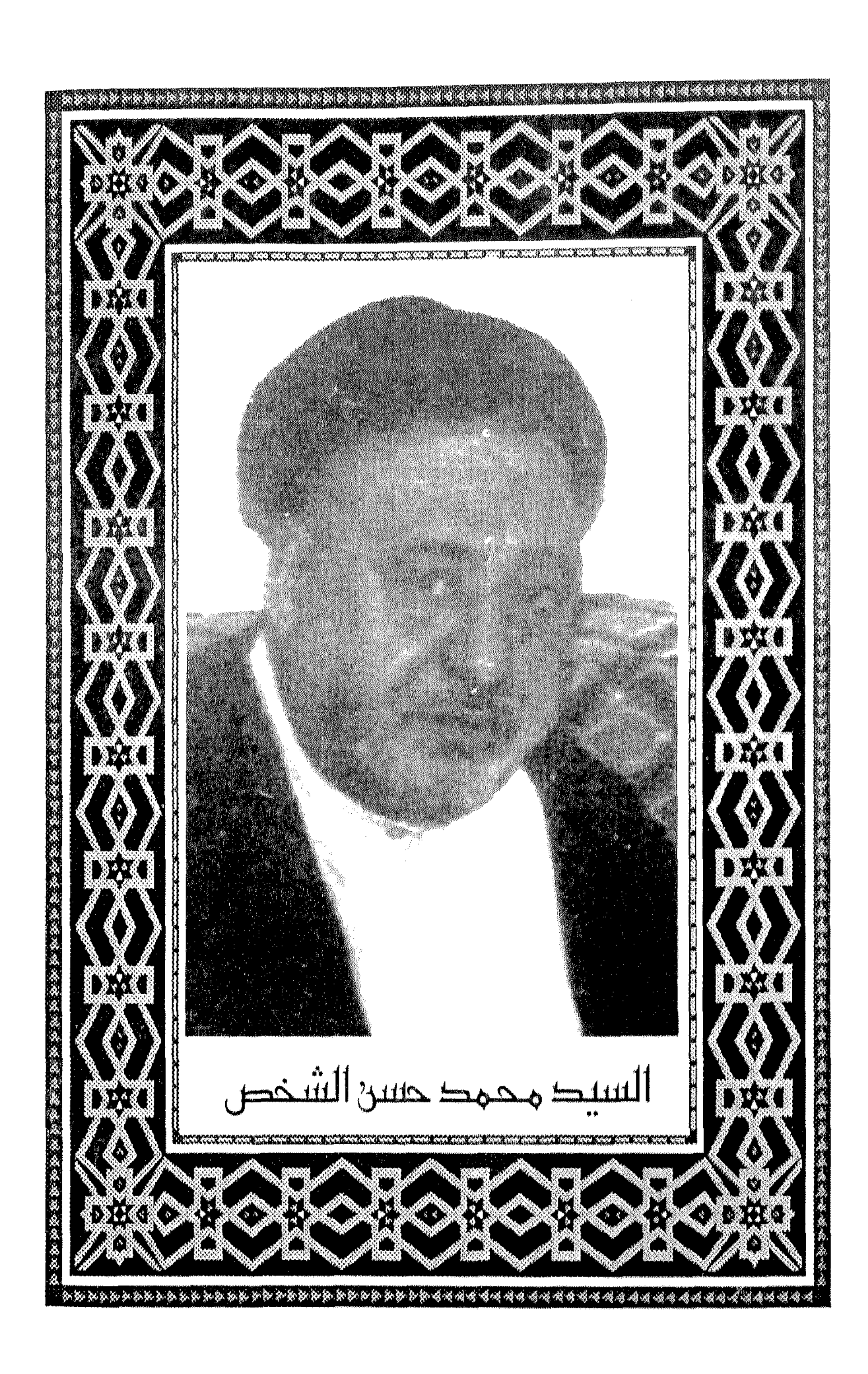
اذا متُّ فأدفنّي بجاورَ حيدرٍ   أباشبّر أعني به وشبير

فلست أخاف النار عند جواره ولا أتقي من منكر ونكير

وهكذا انتقل إلى مثواه الأخير والتحق بركب الحسين في الآخرة كما كان في ركابه في الدنيا. وقد خلّف أبناءاً كراماً بررة هم ثلاثة ذكور محمد صالح وعلي وجواد وابنتين كريمتين فاطمة وبيبي.

وبقي ذكره عاطراً وتاريخه ناصعاً وأسمه مخلداً في عداد خدّام سيد شباب أهل الجنة.




السيد محمد حسن الشخص



السيد
محمد حسن الشخص



لو قدر للشهامة والأريحية ان تتمثل في كيان مجسد لكان ذلك الكيان هو الاستاذ الخطيب الالمعي والأديب الجسور السيد محمد حسن الشخص رحمه الله، فلعمري لقد كان هذا الرجل الفذ يتفجر نخوة ومروءة وشهامة، شهم الطباع، كريم النفس، عالي الهمة، مبادراً لعمل الخير والمعروف والاحسان، ومتطوعاً لقضاء حوائج الناس، سخياً بجاهه لمساعدة المحتاجين واغاثة الملهوفين فطالما رأيته يتوسط لهذا ويتصل بذاك ويكتب لآخر ويطالب بحقوق اخوانه واصدقائه ويسعى بنفسه لأنجاز ماتعسر عليهم انجازه، وتحقيق مايتعذر عليهم تحقيقه من آمالهم وطموحاتهم بما يمتلك من شخصية مؤثرة وجرأة وجسارة وأدب رفيع في مقابلة ذوي النفوذ وأهل الحل والعقد.

ولعل من أنبل الصور واللقطات في تسجيل سيرته الفذة انه كان إذا أقبل شهر المحرّم يدور على اخوانه الخطباء ويتفقد شئونهم وأحوال مجالسهم وارتباطاتهم المنبرية في هذا الموسم الهام الذي يعتبر بمثابة المصير السنوي بالنسبة للحالة المعيشية لأي خطيب، فإذا ما وجد احدهم فاتته فرصة الالتزام أو حالت ظروفه دون الاتفاق والارتباط بمجلس حسيني بموسم عاشورا يبادر بسعيه المشكور ويكثف اتصالاته بمعارفه واصدقائه الكثر في دول الخليج وغيرها حتى يهيأ مايستطيع تهيأته من مجالس لزملائه ورفاق عمله بأريحية ونجابة وشرف وأصالة.

عرفت السيد الفقيد ابا نزار منذ زمن بعيد، ولما تزل صورته شاخصة في لوحة الذاكرة وهو يقف منتصباً بقامته الممتلئة وقيافته المهيبة على منبر مسجد الخضراء في النجف الأشرف، حيث يعقد مجلس الخطباء يومئذ واقفاً على قدميه على آخر مرقاة وقد وضع يده على صفحة خده كما يفعل المؤذنون لينعى الحسين بحرقة وشجاء ليستثير العواطف ويستدر الدموع.

وإذا كان لكل فن رجاله المتخصصون، ولكل ميدان ابطاله المتفوقون فسيدنا المترجم من اولئك الرجال الذين نالوا بجدارة واستحقاق بطولة المنبر الحسيني فناً وجرأة وأداءا، إضافة إلى قابلياته الأدبية وظرافته وخفة روحه فهو نديم الملوك وأنيس المجالس وزينة المنتديات.

التقيته واجتمعت به كثيراً في العديد من المناسبات في دولة الكويت وغيرها وزرته في بيته بشارع أحمد الجابر قرب الحسينية الجعفرية القديمة ثم عندما انتقل منه إلى منطقة الشعب، وتكررت لقاءاتي به في مكتبة الأمير حيث كان يرتادها في أغلب أوقاته وكان موضع الحفاوة والترحيب من قبل صاحبها الأخ أبي هادي الحاج محمد علي الوراق ويقضي هناك بعض أوقات فراغه، ومن ذكرياتي في هذا المجلس المصغر أن جاء شخص يسأل عن أحد الكتب المعروفة لمؤلف متواضع رحمه الله، فالتفت السائل إلى سيدنا المترجم قائلاً: سيدنا مارأيك بهذا الكتاب؟ فأجابه السيد بلهجته المرحة وبنبرة ساخرة انه كتاب ذو تجليد فاخر وطباعة انيقة!! وبذلك لم يبد رأياً عن مضمون الكتاب ومحتواه العلمي أو وزنه الثقافي متخلصاً من إحراج السائل بطريقة لبقة وأسلوب ذكي باعطاءه صورة جيدة عن الطباعة والتجليد والمظهر الخارجي للكتاب.

لقد كان السيد الشخص خطيباً لوذعياً ومتكلماً جسوراً يجيد فن القول فيدهش المستمعين، ويرتجل مايناسب مقتضى الحال فيأخذ بمجامع القلوب ويسيطر على الألباب والمشاعر ببراعة وقوة وثقة. ولتوفر عوامل الشخصية النافذة المؤثرة اختاره الإمام كاشف الغطاء في

أكثر من مناسبة ومهمة ومن ذلك أرسله مبعوثاً عنه إلى فلسطين لالقاء كلمة الوفد الشيعي في القدس.

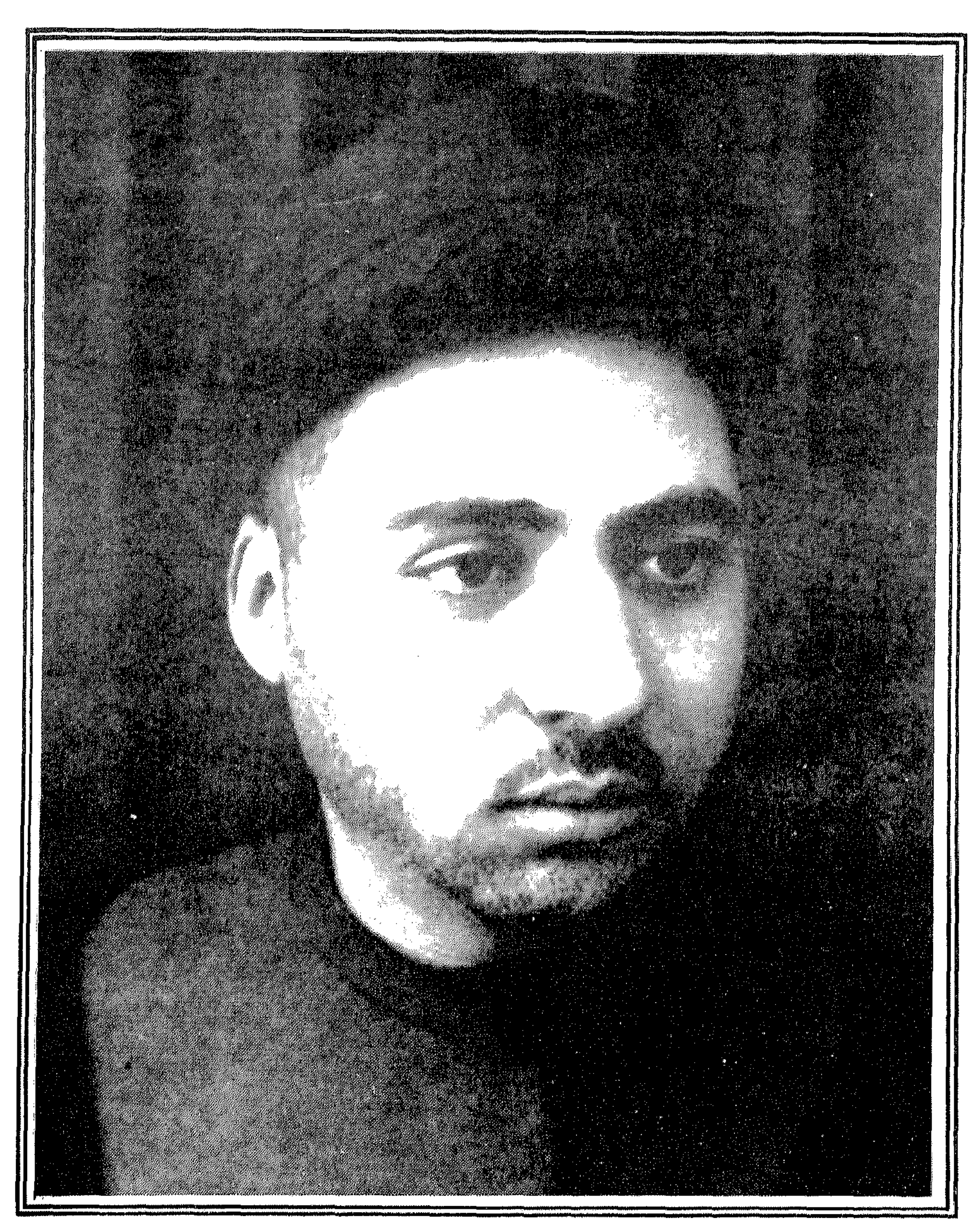
ومن ذلك انتدابه مبعوثاً للامام إلى نوري السعيد على أثر فتنة احدثها كتاب ألفه السيد كاظم الكفائي حول الزهراء عليها السلام فاودع السجن بسببه فقال كاشف الغطاء كلمته المعروفة الكتاب يحرق والكفائي يطلق، واجتمع السيد الشخص بنوري السعيد واستطاع اطلاق سراح الكفائي.

ومن الوفاء ألا نتغافل بهذا السياق سعيه الحثيث لاطلاق سراح الشيخ ليث السهلاني في سجون الكويت بتلك الظروف العصيبة التي أودع فيها بمجموعة من العراقيين على أثر ضغوط وافرازات الحرب العراقية الإيرانية وتفجير السفارة الامريكية وتوتر الأحداث ثم افرج عنهم ورحّلوا مسفرّين من الكويت ومن بينهم كان الشيخ السهلاني الاب والسيد جمال الدين والسيد مضر الحلو والشيخ يوسف دكسن والسيد علي الحكيم والشيخ عبد الجليل ابراهيم وثلة من الشباب، بينما بقي بعض الافراد رهن الاعتقال لعدم توفر الوثائق المطلوبة للسفر والافراج، وكانت الأمور في غاية التأزم وكان من بين هؤلاء المتخلفين في السجن الشيخ ليث السهلاني، وقد اضطربت أسرته ايما اضطراب خشية تسليمه إلى العراق فيكون مصيره الموت المحتم فما كان من السيد الشخص إلا أن يشمر عن ساعد المروءة والشهامة ويبادر لمتابعة قضيته ويكثف

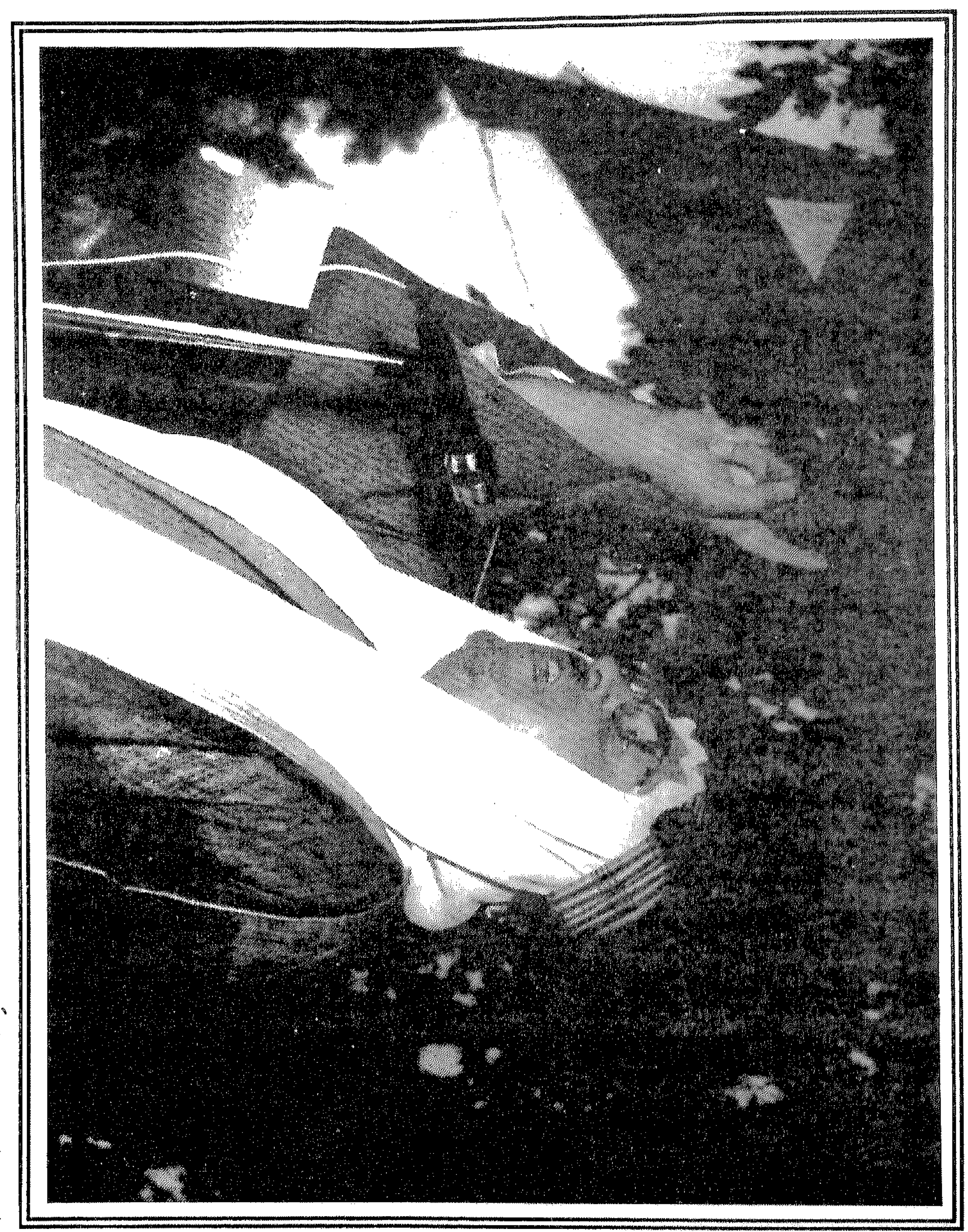
جهوده، لاطلاق سراحه واتذكر أننا كنا على اتصال هاتفي دائم ومستمر معه من دمشق لمواكبة مجريات الموضوع أولاً بأول مراعاة لحالة الشيخ أبيه واسرته القلقة حتى تم الافراج عنه بفضل جهود السيد الشخص.

وكان يقصد بلاد الشام زائراً ومنتجعاً فتتجدد لقاءاتنا به في رحاب السيدة زينب عليها السلام، وفي محل إقامته في مصيف الزبداني الشهير، وتنتظم الولائم التكريمية في بيوت اصدقائه ومعارفه وهو يفيض بشراً وانساً وظرافة، وهو ممن يجيد النكتة بالصوت والصورة والتمثيل والحركة، حتى يجسدها امامك بطريقة كوميدية، فيجعلك تتفاعل معها وكأنك تعيش بين شخصياتها واحداثها.

وبعد هذه الخواطر المتناثرة التي اعتصرها من سجّل الذاكرة نلملم أطراف الحديث لنتعرف على السيرة الذاتية والبطاقة الشخصية لسيدنا المترجم بالطريقة التقليدية المألوفة التي تبدأ عادة من اسرته وولادته ونشأته.



السيد المترجم أيام شبابه.



السيد المترجم خطيباً باللباس العربي المقصب.

وقد نبغت من أسرة آل الشخص كوكبة من اعلام الفضل ورجال العلم والأدب ومن أشهر أعلامهم الفقيه المجتهد السيد محمد باقر الشخص الذي كان من ألمع اساتذة الفقه والأصول في الجامعة النجفية.

وسيدنا المترجم فرع من هذه الدوحة المباركة ويتصل نسبه بالامام موسى بن جعفر عليه السلام، فهو السيد حسن بن السيد أحمد بن السيد علي بن السيد أحمد بن ابراهيم بن رضي بن ابراهيم ابن علي بن محمد بن احمد بن السيد علي الشخص - جد الأسرة - ابن عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر بن موسى بن السيد أحمد المدني بن محمد بن موسى بن محمد بن أحمد ابن عبد الله بن أحمد بن محمد بن جعفر بن أحمد بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن أحمد بن موسى بن حسين بن ابراهيم بن حسن بن أحمد بن أبي يحيى محمد بن أبي جعفر احمد الزاهد بن ابراهيم المجاب بن محمد العابد بن الامام موسى بن جعفر بن محمد ابن علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليهم السلام.

وفي احضان هذه الأسرة المعروفة بالاصالة والشرف ولد السيد الشخص في النجف الأشرف عام ١٣٣٦هـ، ونشأ وترعرع في عاصمة التشييع، وأجواء الإيمان، وظلال امير المؤمنين عليه السلام، وكان جده المرحوم السيد علي الشخص عابداً ورعاً تقياً

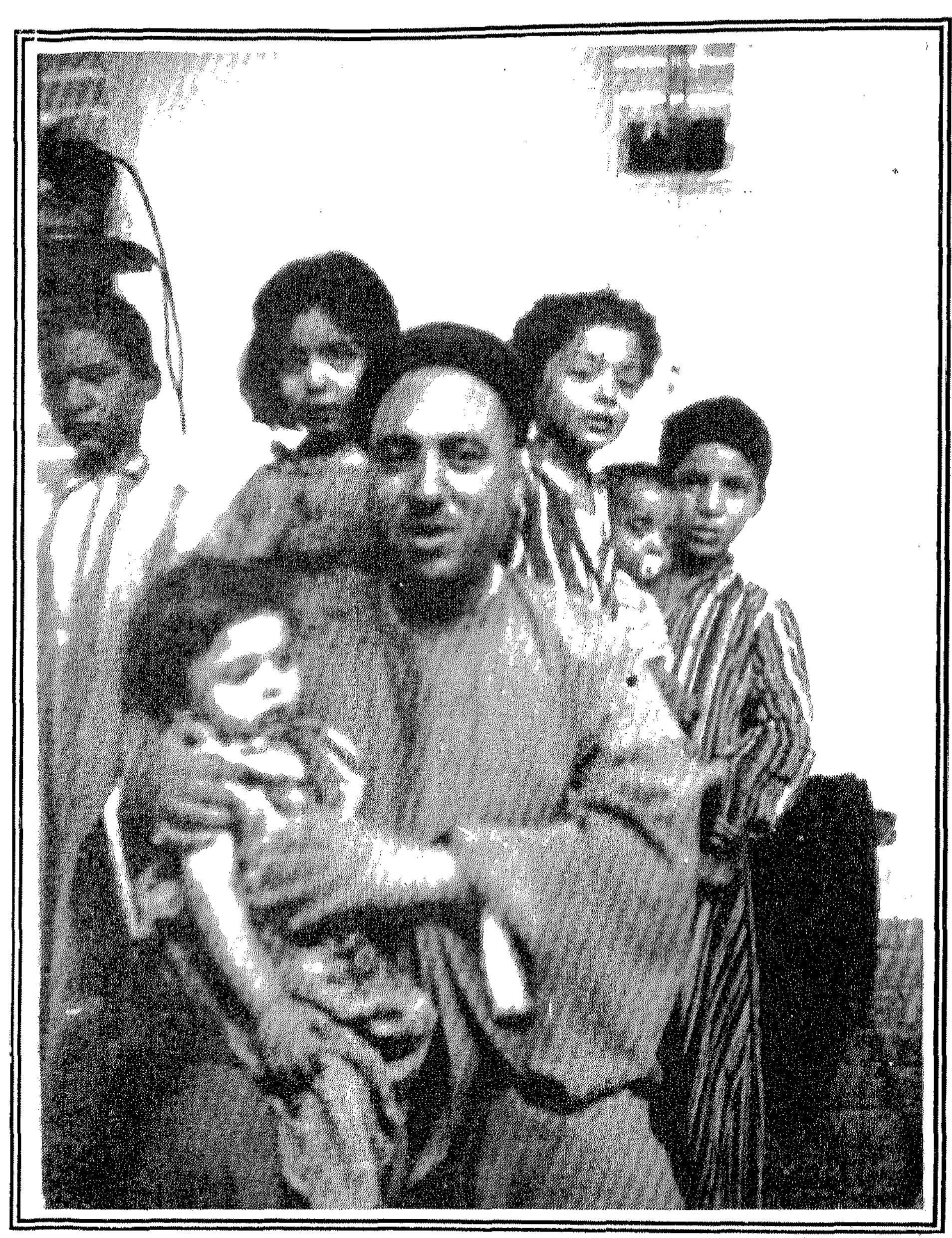
أسرته وولادته ونشأته:

اشتهرت أسرته بآل الشخص،والشخص بفتح الشين وتشديدها مع الخاء الساكنة مشتقة لغة من التشخص والشخوص أي الارتفاع والعلو ويقال شيء شاخص أي مرتفع وبارز ويقال اصطلاحاً فلان شخصية أي ذو مكانة رفيعة ومنزلة عالية وأول من لقب بهذا اللقب من أعلام الأسرة هو السيد علي الشخص الجد الأعلى الذي عاش في القرن الحادي عشر الهجري، وكان ذا شخصية مرموقة مهيبة شاخصة ترمقه الأبصار بالجلالة والاكبار.

وأسرة آل الشخص من أقدم الأسر الحجازية، وأعرق العوائل الاحسائية وأجل البيوت العلوية التي لها مكانة رفيعة ومنزلة منيعة في موطنها الأصلي في أقليم الاحساء بقرية القارة السعودية ومنها هاجرت إلى النجف الأشرف بالعراق لمجاورة مرقد أمير المؤمنين عليه السلام، ثم توزعت هذه الأسرة موطناً وفروعاً على عدة أقطار وأعراق في القارة والاحساء والقديح والدمام وسيهات والهفوف والرياض والنجف والبصرة والكويت وإيران لهم عدة بيوت، كبيت آل الحاجي، وآل المهري، وآل السيد خليفة، واللعيبي،والخضراوي،وآل الحمامي وهؤلاء كلهم أبناء عمومة ينتهون إلى أسرة واحدة تلتقي عند جدها الأعلى هو السيد أحمد الموسوي المدني الذي نزح من المدينة إلى الاحساء في القرن الثامن الهجري.

حتى اشتهر بحمامة الحرم الحيدري لكثرة ملازمته وحضوره فيه للعبادة والتهجد.

* * *



السيد الشخص مع مجموعة من اطفاله.



من اليسار: الواقفون: الشيخ محمد الهجري، السيد حسين بحر العلوم، الشيخ محمد حسن آل ياسين، السيد المترجم السيد جعفر بحر العلوم.

الجالسون: من اليسار السيد عز الدين بحر العلوم، السيد عبد الله العلي، والطفلان نوري ونزار الشخص.

دراسته وخطابته:

إذا كنت أدعي الموضوعية، وأزعم الحياد في عرض هذه التراجم فلابد لي من المرور السريع بهذه المحطة من محطات دراسة السيرة الذاتية للسيد الشخص ويبدو لي من خلال هذه النافذة أن سيدنا المترجم خطيباً مفوّهاً لسناً وأديباً جريئاً متمكناً أكثر من كونه دارساً متعمقاً في العلوم الحوزوية والدراسات الإسلامية.

ولاتصور في العرض الروتيني لسلسلة من الاساتذة، والتبجح بتسطير قائمة من الاسماء، وحضور العديد من الحلقات،والمشاركة الشكلية في اماكن الابحاث ومراكز الدراسة، خلق وتأسيس وبناء للشخصية العلمية فليس العلم مصلاً أو عقاراً يزرق بأبرة الطبيب أو حقنة العالم، وليس صبغاً أو كليشة يتأطر بها ويتأثر بألوانها بمجرد حضوره الحلقات العلمية،وانما هو موهبة واستعداد وتوفيق ونور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده.

وكم من شخص قطع ردحاً طويلاً من حياته في الركض والسباق للانضمام إلى تلك الحلقة العلمية، والانتساب إلى ذلك المحضر الدراسي، ومواظبة التمثيل في الحضور بين يدي اجلاء الاساتذة واعاظم العلماء ولكن النتيجة:

درستُ النحوَّ من أولَهُ إلى أخرهُ ما فهمتُ منهُ غير حروفُ الجرِّ!!

ورب شخص يلتقط الأساسيات ويقتصر على الضروريات ثم يتجه إلى ممارسة عمل محدد من الخطابة أو التأليف أو التبليغ والتوجيه الاجتماعي مطوّراً معلوماته مطبقاً دراسته مرتكزاً على ذلك الاساس الرصين والمنطلق المتين لخدمة المجتمع وتبليغ الرسالة واداء الواجب.

ولا ادري لماذا نصر على عدم الايمان بالاختصاص في دراساتنا الحوزوية وعدم الاذعان لمنطق العلم ولغة العصر السائدة في جامعات العالم وحقول المعرفة فنرى مختلف التخصصات حتى في الموضوع الواحد فنرى في العلوم العربية هذا يتخصص بالنحو والآخر بالأدب وثالث بفقه اللغة ورابع بالصرف وخامس بالبلاغة وهكذا، وكذلك في علم الطب كل يتخصص في جانب من ذلك العلم الواسع فهذا طبيب قلب وآخر طبيب عيون وثالث طبيب باطني ورابع طبيب أسنان وخامس طبيب عظام وهكذا. وبناء على هذا لماذا لانتصنف نحن في علومنا الحوزوية فيتخصص بعضنا بالفقه والأصول والآخر بالخطابة والثالث بالعلوم العربية وآدابها ولايعني ذلك الغاء ذوي المواهب والكفاءات والاستعداد للنبوغ في أكثر من فن والاجادة في أكثر من حقل من حقول المعرفة، ولكن يكون ذلك المنهج الطبيعي الثابت والنظام المقرر المعتمد للطالب الاعتيادي لتنحصر جهوده وطاقاته في حدود اختصاصه لئلا تتشتت شخصيته العلمية وتتورط في متاهات العلوم المتباينة.

وربما يسري ذلك التوزيع والتصنيف حتى على انظمة الكيانات المرجعية حسب ما علمنا فيما مضى باتفاق كبار مراجع الشريعة على توزيع خدماتهم العلمية والاجتماعية فمرجع للفتيا وآخر للتدريس وثالث للشؤون المالية ورابع لمعالجة مشاكل المجتمع باشراف لجان من ذوي الخبرة والاطلاع والتخصص لئلا تلتبس الأمور وتختلط الأوراق وتضاع الحقوق وتتلاشى الجهود الاصلاحية بحصر كل المهام والمسؤوليات بجهة واحدة ربما لايتسع وقتها او طاقتها لاشباع حاجتين في آن واحد.

وهناك ملاحظة أخرى وهي اصرارالبعض من طلبة حوزاتنا الدينية او بعض خطباء المنابر الحسينية ان يقحم نفسه بعلوم الكمبيوتر والفلك والذرة والطب والتشريح والرياضيات والميكانيك والفيزياء والكيمياء فضلاً عن الفقه والاصول والمنطق والعربية والخطابة والتأليف والمحاضرات والتبليغ ليكون دائرة معارف متحركة وموسوعة علوم متنوعة لها في كل قدر مغرفة وهذا مايستحيل قاعدة ويتعذر عادة، فالحالة الطبيعية الاعتيادية ان تتوزع اصناف العلوم والاختصاصات على مختلف الشرائح والفئات الاجتماعية لتقدم الخدمات المتقنة بخبرة وابداع وقديما قيل:

الناس للناس من بدوٍ ومن حضر بعض لبعض وان لم يشعروا خدمُ

وهكذا جمح بي القلم وانا في صدد الحديث عن دراسة السيد المترجم التي لاامتلك عنها معلومات موثقة سوى انه تلقى اجمالاً بعض الدروس العربية والإسلامية من نحو وفقه ومنطق على يد افاضل الحوزة العلمية في النجف الاشرف ومنهم العلامة الجليل الشيخ كاظم الهجري.

واما خطابياً فقد اخذ فنون الخطابة واصولها على خطيبين شهيرين هما من اركان المنبر الحسيني الهامة اولهما المرحوم الشيخ محمد حسن دكسن والآخر الخطيب المرحوم السيد صالح الحلي الذي لازمه ملازمة وثيقة وتلقى عنه واستفاد منه حتى أصبح بطلا من ابطال المنبر وعلماً من اعلام الخطابة ذائع الصيت لامع الاسم واسع الشهرة عظيم الخبرة، احاديثه منمقة ومواضيعه محققة يطغى عليها الجانب التقليدي للتاريخ ولكنه يشبع الموضوع الذي يريد طرحه استقصاءاً وتتبعاً ويحيط بأبعاده وشواهده، ويلم بأطرافه بمهارة الاستاذ ومقدرة الخطيب الخبير. ثم يطعمه بنكتة لاذعة أو عبارة رائعة أو التفاتة بارعة يشد بها انتباه الجمهور، ويلفت أنظار الحضور، حتى إذا عرج على كربلاء وربط حديثه بمأساة سيد الشهداء عليه السلام أذاب القلوب وأجراها من العيون واستثار العواطف ومزجها بالحزن والشجون وخصوصاً إذا استخدم الفن القديم في عرض مأساة الطف من العرض المتحرك قائماً على المنبر،

أو متجولاً وسط الحاضرين أو مجيداً للطرائق والتلاحين، صارخاًينعى الحسين بصوته الأجش الرخيم الحزين.

رقى الأعواد خطيباً مصقعاً في كل من البحرين والإحساء والقطيف وقطر والإمارات والكويت وعُمان والمنطقة العربية من ايران فضلاً عن مجالسه بمختلف المدن العراقية.

فكان ملأ المنبر الحسيني كفاءة واقتداراً وخطابة وأشعاراً.

شعره:

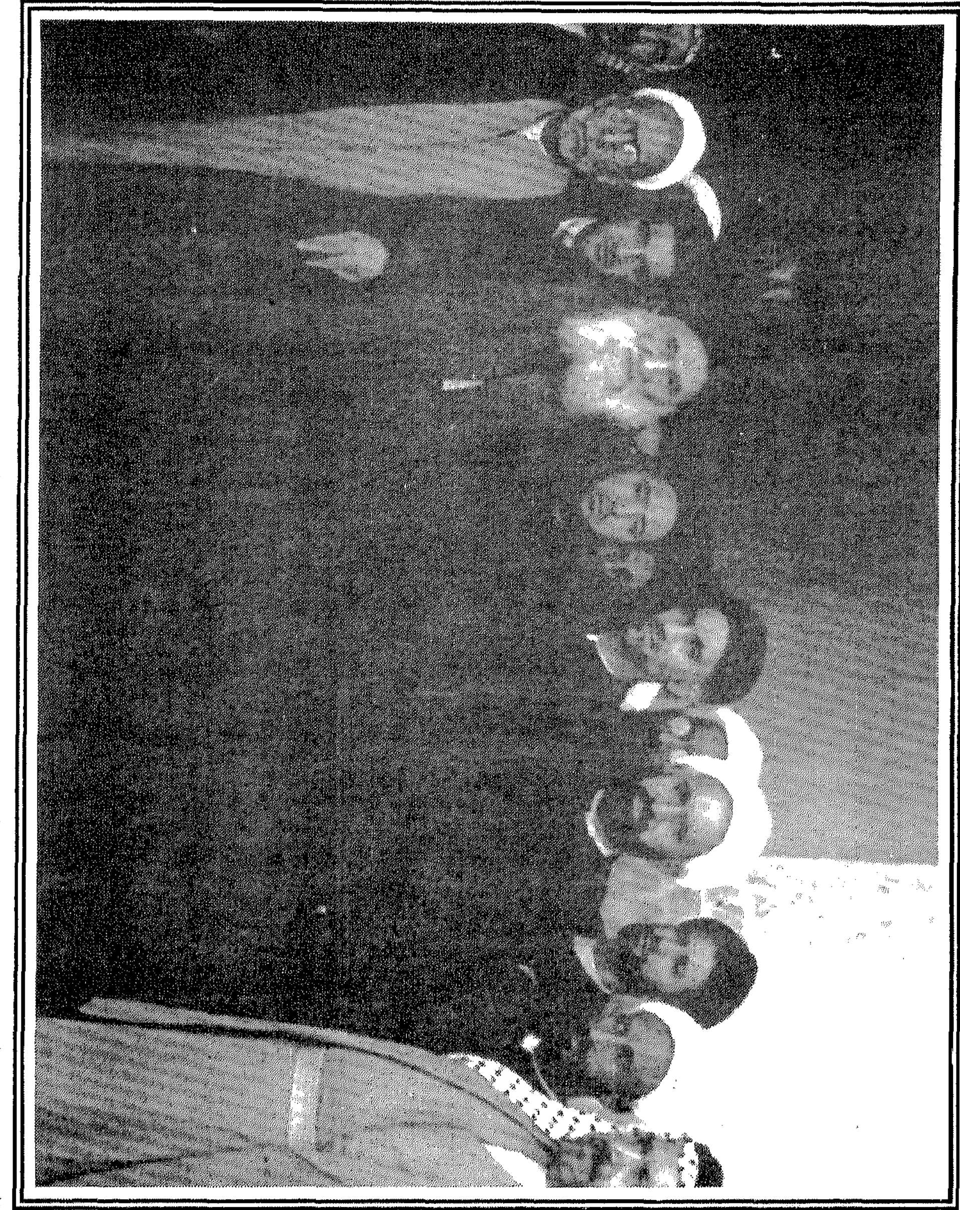
قرض الشعر وتعاطاه وتولع فيه ونظمه لشتى الأغراض وخصوصاً الاخوانيات ومناسبات أهل البيت عليهم السلام ومدائح الملوك وبعض الشخصيات لهدف نبيل وهو السعي لديهم لقضاء بعض الحوائج وتيسير بعض الأمور لاخوانه ومعارفه ومن ذلك ما مدح به الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود بقصيدة عصماء حتى أطلق عليه جلالة الملك لقب (شاعر هجر) وقد أوعدني السادة الكرام من أبناءه بتزويدي بتلك القصائد بعد بحثهم عنها في حقيبة تحتوي على ملفات ودفاتر وأوراق وذلك ما يحتاج إلى تفرغ وبذل جهد وتفحص جاد، وكذلك طلبت من الأخ الكريم الأستاذ الأديب السيد عبد الرضا الشخص أن يزودني بما عنده من لقطات وأشعار فأجابني لذلك وقد مر على استجابته عام كامل

وحال على موعده الحول دون تنفيذ القول وتحقيق الأمل ويبدو أن مشاغله أو عدم ملاحقتي له حالت دون حصولي على مبتغاي.

وعليه فلا يترك الميسور بالمعسور حيث استطعت أن أظفر ببعض النماذج لأشعار سيدنا المترجم ومن ذلك قصيدة عصماء في الصديقة الزهراء عليها السلام:

هلل السَعْد يوم المُولِد	فاهزجي يانفس بشراً واسعدي
واخطري زهواً لأعراس الهنا	وابني فوق الشمس مجد المختد
وتعالي نعزف اللحن على	مولد الطهر وطهر المولد
فاطم أشرقت الدنيا بها	فسناها قبس من أحمد
إنه يوم تعالى صرحه	فتسامى فوق هام الفرقد
وازدهى الحفل بذكراها وقد	عمّنا البشر بلطف المولد
وتمشت فيه أنفاس الهدى	تنعش الغلّة من ظام صدي
مولد فاخرت الدنيا به	نوره مزّق عين الحسد
هذه فاطمة قد ولدت	وبها يبيض وجه المهتدي
من أبوها ذرع الأرض منىً	فنمت خيراً بكف المنجد
من أبوها أنقذ الناس من	الجهل والظلم وسوط المعتدي
من أبوها رفع الدنيا علاً	وشموخاً فازدهت في سؤدد
من أبوها نشر العدل على	أمة ماجت بظلم مجهد
من أبوها وحّد الناس فلا	فارق في أبيض أو أسود
يا ابنة الطَهر وهذي ليلة	شرفت فيك وأعلت مقصدي

وإذا طَرزشعري ذكركمُ ... وسمت أبياته في مورد
حبُّ آل البيت عنوان الهدى ... ولقد غذيته من مولدي
أيها اللائم مهلاً أنا من ... شيعة حبُّ الهدى معتقدي
كم نوال الطهر عن عاطفة ... فجرّت فينا ولاء المقتدي
فلقد عرّفها الله لنا ... في كتاب منزل معتمدِ
قل لمن أعرض عن روض الولا ... وأدار الوجه شطر الفرقد
ونأي عن جد آل المصطفى ... خصه الله بذكر مفرد
لا تخل شرعة طه بدعة ... إنها من لطف رب أوحد
ورسول الله من أنواره ... وعلياً ذاك مجد المهتدي
وسنا السبطين سر رائع ... في ضمير الكون عند الموعد
رفع الله لهم ذكرى وقد ... تخمد الدنيا ولما يخمد
أيها الطهر وهذي أمتي ... عصفت فيها رياح الجحد
هذه صهيون راحت تبتني ... دولة البغي بأعلى مشهد
ولها في كل يوم غارة ... فوق (لبنان) ولا من منجد
أين سيناء وجولان وقد ... راحت الأحزان تفري كبدي
أمتي يا أمة المجد انهضي ... واقحمي للثأر جمر الموقد
لا تقولي ملك الأرض العدا ... إنها ملك الجسور السيّد
واصنعي للنصر أعراس الفدا ... إنّ يوم الثأر عزُّ المقصد



السيد حسين الحمامي وعن يسره السيد المترجم ثم السيد يوسف الحلو ومجموعة من المؤمنين.

وقصيدة ثانية في ذكرى مولد الامام الحسن المجتبى عليه السلام ألقاها في محفل أقيم بهذه المناسبة في دار الحسين التي أسسها المرحوم العلامة السيد إبراهيم جمال الدين في الكويت وهذه نماذج منها:

هلل المجد بعرس الموكب فاهزجي يا أرض بشراً واطربي
واخطري زهواً على أنغامه وابتني في الشمس أبهى القبب
وتعالي نعزف اللحن على مذهب الطهر وطهر المذهب
لوليد أنجبته فاطم وتلقاه عليٌّ والنبي
إنه الحق تعالى صرحه فأروني أين صرح الكذب
ذا هو الحفل ازدهت أركانه وتسامت فوق هام الشهب
وتمشت فيه أنفاس الهدى مثلما تفعل بنت العنب
كلهم سكرى ولكن من لمى فارس الفخر وفخر العرب
لا تلمهم إن تغنوا طرباً فالولا أوقعهم في الطرب
كيف لا تسحرهم أحرفه وابن طه ملأ سمع الحقب
ذكره روح إذا استنشقه وهداه الأمن للمضطرب
حسن الخير لئن فتشت في شعب القلب وقلب الشعب
لم تجد غير ولاء صبته في دمي... غذته أمي وأبي
يا وليداً فاخر الدهر به وسليل الطيبين النجب
بأبي أنت فقد أهديتنا سيرة خطت بماء الذهب
أنت قد علمتنا أن الفدا شرعة للثائرين الغُلَّبِ

أنت خططت لنا نهج الهدى ... فانتهجناه برغم النوب
إنك المقدام في سوح الوغى ... وغياث البائس المكتئب
تقحم الموت كميّاً باسلاً ... يزرع الأمن بدرب المتعب
إنك النيل متى استصرختهُ ... يهطل الغيث بحقل المجدب
إنك الغيرة إما هجتها ... هتكت للشر كل الحجب
حسن الأمجاد عفواً إن كبا ... كلمي في يومك المرتقب
أنت بحرٌ طاف في ساحله ... موكب الحق بجيش لجب
فإذا غنيت شعراً إنما ... أنا من نور الهدى في عجب
أيها اللائم مهلاً... فلقد ... هزم الإيمان شك الريِّب
لم نوال الطهر عن عاطفة ... قد خلت عن موجبات السبب
فلقد لاح لنا من فضله ... ما روته ناطقات الكتب
قل لمن أعرض عن روض الولا ... وأدار الوجه شطر الكتب
لا تخل نهج ابن طه (ص) بدعة ... إنه النور الذي لم يحجب
كيف ترضى أن تساوي ضيغماً ... قد شرى الموت بمكر الثعلب
أو ترى السفح وقيعان الثرى ... هي أسمى من أعالي الهضب
إن من رباه طه حدباً ... سوف يبقى رغم أنف الكرب

أيها الطهر... وهذي أمتي ... أصبحت نهباً لدى المنتهب
جنّد الكفر له أجناده ... ومشت فيها سموم العقرب
هذه صهيون راحت تبتني ... دولة البغي بأغلى الترُب
ولها في كل يوم غارة ... تهدم الدار على المغترب
وبنو قومي لاهون فما ... تشهد الهيجاء غير الخطب
أمتي يا أمة المجد... ثأري ... واقحمي للثأر جمر اللهب
لاتقولي ملك الأرض العدا ... إنها ملك الجسور الأغلب
واخلقي عنك ثياباً فرّقت ... زمناً بين بنيك النجُب
واصنعي للنصر أعراس الفدا ... فهي الجسرُ لنيل الأرب

وقصيدة أخرى يحيي بها الأستاذ أحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان عند زيارته للنجف الأشرف سنة ١٩٥٥م تحت عنوان:

عيدان:

بك للجهاد عزائم تتوقد ... وإلى الفضيلة مشعل لا يخمد
ومواقف غراء يرفع باسمها ... مجد العروبة شامخاً ويشيد
في جبهة التاريخ خطت أسطراً ... ذهبية يتلى بها ويردد

حـــررت فيهـــا أمـــة عربيـــة كـــانت بهـــا أفكارهـــا تســـتبعد
هـــذا جهـــادك وهـــو درس نـــافع بفـــم الإبـــا في كـــل جيـــل ينشـــد
يفنـــى الزمـــان وأنـــت فيـــه مخلـــد والمـــــرء في أعمالـــــه يتخلـــــد
آبـــا أديـــب قـــد رفعـــت مشـــيداً صرحـــا بـــه الأدب الرفيـــع مشـــيد
ونشـــرت للعرفـــان خـــير صحـــائف منهـــا العقـــول ثقافـــة تـــتزود
نـــورت أفكـــاراً بهـــا أيقظتهـــا مـــن جهلهـــا والجهـــل ليـــل أســـود
وبنيـــت للنـــشء الجديـــد عقـــائداً والنـــشء في نزعاتـــه متجـــدد
أحكمتهـــا شـــبه الرواســـي بعدمـــا كـــادت تـــزول مـــن الشـــذوذ وتنفـــد
هـــي معجـــز لـــك خـــالد يبقـــى على مـــر الزمـــان وأنـــت فيهـــا أحمـــد
مـــاذا أقـــول أبـــا أديـــب وفي فمـــي حصرٌ بـــه يعيـــى الأديـــب ويجهـــد
لكـــنَّ قيثـــاري وأنـــت لحونـــه أضحـــى بمقلمـــك الســـعيد يغـــرد
وعواطفـــي تروى فتســـكب وحيهـــا لكـــن مـــن العرفـــان ســـاغ المـــورد
لـــك والغيـــاري للعروبـــة قلـــة هـــي بالأنـــامل لـــو أردت تعـــدد
أشـــكو التفـــرق في بنـــاء صفوفهـــا والنـــير أضحـــى جبهـــة تتوحـــد
قـــد مزقـــت أشـــلاؤها بظبـــا العـــدى منهـــا وأضحـــى الشـــمل وهـــو مبـــدد
هـــذي فلســـطين وقـــد عـــاثت بهـــا كـــف لصهيـــون تعيـــث وتفســـد

وبتونس ومراكش من جنسها ... نكبات شعب في القلوب تسدد
ومن الجزائر تستغيث بمجازر ... ومآتم في كل حين تعقد
في حين لا أيد تمد ليعرب ... فيها تعان ولا ظباً تتجرد
ولسوف تتلوها بلاد كل ما ... فيها بأنواع القيود مصفد
عيدان عيد في قلومك أحمد ... وافى وعيد فيه بولد أحمد
بهما تباشرت البلا وعمها ... فرح حجاب الحزن منه يبدد
هذا يشع بطلعة ميمونة ... سطعت ومن هذا يشع المولد
حييت لبناناً فمنك تنورت ... دنيا العقول وفيك شع المعهد
قد فتحت فيك الثقافة نورها ... فغدت أزاهير البيان تورد
بك والحضارة قد بدا إشعاعها ... للفكر وعي والعقول تجدد
يهنيك يا بلد الثقافة عارف ... هو للفضائل والمعارف مورد
خمسون عاماً للجهاد مقدساً ... في كل يوم ثورة تتجدد
قسم حي فيه جهاده وكفاحه ... فهو العروبة والعروبة أحمد

وهذه قصيدة في تأبين الشيخ علي أبو عبد الكريم الخنيزي تحت عنوان حكمك العدل:



في الوسط الشيخ عبد الكريم الزنجاني وفي الصورة سيدان عن يمين السيد جواد نير وعن يساره السيد المترجم.

حكمك العدل:

يـــا فقيـــد الإســـلام، ذكـــراك في التـــأريخ.. في ســـاحل الحيـــاة النـــائي
تتلاقـــى علـــى هداهـــا حيـــاة   عبقـــت في مواكـــب الأحيـــاء
وجـرت كالشـلال تنهـل بـالنور..   وتهمـــي بـــالطيب والأشـــذاء
في ظـلام يطـوي الشـعاع فترتـاع   لأهوالـــه ربـــى الصحـــراء
وتهـــادت... يمدهـــا الحـــق بـــالقوة... في ثـــورة القـــوى والدمـــاء
تصـــرع الجهـــل، ثـــم تخلـــق روح العلـــم رفافـــة بوحـــى الســـماء
وتحيـــل البيـــداء ينبـــوع، إبـــداع، وحقـــلا مـــن يقظـــة وســـناء
بوركـــت دعـــوة الحقيقـــة، يجلوهـــا يـــراع الهـــداة خـــير جـــلاء
يـــا فقيـــد الإســـلام: هـــذي مغـــاني (الخـــط) تنعـــاك. في أرق رثـــاء
شـــاهدت فيـــك: كـــل مـــا يرفـــع الشـــعب طموحـــاً، للثـــورة البيضـــاء
رأت روعـــة الأمامـــة في خلفـــك في حقـــل روحـــك الســـمحاء
في أمـــاليك، وهـــي كالســـحر تنقـــاد لآياتهـــا بنـــات الضيـــاء
حكمـــك العـــدل. وهـــو أروع مـــا جـــاء بتنزيلـــه رســـول القضـــاء
فتفيـــا ظـــلال ربـــك. في أفـــق مـــن النـــور وارف الأفيـــاء
وســـنبقى هنـــا: نرتـــل ذكـــراك.. مـــع الصبـــح والضحـــى والمســـاء

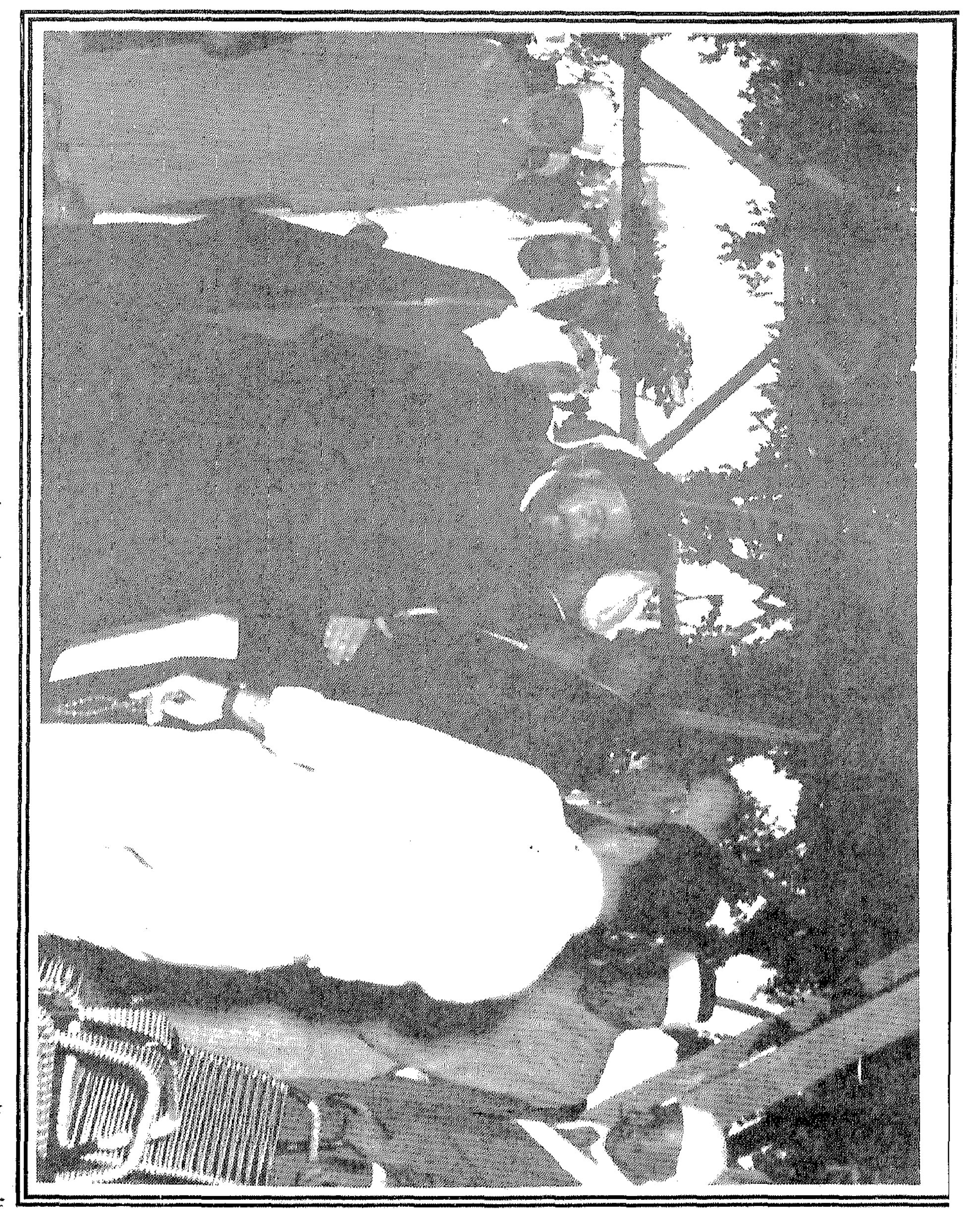
فهـي درس لنـا.. يعلمنـا الحـق.. ويحيـي بنـا شـعور الأبـاء
إيـه (عبـد الحميـد) أنـت عـزاء الخـط. في لوعـة الأسـى والشـقاء
قلنـا فيـك منبـع المثـل العليـا وحقـل المواهـب الخضـراء
ومشـار الشـعاع أن غمـر الآفـاق اعصـار ليلـة ظلمـاء
أدب رائـع.. وعلـم غزيـر.. وحيـاة جياشـة بـالنداء
وهنـا نحـن: نسـتحث الصـدى الـداوي. ليهـدى إليـك خـير عـزاء

وقصيدة أخرى في رثاء المرحوم المقدس العلامة الجليل الشيخ حسين الفيلي المترجم في الجزء الثاني في كتابنا هذا وقد نشرت القصيدة هناك أيضاً:

خليلي هـذا المـوت ليس لـه حـد لديه تساوي القرب في الناس والبعد
وسـهم الردى لم يثنه السرد نـافذ ولـو بيـدي داود قـد نسج السـرد
الا كـل حـي للفنـاء مصـيره ويعقبـه ذم الخصـال أو الحمـد
ومـا هـذه الأرواح إلا ودائـع تحلـت بهـا الأجسام حينـا وترتـد
وأقسـم أن المـرء للمـوت سـائر على رغمه من حين يحضنه المهد
ولكـن مـوت العيلـم الحـبر ثلمـة بأركـان ديـن الله هيهـات تنسـد
أبـا صـالح أنـا فقدنـاك ملجـأ نلـوذ بـه في النائبـات ونعتـمد
أبـا صـالح أنـا فقدنـاك منهـلاً به من عظيم النفع يصفـو لنا الورد

أبا كاظم هــذي الأحبــة أقبلــت وليس لها الاك يا كهفهــا قصــد
وجــاء مــن الأحســاء وفــد بــأدمع وجو الأسى في القلب يذكو له وقد
فياليت مـذ القـاك لم يلقـك الـردى ويا ليت للأوطـان عـاد بـك الوفـد
لقد عشت مجهول المقام لدى الورى ويجهل ما بين الورى الجوهـر الفـرد
مزايـاك في الأيمـان والفضــل جمـة فهيهـات يحصيهـا الحسـاب أو العـد
الم تك قد اوقفت نفســك مرشـداً وعنـوان فضـل المـرء السـعي والجـد
وحـق لـك الأجفـان تنشر دمعهـا على الخد محمـراً كمـا انتشر العقـد
فقـل لضريـح قـد تضمـن جســمه سقتك عيـون المزن بـالغيث يا لحد
وقـل لضريـح قـد تضمـن جســمه لقــد دفنــت فيــك الهدايـة والزهــد
لنــا بابنــه (عبــد الأمــير) فســلوة فبعد غروب الشمس نجم الهدى يبدو
تـورث مـن عليـاء مجـداً وسـودداً ومــا تملــك الآبــاء تورثــه الولــد

وياليتني حصلت على المزيد من هذا الشـعر الرائـع لتتعطـر بـه هـذه السـيرة الكريمـة والترجمـة المباركـة، وعسـى ان أوفـق لذلــك مستقبلاً ويتكرم أشقاؤه وأبناؤه باسـتخراج هـذه الكنـوز المعرضـة للضيـاع فيبـادروا لتوثيقهـا وإخـراج مـا عنـده مـن كتابـات ادبيـة وشعرية ومنبرية لتعم بها الفائدة وينال بها الاجر والمجد والخلود.



المرحوم الشهيد السيد حسن الشيرازي وخلفه السيد المترجم بالزي العربي



السيد المترجم في احدى المناسبات.

بعض آثاره المطبوعة والمخطوطة:

لاأعلم تحديداً و لم تتوفر لدي احصائية دقيقة بمؤلفات وآثار السيد الشخص سوى ما أشتهر منها:

١ـ كتاب ذكرى السيد ناصر الاحسائي طبع في النجف سنة ١٩٤٠ م.

٢ـ كتاب هداية العباد إلى الحق والرشاد في أصول الدين للشيخ محمد بن عبد الله العيشان طبع سنة ١٣٦٩ هـ في النجف الاشرف كذلك.

٣ـ كتاب ذكرى السيد ماجد العوامي طبع سنة ١٩٥٠ م في النجف أيضاً.

٤ـ كتاب وقائع الايام مخطوط. وعلمت مؤخراً ان العلامة السيد هاشم الشخص منهمك بتحقيقه واخراجه.

ولاشك ان له كتباً ومجاميع خطية اخرى لو تهذب وتنسق لرفدت المكتبة الادبية والحسينية خاصة بأروع الملاحظات وأبرع الالتفاتات من خطيب متخصص ولوذعي متفنن قطع مسيرة حياته وافنى مراحل عمره في خدمة أجداده الطاهرين حتى وفد عليهم ورقد بجوارهم آمناً مطمئناً.

وفاته ومدفنه:

﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾.

الموت انطفاء شعلة الحياة، ولا يعلم الانسان متى ستنطفيء هذه الشعلة؟، وهل ستخمدها يد الاقدار بغتة؟ أم يتضائل توهجها تدريجياً حتى تنطفي إلى الابد وتنتهي إلى مصيرها المحتوم؟

هذه هي الحقيقة التي لابد لكل إنسان ان يصطدم بها، والنتيجة التي لابد لكل انسان أن ينتهي اليها، بيد أنه لايدري أين سيواجه هذا المصير أفي البر أم البحر أم الجو؟؟؟ هذا ما لايستطيع الانسان تحديده والبت فيه فما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت.

عاش سيدنا الشخص حياته ونشأته الأولى وانهى مراحل حياته وحيوته ونشاطه وقوته في أرض العتبات المقدسة وبجوار أمير المؤمنين عليه السلام الذي تهفو إليه القلوب والنفوس وتتدفق على مرقده ووادي سلامه وفود المؤمنين وافئدتهم أحياءاً وأمواتاً.

ثم هجر مسقط رأسه وموطن صباه في النجف الاشرف ليعيش متنقلاً بين دول الخليج متخذاً من دولة الكويت مقراًدائماً لاقامته حتى إذا لاحت علائم المنية واقتربت ساعة الرحيل وفد

على جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم زائراً قبره في المدينة المنورة ومجدداً عهد الولاء والخدمة بأجداده ائمة البقيع.

وهناك فاجأه الأجل المحتوم وهجم عليه ريب المنون فأسلم الروح إلى بارئها في الثالث عشر من شهر ربيع الأول عام ١٤٠٨ هـ، وتحققت له أمنية طالما راودته أن يدفن بارض من الأراضي المقدسة.

وفي جنة البقيع وفي ظلال روضة الائمة، وإلى جانب المراقد المهدومة لأربعة من أئمة الهدى الحسن المجتبى وزين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق، ثوى في مرقده ورقد في مثواه الاخير راضياً مرضياً.

* * *

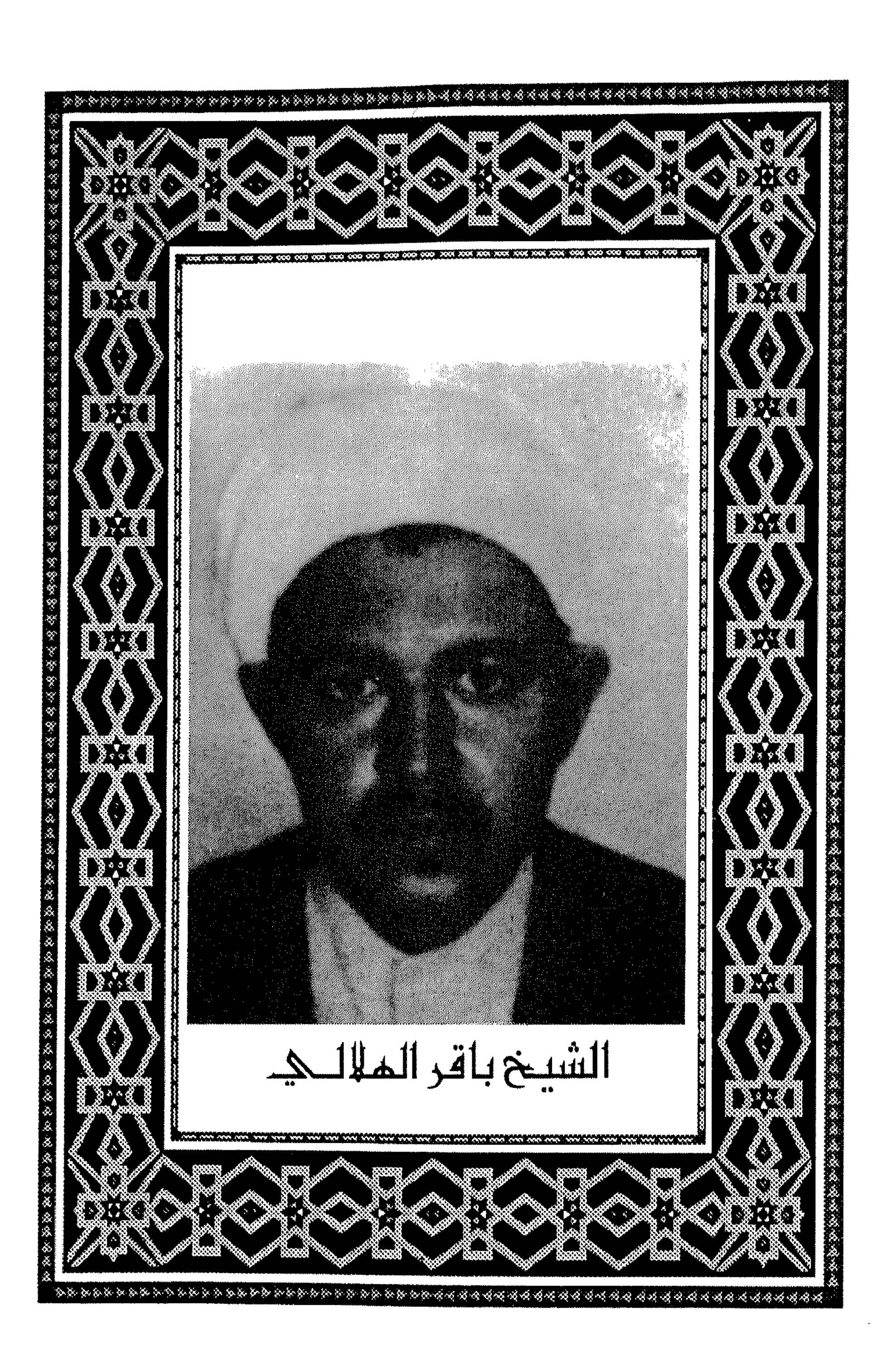
ذريته:

وقد خلف ذرية صالحة ذكراناً وأناثاً لأكثر من زوجة وهم كل من السيد هاشم والسيد نزار وزهير وعلي ولؤي وقصي وأحمد، كما خلف عدة علويات كريمات وكلهم أمثلة حية في النجابة والشرف والمجد الباذخ.



المترجم بالعقال المقصّب أيام شبابه.





الشيخ باقر الهلالي





الشيخ باقر الهلالي

اختطفته يد المنون في ربيع العمر، واغتالته كفّ القدر فأطفأت شعلة حياته واخمدت شمعة عمره، وهو في أوج الإعداد لمستقبله الواعد، وفاجأه الردى ليقتطف زهرة شبابه فذوى غصنه الغض كما تذوي البراعم وتذبل الورود. فرحمك الله يا أبا الحسن لقد كنت باراً تقياً ومهذباً وفياً.

لقد كان الصديق العزيز المأسوف على شبابه الشيخ باقر الهلالي من خيرة شباب المنبر الحسيني، ومن نخبة الطلائع الواعية، وصفوة الخطباء المخلصين، تقرأ الوداعة والبراءة والطيبة على قسمات وجهه الوديع، وتنتزع معاني النبل والخلق من عبارات منطقه المهذب ـ كما هو الطابع العام لشخصيات هذه الأسرة الكريمة.

لقد شق الفقيد طريقه في سلّم التألق الخطابي، وتدرج نحو معارج التفوق الطموح تحت ظلال أبيه الشيخ عبد الحميد الهلالي

وأخيه الأكبر الشيخ جعفر ونشأ في كنفهما وحظي برعايتهما وتوجيههما وكان ملازماً لأبيه ملازمة الظل، ثم لمع نجمه وانفرد بنفسه خطيباً مؤثراً في الأوساط الاجتماعية ومتألقاً في المحافل الحسينية.

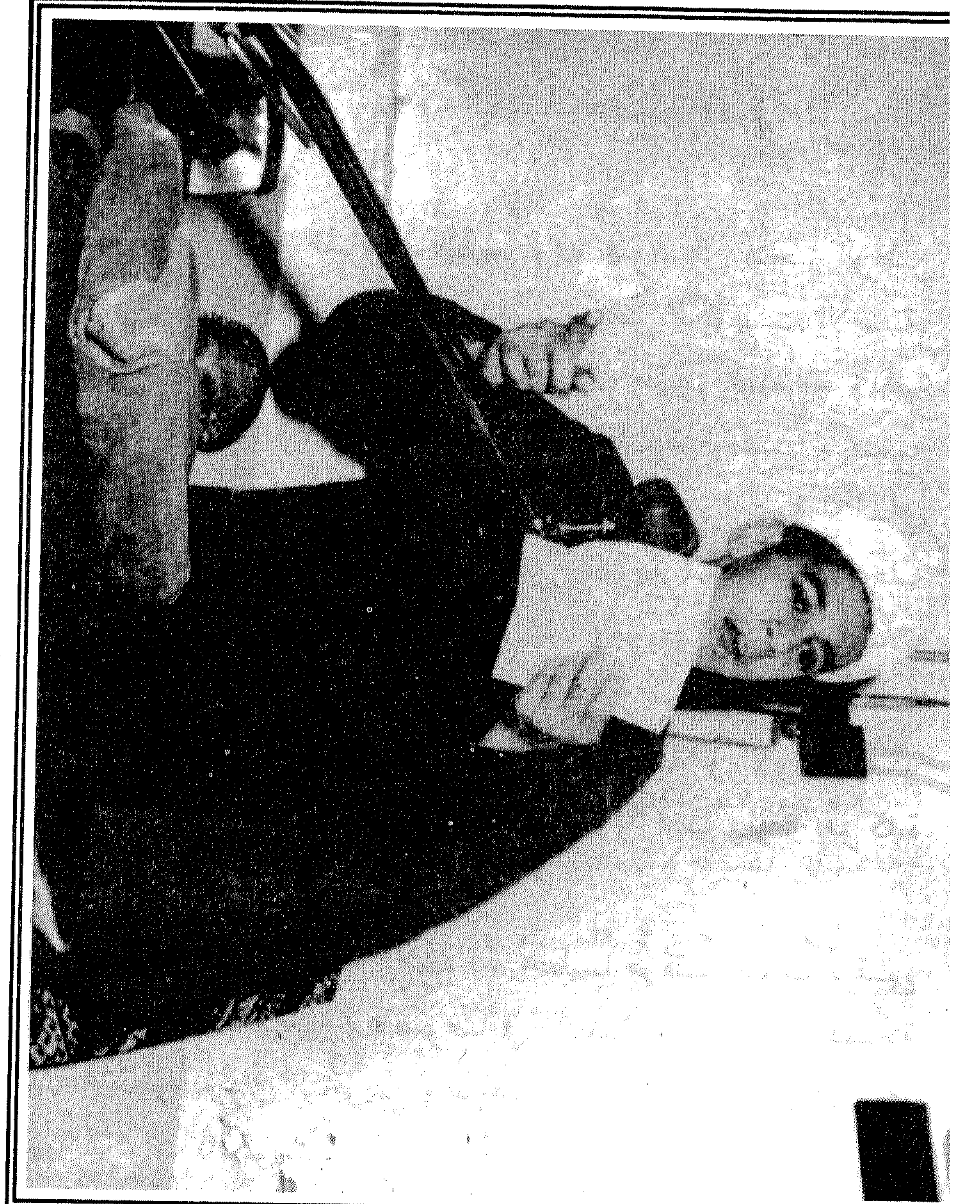
استمعت إلى قراءته للمرّة الأولى في مسجد الترك بسوق الحويش في النجف الأشرف، وهو المسجد الذي كان الإمام الراحل السيد الخميني أعلى الله مقامه يلقي على منبره بحوثه الخارجية كما كان يعقد فيه مجلس الخطباء في بعض السنين، وهناك ارتقى شيخنا المترجم أعواد المنبر الحسيني ليقوم بتهيئة المجلس بقراءة المقدمة المألوفة يومئذ ليلقي بعده المرحوم والده الخطبة الرئيسية على جمهرة المستمعين التي تهيأت للاصغاء والاستفادة من الخطبة بفضل الاعداد والتقديم بالشعر الحسيني الذي صدحت به حنجرة شيخنا المترجم بصوت شجي النبرات مسيل العبرات، فكان مثار إعجاب الحاضرين بصوته وشجائه وحسن ادائه.

ثم توثقت عرى الصداقة بيني وبينه بعدما رافقته زميلاً في حلقة الدرس بالدورة الدينية التي أسسها المرجع الراحل السيد محسن الحكيم رضوان الله عليه، ثم التقت أرواحنا على المحبة والهدى وخدمة سيد الشهداء عليه السلام، وتكررت لقاءاتنا في السفر والحضر، وان انس لا انسى ليلة زفافه وكنت مرافقه الخاص او مايصطلح عليه بالعرف المحلي بكلمة (سردوج) وكنت يومئذ

أعزباً مجرداً. وقد أقيم لهذه المناسبة محفل كبير عام في دار والده بمنطقة الحنانة شارك فيه أعلام الخطباء ومختلف الطبقات الدينية والاجتماعية.

بعد ذلك الجأتنا ظروف القهر والضغوط إلى هجر الوطن الأم، فأقمنا في دار هجرتنا الأولى على أرض الكويت الآمنة، وهناك تجددت مواثيق المودّة البريئة، وتعمقت عهود الصداقة والمحبة حتى لانكاد نفترق، فأن افترقنا نلتقي أشد شوقاً لبعضنا ونجتمع على الصفاء والمودة، ولاتفوتني اشارة الوفاء إلى ثالثة الأثافي الصديق الكريم العلامة السيد محمد زكي السويج الذي حط رحله اخيراً في الولايات المتحدة الاميركية مرشداً وموجهاً ومربياً فاضلاً، وعلماً من أعلام الطلائع الدينية الواعية، ورمز من رموز النهضة الإسلامية المثقفة في بلدان المهجر سواء الأمريكية أو الأوروبية أو شمال شرق آسيا، فلقد كان على اتصال دائم ورابطة وثيقة مؤكدة مع الفقيد المترجم.

وفي هذه الفترة كان رحمه الله خطيباً موفقاً محبوباً يرقى الاعواد في الدول الخليجية وخصوصاً في المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية وفي البحرين وغيرها. وأكثر قراءته كانت في حسينية الكوت بالكويت.

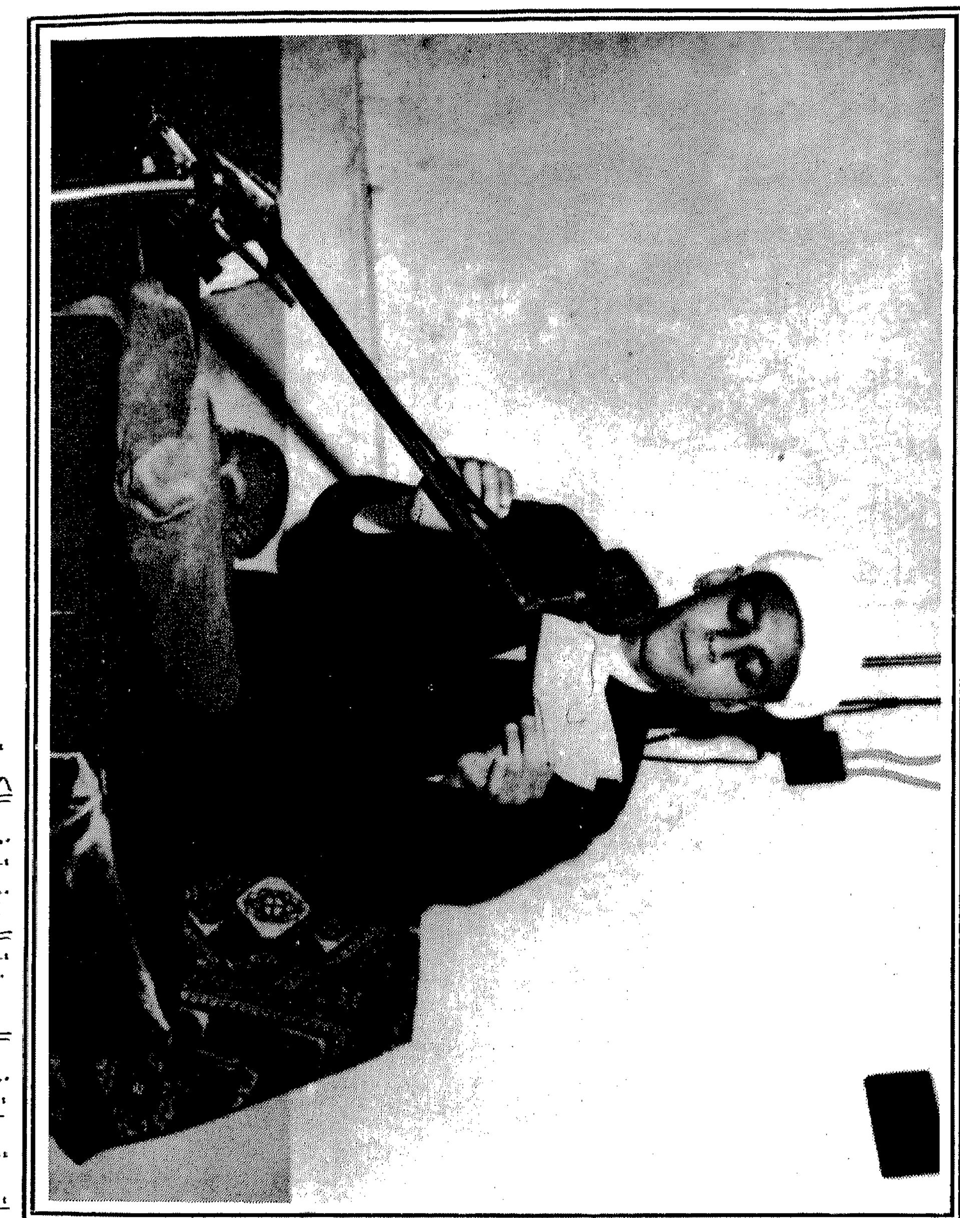


الخطيب المترجم يشارك في احدى المحافل بدولة الكويت.

وكذلك كان يشارك في المحافل والمناسبات الدينية في غيرها من الحسينيات والمساجد، وحدثني الاستاذ الشيخ جعفر شقيق المترجم، ان اخاه المرحوم شارك في المحفل الذي أقيم في الحسينية الجعفرية لتأبين المرجع الديني الفقيد الميرزا علي الحائري نيابة عن والده الشيخ عبد الحميد الهلالي بقصيدة عصماء، وعند انتهائه من القاءها قام إليه الشيخ عبد الله الجابر ـ وكان من المشاركين في حضور ذلك المحفل كما كان ممن يواصل الحضور في الحسينية الجعفرية في أغلب أيام الجمع فعانقه وقبله واعجب بجرأته وحسن القاءه وهو في مقتبل العمر.

اما عن دراسته فقد كان طالباً مجداً أيام الدراسة الدينية في النجف الأشرف وكان زميلي في نفس الدورة ـ كما مرت الاشارة ـ وبعد انتقاله إلى الكويت واصل دراسته على السيد جواد آل علي الشاهرودي، وعلمت من الخطيب الشيخ صالح الجزائري انه كان يحضر معه درس مستمسك العروة الوثقى عند السيد الشاهرودي، وكذلك واصل بعض الدروس الاخرى عند الخطيب التقي الشيخ مولانا وبعد تأزم الأمور في منطقة الخليج أبان الحرب العراقية الإيرانية وافرازاتها المتوترة هاجر خطيبنا المترجم من الكويت إلى ايران وحط رحله فيها، وألقى عصا الهجرة الثانية في مدينة قم المقدسة وواصل دراسته وخطابته هناك، وعاش غريباً صابراً حتى داهمته المنية وهو في عنفوان عمره وريعان شبابه

بحادث مؤلم ذهب ضحيته هو وصديقه الحميم العلامة المرحوم الشيخ صالح فرج الله، وكانت بينهما صحبة اكيدة ومودّة وثيقة وخصوصاً في ظروف الهجرة الايرانية لايكاد يفارق أحدهما الآخر في الحضر والسفر، فاتفق أن عقدا العزم على سفرة سياحة وانتجاع إلى قرية من قرى شيراز تدعى (كوهنجان)، وكان يتخذ منها مصيفاً ويتردد عليها منتجعاً الوجيه الكريم الحاج مجيد الكوت، وبناءاً على كونه صديقه وخطيب حسينيتهم قصده زائراً في محل سكنه التروبحي بتلك القرية وبعد انتهاء مراسم الزيارة صمما على العودة والسرى ليلاً إلى مدينة قم، واتفق ان مر بهما رجل بسيارته الخاصة فتبرع بنقلهما، وبينما هم يجدون السير ويسابقون الريح بسيارتهم إذا ساقت الأقدار شاحنة كبيرة اصطدمت بسيارتهم فقتل حالاً ركابها الثلاثة السائق والباقر والصالح وبقيت جنائزهم لم يتعرف عليها أحد إلا بعد مضي عدة أيام حتى حددت هوياتهم وعرفت شخصياتهم فشيعوا في مدينة قم تشييعاً مهيباً شارك فيه العراقيون وغيرهم بموكب زفاف إلى جنان الخلود مع الشهداء والصديقين فمن مات غريباً مات شهيداً.



يلقي قصيدة في الحسينية الجعفرية في الكويت.

ووري الصديقان الشهيدان الغريبان الثرى إلى جنب بعضهما في المقبرة المقابلة لمقبرة الشهداء في قم المقدسة واقيم مجلس الفاتحة من قبل شقيق المترجم الشيخ جعفر الهلالي ثلاثة أيام، ثم أقيم محفل الأربعين وقد شارك فيه سماحة السيد محمد باقر الحكيم، والخطيب الشيخ سعيد المنصوري، ورثاه أخوه الشيخ جعفر بقصيدة مطلعها:

خطفتك في عمر الربيع منون … فالقلب بعدك تأكل محزون
وتقاذفتك يد الحوادث بغتةً … فاذا جمالك في التراب دفين
واصابك القدر المحض بطعنة … مذ لاح نحوك طارق مجنون
وكذلك الأنساب تسرع بالخطى … اقدامه مهما تأخّر حين
ما هذه الدنيا وان عظم الرجا … فيها وعاش بظلها مفتون
الاّ السراب يراه يحسبه الفتى … ماء ولكن ليس ثم معين
متقلبات عندها احوالها … فكأنها الحرباء حين تبين
يبدو لدىّ الأنسان بارق صفوها … وصفاؤها فيه الأسىّ مدفون
كم اتكلت خلاً بفقد خليله … فارفضّ مجتمع وغاب قرين
أأخيّ (باقر) فقدتك ساعداً … وأخاً عليّ نوب الزمان يعين
وبقيت بعدك لا ألذّ بمطعم … يوماً وهل يتلذذ المحزون
(وهجرت في ليلي الكرىّ فمدامعي … هي سلوتي وبها تجود عيون)
قد كنت أرقب أن أراك وعيشنا … يصفو ولكن الزمان خؤون
ووصلت ايراناً وكلي لهفة … أنيّ وانت بظلها سكون
قالوا لشيراز ذهبت مبادراً … فبقيت انتظر اللقاء بحين

فاذا بناعي البين يطرق مسمعي	لا ترتقب فالحادثات فنون
فلقد تقطر (باقر) متضرجاً	بدماه منقطعاً لديه وتين
وأصابه المقدار عند رجوعه	فعراه من بعد الحراك سكون
أأخي باقر تلك حكمة خالق	في خلقه وله بذاك شؤون
فالأرض في سكانها رهن الفنا	حيث البقاء لواحد سيكون
لكن حادثة المنون وان بدت	أمراً تساوىً عنده المسكون
فتفرق الاخوان فيه رزيّة	كل الرزايا عندها ستهون
والدار في سكانها مزهوة	وبهم يعطر ربعها ويزين
واذا بدارك بعد بهجة انسها	فيها تقيم لواعج وشجون
واذا بمبسمك الضحوك قد اختفىً	عن ناظريّ وما أراه يبين
ما كنت احسب أن ستعجل بالسرىً	(لكنما يقض فسوف يكون)
أأخي (باقر ان أتتك قصيدتي	ثكلىً فلا عجب فأنت قمين
فمآتمي منصوبة ومدامعي	موصولة وقصائدي تأبين
اترىً يطيب لي البقاء بعالم	فيه لموتك قد تحدد حين
أسفي وهل يجدي التأسف أنني	واريت شخصك وهو ثم طعين
لكنما الاقدار تقتحم الورىً	في قسوة لم يُخطها التعيين
فرمتك اسهمها فعاجلك الفنا	وكذاك ترجع للذبول عصون
أأخي (باقر) والحياة مريرة	ما للبرية عندها تأمين
بك قد ثكلت وكنت أحسب أنني	جلد علىً نوب الزمان رزين

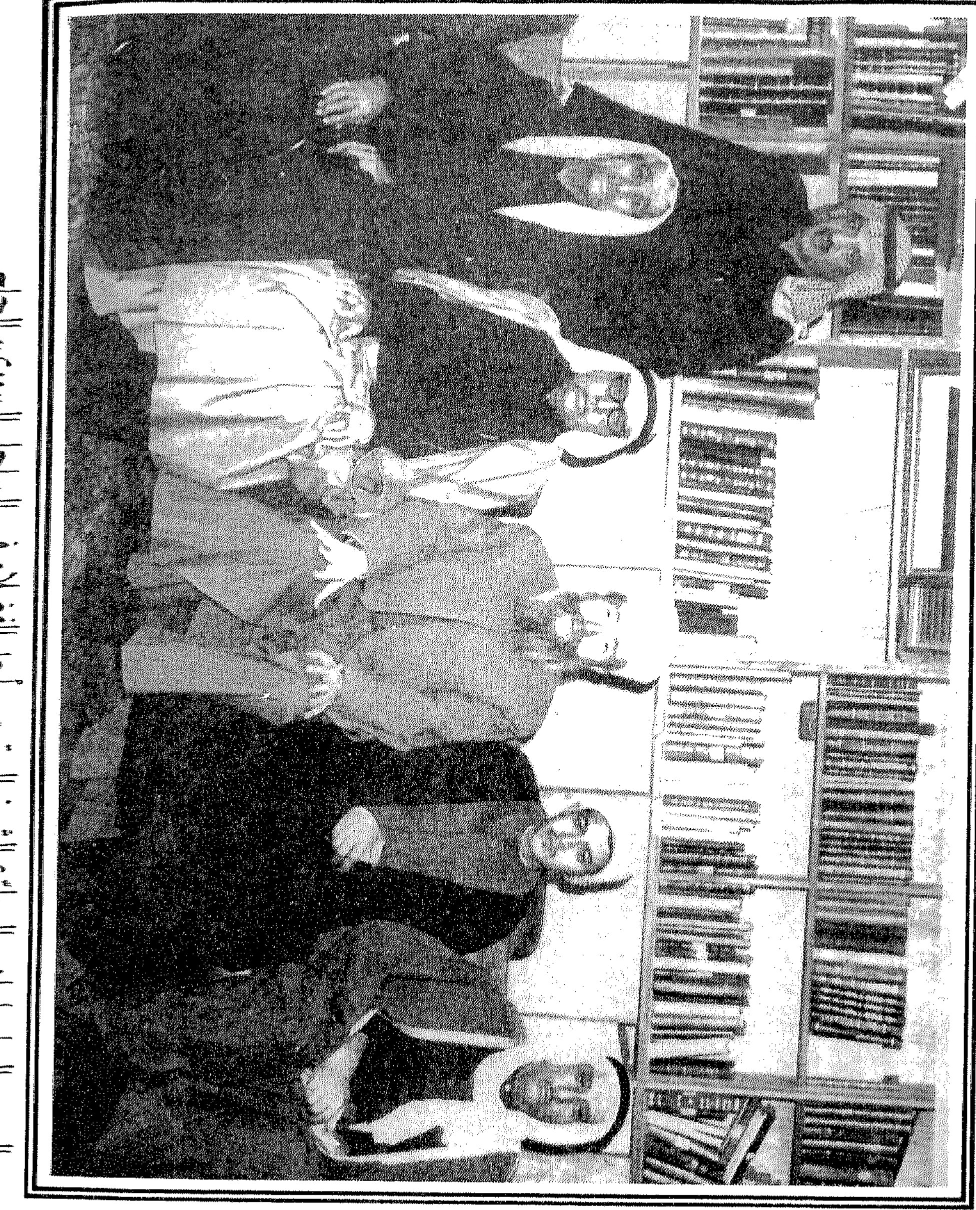
لكن حادثك الأليم امضّني ... وأصابني فَوَهت لديَّ متون
كيف السلو وقد تركت براءةً ... وطفولة منها تطل عيون
كانت تؤمل أن تعود لرفدها ... عجلاً لأنك والد وحنون
فاذا الرجاء تبدلت منه الرؤىّ ... واذا المسرّة لوعة وحنين
واذا الأماني المشرقات كواذب ... قد اخلفت منها هناك ظنون
أأخي (باقر) حين يملكني الأسىّ ... لمصيبة منها تفيض عيون
فلقد فقدتك للخطابة منبراً ... يسمو لشخصك عندها التمكين
فلكم نشرت لآل بيت المصطفىّ ... فضلاً يسر به الهدىّ والدين
ولكم وغطت به النفوس بحكمة ... فيها تجلّىّ عندك التبيين
ولكم أسلَت علىّ الحسين مدامعاً ... حيث البكاء بذكره مقرون
فأهنأ وقر بذاك عيناً انها ... لك خدمة فيها الولاء مصون
ما خاب من اضحىّ به متمسكاً ... أفهل يخيب خطيبه المحزون
أأخيّ (باقر) ان فقدت بك الأخا ... وفؤاد من فقد الأخاء حزين
فلقد غبطتك حيث منَّ بهجرة ... عند الإله ثوابها مضمون
ومضيت والتبليغ عندك عزمة ... لم يثنها ضجر ولا توهين
ورقدت بعد الموت قرب زكية ... معصومة في ظلها ستكون
وخليلك البر المبجل صالح ... هو حيث أنت بقربها مدفون
قد كان الفك في الحياة وفي الفنا ... فبحبل ودك حبله مقرون
وبذاك عاقبة تزف اليكما ... فيها لشخصكما تقرّ عيون

أأبا الصلاح لأنت حقاً صالح　　لك في القلوب محبة وديون
أنا ان نظمت بك القريض فانما　　هي في الحقيقة لوعة وشجون
أريتك والآهات تعتصر الأسىٰ　　من مقلتي فللدموع جفون
ارثي بك الاخلاص في دنيا الاخا　　فقليلنا من للآخاء يصون
ارثي بك الفضل الذي قد حزته　　والمرؤ بالفضل الكبير يبين
فلأن رحلت فان ذكرك عاطر　　يبقىٰ تخلده هناك سنون
والمرؤ تحييه الفعال كريمة　　وهي الذخيرة للمعاد تكون
واليك يا حسن الفعال ومن به　　للعلم والنصوى يساد يصين
هذي العواطف من اخيك لهيبها　　ولأنت فيها الفاقد المحزون
اكبرت فيك لدىّ الجهاد عقيدة　　وصلابة لم يبد فيها اللين
قد كنت ذاك الطود لم تعصف به　　للمجرمين سلاسل وسجون
فلك العزاء بمن اصبت بفقده　　ولنا بك السلوىٰ بذاك تكون
فمصابك صالح صنو باقر في الشجىٰ　　وكلاهما حيث الفراق ثمين
والى الأب المفجوع ابعث ندبة　　في القلب بات لهيبها المكنون
أأبي وعن بعد أبادلك الشجىٰ　　حزناً وانت من الفراق حزين
أعزز علي بأن أبثك ما جرىٰ　　ولديّ من ألم المصاب فنون
فلقد اتاح الدهر سهماً صائباً　　فيه لباقر قد تحيّن حين
أودت به للحادثات منية　　والموت فيها حكمه مسنون
فلك العزاء من الفؤاد أبثه　　شعراً تسعّر حرفه الموزون

أجل خطفته المنية عن ثلاثين ربيعاً فقد ولد عام ١٩٥٤م في النجف الأشرف وتوفي عام ١٩٨٤م في الثامن من شهر رجب ١٤٠٤ هجرية في جمهورية ايران الاسلامية.

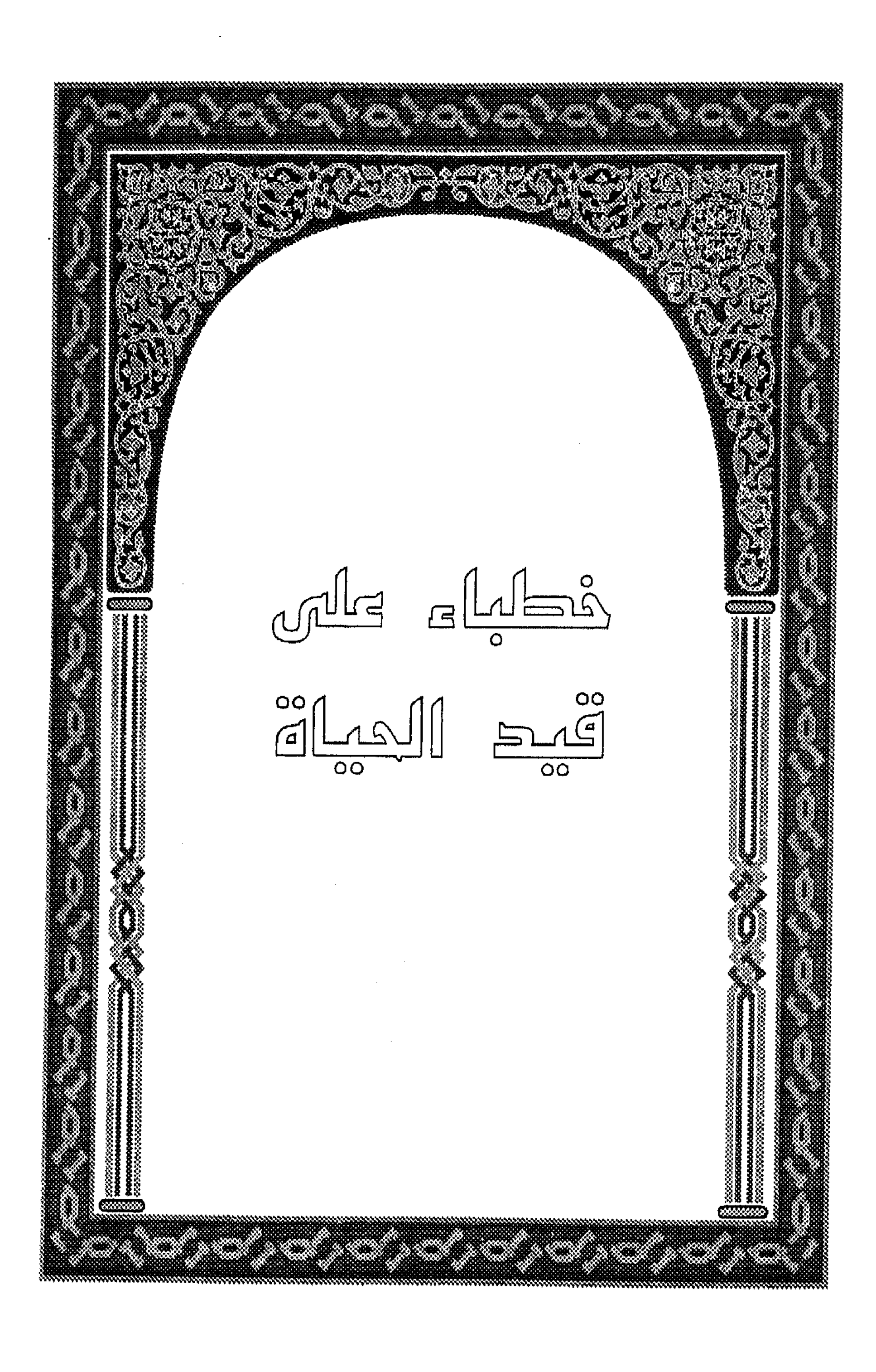
وخلف ثلاثة بنين وبنتاً واحدة وهم حسن وحسين ومحسن وزينب. وأشرف على رعايتهم بعد وفاة أبيهم عمهم الشيخ جعفر وهو أهل ومحل للمروءة والوفاء فنشأوا برعايته وفي كنفه وتحت ظلاله نشأة صالحة برغم مرارة اليتم المبكر فانا لله وانا إليه راجعون.

* * *



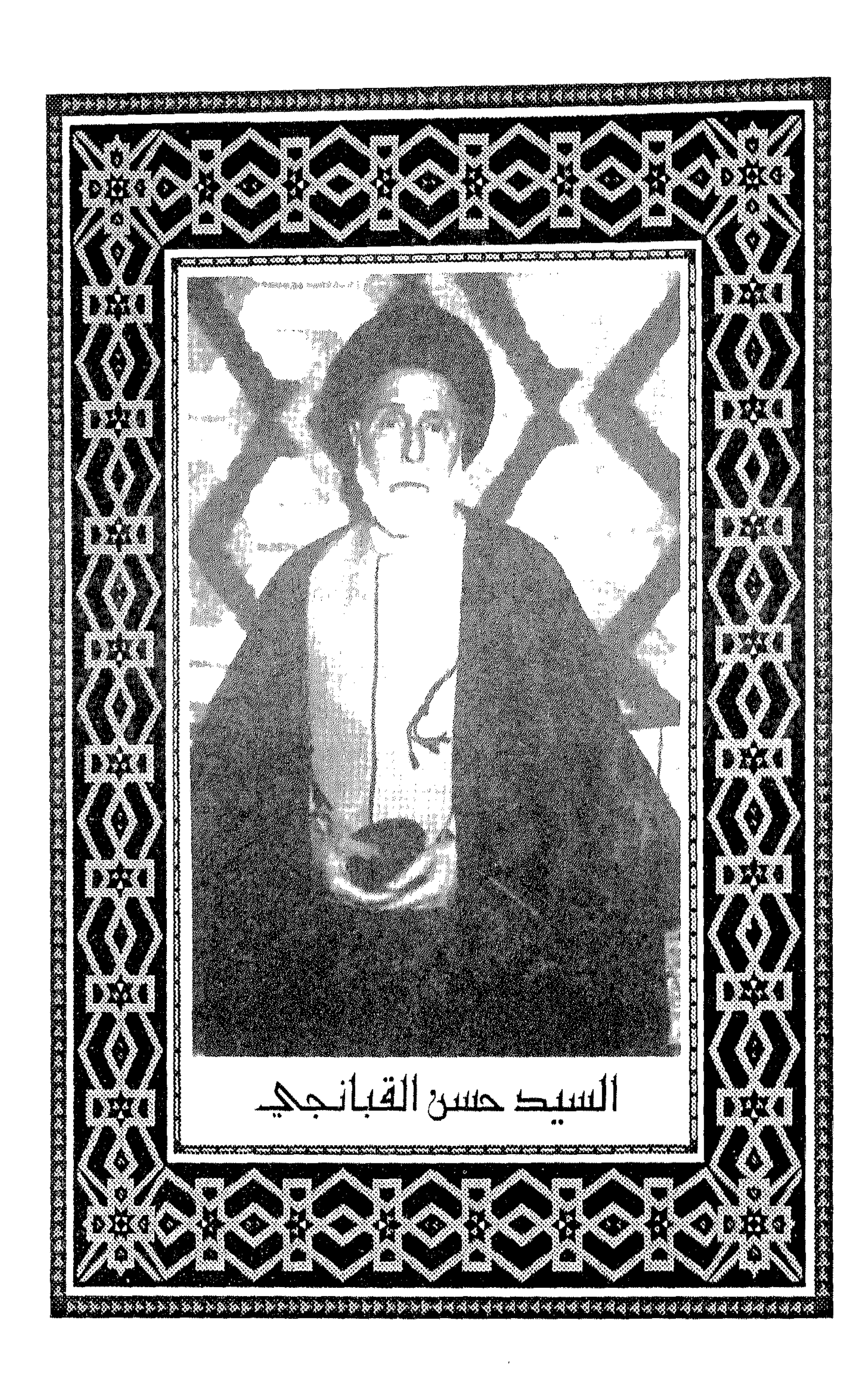
من اليمين: الحاج ابراهيم المطوع، الشيخ المترجم، أحد الفضلاء في الساحل السوري، الحاج محمد السلمان، الحاج عبد الله الصفار.





خطباء على
قيد الحياة





السيد حسن القبانجي



السيد حسن القبانجي



أبو الشهداء العلامة الخطيب الممتحن الصابر المحتسب السيد حسن آل القبانجي خطيب العلماء وعلامة الخطباء، ذو المفاخر الاربعة المتمثلة بالقرابين من أبناءه وأشباله الميامين الذين قدموا أرواحهم على مذبح العز والاباء والرفض فنال بشهادتهم أوسمة الشرف وشارات المجد والخلود.

رأيت السيد القبانجي رأي العين في النجف الأشرف شخصاً مهيب الطلعة وقور الشخصية محتشم المظهر لا توحي قيافته العلمائية وبزته الروحية انه من خطباء المنبر الحسيني الذين اعتادوا مظهراً متميزاً من الشكل الخارجي ربما يتمثل غالباً بصغر العمامة وقصر اللحية، غير أن السيد المترجم كان مغايراً لذلك تماماً في مظهره الخارجي الذي يوحي بأنه من أفاضل العلماء وأساتذة الخطباء وهو كذلك.

وفي عودة إلى أرشيف الطفولة وملف الذكريات الأولى، يبرز الاسم اللامع المقرون بالهيبة والاعتزاز للسيد المترجم على ألسنة الرعيل الأول من أهلنا وذوينا في بلدتنا الصغيرة مدينة الخضر التي كان الأستاذ القبانجي يلتزم القراءة فيها ويرقى الأعواد في مجالسها خطيباً

جسوراً ومربياً وقوراً.

وسمعت مزيداً من القصص والمواقف واللقطات الرائعة للسيد المترجم وخصوصاً ما حدَّث به الوالد رحمه الله، أو ما نقله المرحوم السيد عبدالزهراء الحسيني الخطيب طاب ثراه، ويبدو أنهما على صلة مباشرة مع السيد القبانجي بحكم الانتماء الحسيني والخدمة المنبرية المشتركة.

ومما علق بذاكرتي من مواقفه الجريئة التي ذاعت وشاعت يومئذ وأصبحت حديث الناس المتداول وقضية الساعة الساخنة التي أدت إلى تأزم الأمور وأفرزت مواجهة متوترة بين الشرطة وعامة الناس وتتلخص الواقعة: بأن شرطياً غليظاً متفرعناً شرس التعامل سيء الخلق تتحاشاه الناس ويتجنبون شره وفي احدى ليالي عاشوراء وموكب عزاء الحسين عليه السلام يشق طريقه في الأسواق والشوارع فما كان من هذا الوغد إلا ان اقتحم الموكب ليلقي القبض على أحد المشاركين بالعزاء بحجة أنه هارب من الخدمة العسكرية، ولم يجد الشرطي السيء الذكر مكاناً مناسباً لالقاء القبض عليه إلا في الموكب الحسيني وكلما حاول الناس حمله على الاقلاع عن فعله المشين في هذا الوقت غير المناسب، امتنع عن اجابتهم وركب رأسه طغياناً وتفرعناً، مما اضطر السيد المترجم للتدخل ومحاولة اقناعه بضرورة العدول عن اعتقال الشخص المطلوب وعدم انتهاك حرمة الموكب الحسيني ازداد طغياناً وعتواً فما كان من السيد القبانجي إلا أن أهوى عليه بصفعة حيدرية على وجهه القبيح وكأني به يصرخ بوجهه: يا ابن اللخناء ابتعد شلت يمينك وسود الله وجهك، الا ترعى حرمة للحسين في هذه الساعة؟!

وهنا تدخلت عناصر الشرطة وادارتها، ووقف الجمهور الى جانب السيد الخطيب وكثر اللغط والجدل والاخذ والرد والقيل والقال وأدت أخيراً إلى عواقب غير حميدة واتسع الخرق، واضطرمت نار الفتنة، وأصبحت حديث الناس لفترة طويلة حتى خمد أوارها بعد أحداث موجة من المشاكل والقلاقل اتسعت حتى امتدت الى مدينة السماوة التي تشرف قائمقاميتها يومئذ على ادارة مدينة الخضر.

ومن تلك اللقطات الجريئة للسيد المترجم انه ارتقى المنبر يوماً فقال هازلاً ومعرّضاً: لو أن الحكومة تسمح (للقبانجي) ان يتكلم كما يريد وكيفما يشاء ولو في هذه العشرة أيام بل ولو في هذه الليلة فقط، على أن يكون الحديث بلا رقيب ولا حسيب!! وبطبيعة الحال ان هذا الحديث معبر عن خنق الحريات وعدم افساح المجال للمصلحين ان يتحدثوا للناس بما يرونه مناسباً فان الرقابة تحصي عليهم أنفاسهم وتحاسبهم حساباً عسيراً على كل كلمة تنطق بها ألسنتهم وهذا هو الاضطهاد والارهاب بعينه.

وفي نفس السياق مما يدخل في باب جرأته واعتداده بنفسه وانتقاده اللاذع للتصرف غير المناسب ان حضر مجلسه ذات يوم اكبر مسؤول رسمي في البلد، فاضطرب المجلس ترحيباً وتبجيلاً بسيادة (المدير). ويبدو أن أحد المغفلين القائمين على خدمة المجلس وخصوصا في مراسم الضيافة المألوفة يومئذ وهو تقديم كؤوس الشاي للحاضرين، فبادر بحمل كأس من الشاي بعفوية وغفلة الى سيادة المسؤول الرسمي في اثناء خطبة السيد المترجم، فما كان منه إلا أن مد صوته وهو على المنبر بأسلوب ساخر ونقد لاذع مخاطباً حامل الشاي: ألا فاسقني أنا أيضا لئلا يشرب سيادة المدير الشاي لوحده!. ولعل هذه

الكلمة كـانت أشد من صفعـة ذلك الشرطي!! لانها تعرب عـن عدم فهم المسؤول لـلاعراف والتقاليـد المتبعة في مثل هذه المجـالس بأن لا يجوز احـداث اي فـوضى او تشـويش او منافـاة لأدب المجلس والخطيب على المنبر فما معنى تقبله وشربه للشـاي حتى وان قدم اليـه ببراءة وعفوية.

ولعل من أظرف مـا تناقله أهلنا وسمعتـه من زمن بعيد أن نزاعـاً بين شخصين احتـدم بحضرة السيـد المترجم وتعـالت أصـوات المتخـاصمين بغضب وانفعـال شـديـدين، وكلما حـاول السيـد تهدئـة أعصاب احـدهما الذي كان شديد التوتر لم يزدد الا صراخـاً وانفعالاً، فقال له السيد بقوة: أنت ما اسمك؟ فبـادر هو الآخر باجابته الفورية وهو في حالة الغضب: إن اسمي قبقاب!!.

فقال السيد بكل اتزان إذاً يا أخي يا قبقاب لماذا شدة الانفعال وأنا سمعت عن قبقـاب الكثير من التحمل!! ثـم يا أخي يا قبقـاب ألا تتلطف بالعفـو عن غريمك؟ فأنت انسـان قبقاب معـروف .. وهكذا حول السيـد النزاع الى ظرافة وكان بين الآونة والأخرى يخاطبـه بقوله يا أخي يا قبقاب إن الأمر ليس كذلك وما عليك إلا أن تكون حليماً. وأوحى له بأنه قـد صـدق واقتنع بصحـة ما ادعى بـأن اسمه قبقـاب ليمعن في تقـريعه ومخاطبتـه بالاسم الذي اختـاره لنفسه وعلى نفسهـا جنت براقش.

★★★★★

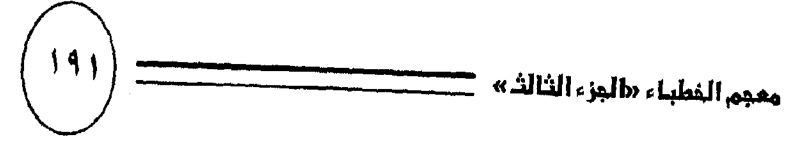
وبعـد هذه اللقطات المطبـوعة في لوحـة الذاكـرة والتي اتخذت من عرضها مـدخلا للحديث عن ترجمة السيد القبـانجي لا اكتم القارىء الكريـم بأني تبـاطئت بـل ربما احجمت عن طـرح هذه الترجمة بهذه

العجالة ليس اهمالاً أو تقاعساً وانما تهيباً وارجاءاً ريثما تتوفر لدي مصادر الدراسة ووثائق البحث ومقومات الكتابة من معلومات موثقة ودراسات شاملة لتغطية أخبار هذه الشخصية ببعض ما تستحقه علينا من الوفاء والعرفان.

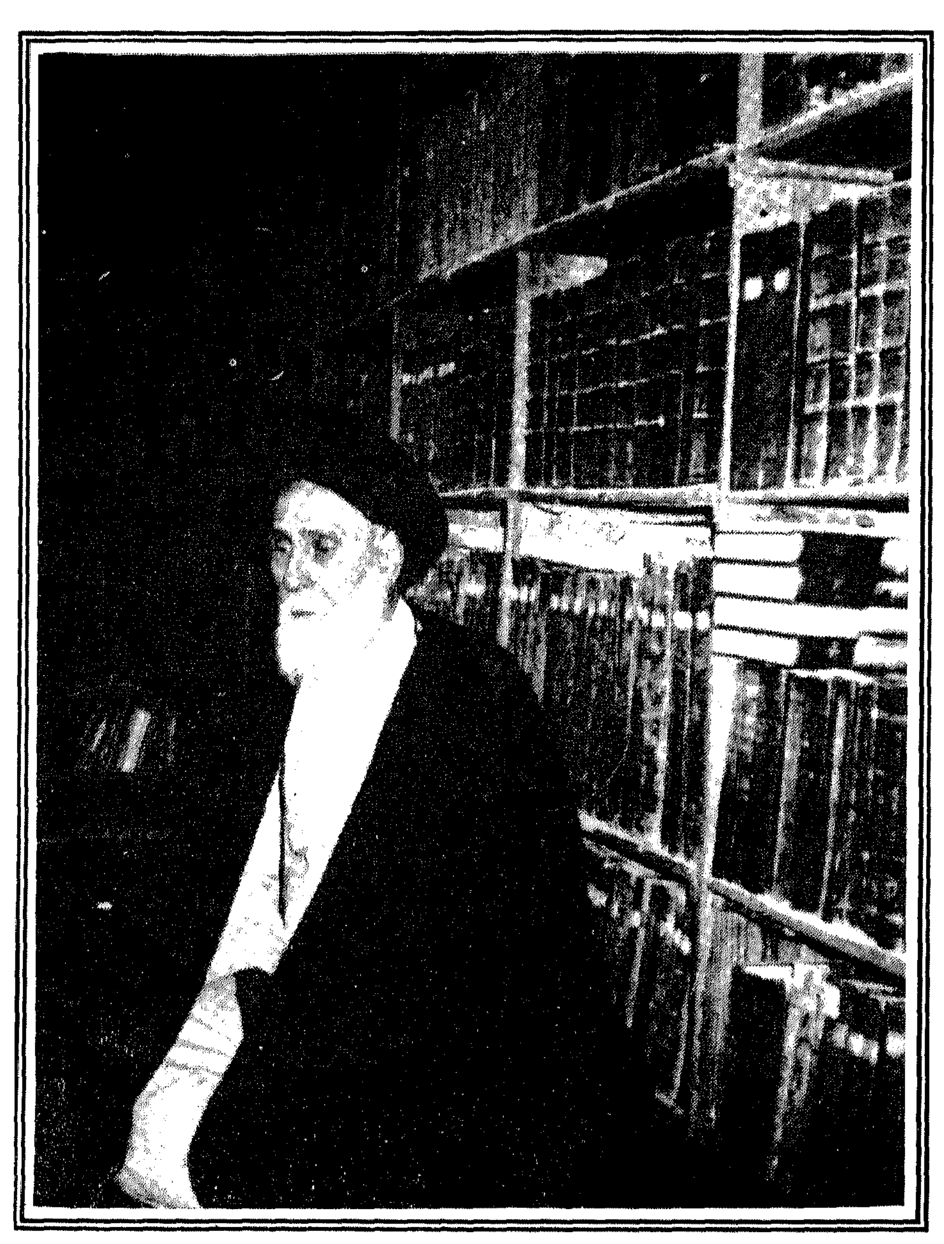
وبينما كنت في غمرة التردد والتريث مع دوافع ومحفزات في نفسي للكتابة عنه، اذ فاجأني الأستاذ الحاج عبدالله حمد مسؤول مكتبة الرسول الأعظم العامة في الكويت وبيده كتاب على غلافه الخارجي صورة السيد المترجم كتب فوقها خطيب العلماء السيد حسن القبانجي بقلم نجله العلامة الجليل السيد صدر الدين القبانجي وانه صدر حديثا ووصلهم تواً، وهنا وجدت ضالتي وظفرت ببغيتي وقرأت الكتاب متمعناً بفصوله سابراً لأغواره مطلعاً على حقائقه وذكرياته وسائر شؤونه الأخرى، فشدني الكتاب وجذبني الأسلوب وزاد في اصراري على اخراج هذه الترجمة فوراً على صفحات المجلد الثاني من كتابي الماثل للطبع وحفزني على المبادرة واتخاذ القرار والتصميم الذي لا بد منه هو رؤيا رأيت السيد القبانجي فيها يشجعني ويبارك لي هذا العمل فألزمت نفسي أن تحث الخطى لاستكمال هذه الترجمة بأقصر وقت ممكن.

وآثرت باذن الفحوى من سماحة الاستاذ المؤلف أن استعين بكتابته الرشيقة وقلمه الرسالي وطرحه المسؤول فأدرجه في هذه الترجمة كما ورد اعتزازا ووفاءا وخدمة لسيدنا المظلوم، وارجو من السيد المؤلف ان ينظر لأخيه بعين الرضا والقبول وتحقيق الأمل في مياتني على جهده في ترجمة السيد أبيه لتعذر لقاءه المباشر في الظرف الراهن.









آخر صورة للعلّامة السيد حسن القبانچي

النسب الشريف والنشأة

ينتسب المترجَم له العلاّمة السيد حسن القبانجي إلى الشجرة المحمديّة والدوحة النبويّة متصلاً بالامام الحسين بن علي عليه السلام وهو جدّه الثامن والعشرون.

وفيما يلي صورة عن شجرة النَسَب كما أوردها العلامة السيد جعفر الأعرجي الكاظمي في كتابه «الدر المنثور في أنساب المعارف والصدور»[1] :

«هو السيد حسن، بن السيد علي، بن السيد حسن، بن السيد صالح، بن السيد المهدي الملقب بـ(القَبانجي)، بن صالح، بن أحمد، بن محمّد الزاهد، بن حسين الكريم، بن محمّد أبو الأشبال، بن علي (هنا تجتمع قبيلة آل العَرِد وآل الوردي)، بن حسين، بن محمّد، بن خميس (جَد آل وتوت)، بن يحيى، بن هزّال، بن علي، بن محمّد، بن عبد الله بهاء الدين المعروف بـ(البهائي)، بن النقيب يحيى بالكوفة بن أبو عبد الله الحسين النسّابة نقيب النقباء قَدِم من الحجاز إلى العراق سنة (٢٥١هـ)، بن أحمد المحدّث الفقيه الشاعر، بن الأمير أبي علي عمر الأكبر المقتول سنة (٢٥٠هـ)، بن يحيى الراوية نقيب النقباء صاحب الدعوة سنة (٢٢٠هـ)، بن الحسين

---

(1) المجلد الثاني: ٢٨٥.

ذي الدمعة، بن زيد الشهيد، بن الإمام علي بن الحسين زين العابدين، بن الإمام الحسين عليه السلام».

وُلد في مدينة النجف الأشرف بالعراق في العقد الثالث من القرن الرابع عشر عام ١٣٢٨ للهجرة النبوية[١] الشريفة الموافق لعام ١٩٠٧ للميلاد.

نشأ في مدينة العلم والدين والجهاد - النجف الأشرف - إلى جوار مرقد جدّه أمير المؤمنين عليه السلام، ومنذ سنيّ شبابه الأولى وفي العقد الثاني من عمره سلَك مسلك العلماء، وعكف على دراسة العلوم الدينيّة، وقد توفي والدهُ حيث كان السيد حسن في سنّ العشرين من عمره فارتبط عائلياً ببيت ابن عمه وزوج أخته العلاّمة الخطيب السيد عبد الأمير القبانجي.

«درس العربيّة والمنطق على يد الفاضلين - المرحوم - السيد حسن الحكيم و - المرحوم - الشيخ محمّد صالح صحين، وعلم المعاني والبيان على الفاضل - المرحوم - الشيخ علي ثامر، والفقه والأصول على يد العلامة الشيخ زين العابدين العاملي، وتخرّج في العلوم الإلهيّة على يد حجة الإسلام آية الله السيد محمّد جواد

(١) كما ضبطه العلامة المؤرخ آقا بزرك الطهراني في كتابه «الذريعة الى تصانيف الشيعة» ٢٦: ٣٠٩.

الطباطبائي التبريزي، وتتلمذ في خطابته على يد فضيلة الخطيب المرحوم الشيخ محمّد حسين الفيخراني»[٢].

ونعرف أيضاً أنه استفاد من مباحثاته العلمية مع العلامة الشيخ محمّد علي الأوردبادي صاحب كتاب «علي وليد الكعبة»، وقد ناقش بعض آرائه في كتابه «الجواهر الروحيّة» وقد كان يكنّ له احتراماً وتقديراً علمياً خاصاً.

ويبدو أنه قد أظهر نبوغاً علمياً، واقتداراً خطابيّاً، واستعداداً نفسياً لتحمل المسؤولية، وخوض غمار العمل مع الأمة، الأمر الذي دعا مرجع الطائفة يومئذٍ وزعيمها الأوحد آية الله السيد أبو الحسن الاصفهاني لبعثه وكيلاً عنه في الأمور الدينية والشؤون الاجتماعية إلى مدينة خرمشهر (المحمّرة)[١]، حيث واصل عمله هناك مدّة ثلاث سنوات.

من خلال قراءة في أفكاره ومواقفه ومجمل أعماله نستطيع أن نكتشف أنه كان يمتلك شخصيّة حرّة في التفكير، وأصيلة في الاتجاه بعيداً عن صور التبعيّة الفكرية والسياسية، وبنفس هذه الطريقة أيضاً كان قد كوّن وجوده وبنى حياته العلمية والاجتماعية اعتماداً على الذات، وثقة بالنفس، وتوكلاً على الله تعالى.

---

[٢] عن «خطباء المنبر» للشيخ حيدر المرجاني: ١١١.

[١] هي من أكبر المدن العربية في جنوب إيران، حيث كانت ترتبط فكرياً ودينياً بالمرجعية الدينية في النجف الأشرف ـ العراق.

فالظروف والمكوّنات العائلية والاجتماعيّة التي أطاحت به لم تكن تسمح بمثل هذا التكوين، ولاتشجّع على بناء مثل هذه الشخصيّة العصاميّة في البعد العلمي والاجتماعي والسياسي.

ومن هنا فقد كان نموذجاً في أسرته وعشيرته، كما هو نموذج فريد قياساً إلى طبيعة آفاق التفكير الحاكمة يومئذٍ في النجف الأشرف وخاصة في الوسط العربي من الحوزة العلميّة.

لقد عمل السيد القبانجي على التوفيق بين المنهجين: منهج الحوزة العلميّة المتفرّغ للدراسة والتأليف ومنهج الممارسة الخطابية المتفرّغ لدور المنبر الحسيني.

ولعلّ هذه العملية التوفيقيّة هي من النوادر التي تفرّد بها خطيب العلماء وعلاّمة الخطباء السيد القبانجي - أعلى الله شأنه - كما جاء على لسان معاصريه. وقد كان يعي هذه الحقيقة جيداً، ويقصدها تماماً، فقد كان يقول: «أنا في النجف عالِم، وفي خارج النجف خطيب»؛ حيث كانت النجف لا تألف ظاهرة العالم الخطيب والخطيب العالم.



صدرت له مجموعة من المؤلفات العلمية الهامة، و لم يصدر لـه بعضها الآخر وسنذكرها في الفصل الأول.

مارس العمل الخطابي والتوجيـه المنبري في مـدن عديـدة مـن العراق مثل بغداد، الكاظمية، العمارة، الناصريـة، القرنـة، الكوفـة، الرمثية، الخضر المشخاب، أبو صخير وغيرها.

كما مارس العمل الخطابي والتوجيه المنبري في خارج العـراق أيضاً مثل: الكويت، البحرين، مسقط، الأحساء، القطيف وغيرها.

إعتُقِل بفعـل نشـاطه الديـني والسياســي علـى عهـد كـل الحكومات المتعاقبة في العراق كما كان هو يحدّث بذلك.

اعتقـل في أيـام العهـد الملكـي، وعلـى عهـد الملـك فيصـل وحكومة نوري السعيد.

واعتقل على عهد الملك فيصل وفي حكومة ياسين الهاشمي.

واعتقل علـى عهـد حكومـة عبـد الرحمـن عـارف في الحكـم الجمهوري.

واعتقل في العهد المظلم أيام حكومــة البعـث مرّتـين أولاهمـا سنة ١٤٠٥هـ الموافق ١٩٨٥م وثانيهما في الانتفاضة الشعبانية عام ١٤١١هـ الموافق لعام ١٩٩١م حيث لم يُعرف عنه شيء بعد هـذا الاعتقال،والله أعلم بأمره وإليه المصير، وكفـى بـه حسـيباً وجازيـاً ومثيبـاً.

ملاحظات:

١ ـ الاهتمامات العلمية:

لعلّ البُعد العلمي هو من أبرز معالم شخصيّة السيد القبانجي فرغم اهتماماته في المجالات الأُخرى كما سيأتي شرحها إلاّ أنّ العلاّمة المترجَم له كان قد كرّس الشطر الأعظم من حياته للكتابة والتأليف.

وسوف نجده مغموراً بالاهتمامات العلمية إلى الدرجة التي لم تفارقه حتّى وهو في سجونه المتكرّرة.

فقد كان كتابه الموسوعي الضخم «مُسند الإمام علي عليه السلام» قد انبثقت فكرة تأليفه والعزم على الشروع به أيام تبعيده من قبل حكومة عبد الرحمن عارف الطائفية إلى مدينة راوة في شمال العراق كما يذكر ذلك في خاتمة كتابه حيث يقول:

«وكان الشروع في تأليف هذا الكتاب سنة ألف وثلاثمائة والسابعة والثمانين هجرية والحمد لله أولاً وآخراً، وكانت فكرة تأليف هذا المسند تخامرني وأنا في المنفى في ناحية راوه وهي قرية تابعة لقضاء عانة تقع على شط الفرات ومنها إلى سوريا حيث بعّدنا عبد الرحمن عارف رئيس الجمهورية يومذاك، فقضينا شهراً واحداً في التبعيد، وعند رجوعنا إلى النجف الأشرف سنة ألف

وثلاثمائة وسبعة وثمانين هجريَّة شرعنا في تأليف هذا المُسند ولله الحمد والشكر وله المن».

وبنفس الاندفاع العلمي، والشغف في الكتابة والتأليف، ورغم قساوة ظروف السجن[1] كان يواصل تدوين كتابه «جولة في ربوع الأدب» بعدما سُمح له في الأشهر الأخيرة بمواجهة بعض أولاده ومتعلّقيه.

وبهذا العشق والوله العلمي كان السيد القبانجي قد اندفع لتكوين خامس أو سادس أكبر مكتبة علميّة شخصيّة في مدينة العلم (النجف الأشرف) حيث كانت نفقاته في شراء الكتب

(1) يروي الحاج الوجيه الشيخ كامل الكندي والذي كان رفيقاً للسيد القبانجي في السجن أنه تمّ اعتقاله في الشهرالخامس من عام ٨٥م وتمّ اطلاق سراحه في الشهر العاشر من عام ٨٦م.
ولم تكن غرفة السجن التي لاتتجاوز ٢٤م تتسع للعدد المكتظ في داخلها والذي لاأكاد أحصيه حتّى كنّا إذا أردنا النوم يقوم بعضنا وينام الآخر، وإذا أراد بعضنا أن يتقلب في منامه يميناً وشمالاً فعليه أن ينهض قاءماً ثمّ يدير نفسه لينام من جديد على الجانب الآخر.
واستمر مكثنا في هذه الغرفة ستة أشهر، نقلونا بعدها إلى غرفة أخرى بمساحة ٤×٥ متر ونحن ٤٥ شخصاً، ولشدة الزحام فيها وطبيعة التعامل، وحرارة الجو فقد توفي ستة من السجناء فيها.
ولم تكن لدينا خلال هذه الفترة أية مقابلة مع أحد من ذوينا، وبعدها هيئوا لنا غرفة أكثر اتّساعاً وسمح لنا بالمقابلة مع ذوينا.

تستغرق قسماً كبيراً من نفقاته الشخصيّة تبعاً للضرورة التي تفرضها عليه اهتماماته العلمية ذات الطبيعة الموسوعيّة[٢].

٢ـ معالجة الفراغات الفكرية:

ولعلّ الأهم فيما يجب الأشارة إليه منحياته العلميّة هو طبيعة الموضوعات التي تناولها في مؤلفاته، حيث اتّسمت بمعالجة الفراغات الفكريّة التي يواجهها الجمهور المعاصر يومئذٍ، وبضغط الهجمة الفكرية الشرسة على العالم الإسلامي.

وهذا ما يذكره في مقدمة كتابه «الجواهر الروحيّة» في المجلّد الثاني منه حيث يقول:

«وإنّي لأعتبره مجرد رسالة بسيطة للجامعة الإنسانية ومحبّيها، حملها أخ لهم سبقت إلى فؤاده لُمَع من أضواء المعرفة وأراد أن تنعكس على أفكارهم واضحة جليّة جلاء الشمس تهدي إلى الرشد وتدعو إلى سواء السبيل، أو خطاباً متواضعاً موجّهاً إلى مثقفي أبناء الجيل، ليس له في نفسه قيمة سوى ما يهدف إليه من نزعة اخلاص وحب

---

(٢) لم يكن هذا الأهتمام الكبير في شراء الكتب نابعاً عن حبّ شخصي لجمعها أو الافتخار بها، بل كان بهدف الاستفادة منها واستثمارها ولذا فقد كان يقول: «الحمد لله إني أشعر بأني قد استفدت من مكتبتي، ولم تضع جهودي وأموالي».

في فرد من أفرادها. فصول تعالج قضايا الدين، والعقل، والحياة، والاجتماع...».

٣ ـ الدفاع عن أهل البيت عليه السلام:

وفيما عدا ذلك فانّ نظرة شاملة إلى مؤلفاته تكشف لنا عن اتجاهه العام في الدفاع عن أهل البيت عليه السلام، والدعوة للإستفادة من عطائهم العلمي والتربوي حيث واجهوا ـ في المجال العلمي كما هو في المجال السياسي ـ ظلماً واضحاً على مرّ التاريخ.

وإذا قرأت ما كتبه المؤلف في مقدّمته لكتابه «مُسند الإمام علي عليها السلام» تجده قد توهّج قلبه بنور محبّتهم، وأنوار علمهم، وتجد أن جواره لمرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف قد مسكه بحبل وثيق حتّى تجده في كلّ مؤلفاته يعود بمناسبة وأخرى للانتهال من عطاء شخصيّة هذا الإمام العظيم وأحاديثه ومواقفه[1].

أنظر ماذا يقول:

---

(١) ولم يكفه ما كتبه عن الإمام علي عليه السلام، بل كان يقول متمنياً: «أين أولادي ليكتبوا عن أمير المؤمنين عليه السلام، فإنّه بحر مهما نكتب عنه فهو قليل». وكان يقول: «أني حاولت في كل أحاديثي ومجالسي أن أربط الناس بشخصية هذا الإمام، وأستفيد من بعض خطبه وكلماته».

«ولم تكنِ محاولتي هـذه لجمع تـراث هـذا الإمـام العظيـم في البداية إلاّ تعبيراً عن اتجاهي العاطفي والروحي والعقيدي العميق إلى أن أعيش بفكري وقلبي ووجداني مع هذا الإمام، وأتفاعل مع كـل كلمة منه، واستضيء بكل قبس شعَّ به، فقـد نشـأتُ مشـدوداً إلى علي عليه السلام بكياني كله، متطلعاً فيـه إلى كـل مـا يصبـوا إليـه الإنسان من مُثُل وقيم وقوى جذب وشد.

يشدّني إليه بعد ذلك أني وجدته بحراً من العلـم لا جـزر لـه، ومعيناً من الحكمة لاينضب....

ويشدّني إليه إضافةً إلى هـذا وذاك أنـي رأيـت هـذا الإنسـان الأمثل فريداً في مظلوميته كما هو فردٌ في إيمانه وعلمه ومنزلته عنـد ربّه ونبيّه....

ولئـن تعـدَّدت مظـاهر المظلوميّـة لهـذا الإمـام الممتحـن فلقـد امتدت بعض هذه المظاهر إلى مجالات البحث العلمي أيضاً....

وبالتالي فقد رأيتُ أن أدفع بدوري وبقدر إمكاناتي المحـدودة المتواضعة هذه الظلامة عن الإمام صلوات الله عليه من بين ظلاماتـه الكثيرة....».

وسوف نجده من ناحية أخرى قد انفرد فيمـا كتبـه عـن أهـل البيت عليه السـلام: فهـو لم يكتـب عـن ترجمـة حيـاتهم بالطريقـة



التقليدية، وإنما ابتكر مفردات جديدة في التأليف كانت ـ ومازال ـ تفتقر إليها المكتبة الإسلاميّة.

لقد كان كتابه «على والأُسس التربويّة» شرحاً موسّعاً لوصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام.

فيما كان كتابه «شرح رسالة الحقوق»الضخم إبداعاً في مجال شرح رسالة واحدة للإمام زين العابدين عليه السلام.

أمّا كتابه الموسوعي «مُسند الإمام علي عليه السلام» فهو ابتكار لم يسبقه إليه أحد في هذا المجال إلاّ الشريف الرضي في كتابه «نهج البلاغة» وفي إتجاهٍ أدبي وبلاغي فقط.

٤ ـ الوصية بطلب العلم ونشره:

واعتقاداً بالضرورة الملحّة لطلب العلوم الإسلامية ونشرها، وبخاصة التعريف بمدرسة أهل البيت عليه السلام واكتشاف حقائقها وجواهرها، فقد كان يرغب لكّل أولاده الذكور التسعة أن يكونوا من رجال العلم، وحمله علوم القرآن، وفكر أهل البيت عليهم السلام، وقد كان يدفعهم بهذا الاتجاه ويشوّقهم عليه.

أذكر يوم كنت في حدود سنّ الخامسة عشر من العمر وكنت مشغولاً بطلب العلوم الدينيّة كان يدفعني باتجاه التأليف ويتعهّد لي بطباعة الكتاب الذي أكتبه واندفعت يومئذٍ فكتبت

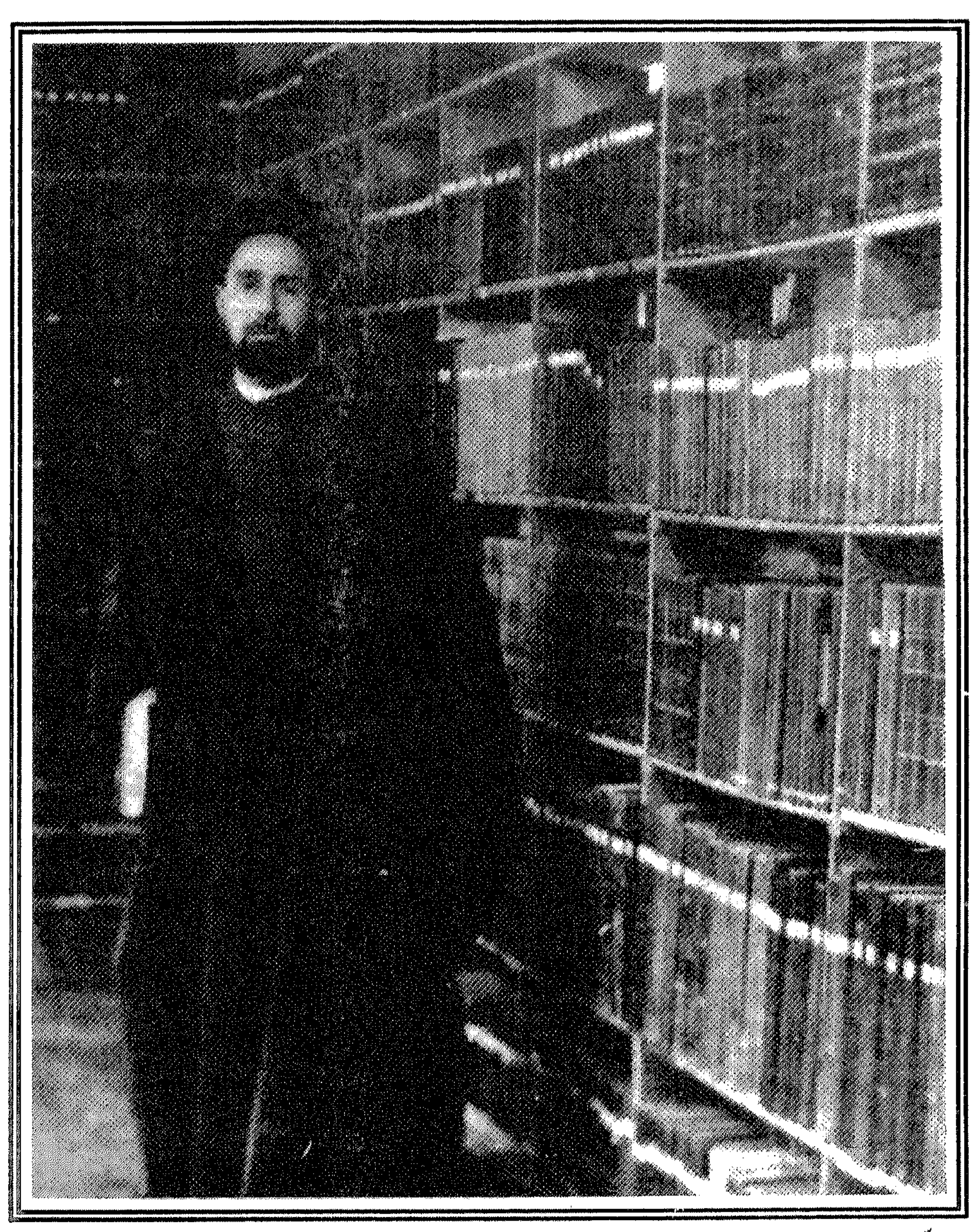
كتاباً تحت عنوان «الأسرة وأدوارها الثلاث» ورغم أنه سعى بطباعته إلاّ أنني شخصياً كنت أتردد في استحقاق الكتاب للطباعة فتوقف المشروع.

ويوم أرسلت له كتابي «المذهب السياسي في الإسلام» وترجمتي لكتاب «الذنوب الكبيرة» قال: أصبحت الآن مطمئن بأني إذا متُّ فانّ هناك من أولادي من يحمل علوم أهل البيت عليهم السلام.

ورغم أنّ لديه أكثر من ابن قد سلكوا هذا الاتجاه العلمي إلاّ أنه كان يأمل أن يكون ذلك هو اتجاه كل أبنائه التسعة، وكانت أمنيته أن يرى أبناءه قد التحقوا بركب الحوزة العلميّة الشريفة.

لقد كان ابنه الثامن ـ وهو السيد باقر القبانجي ـ سجيناً في سجن «أبو غريب» ببغداد، ومحكوماً مدة عشر سنوات، وحيث كان الأمل ضعيفاً بأن يلتقي به وهو على قيد الحياة لذا فقد كان يوصي ويقول: «إذا خرج سيد باقر من السجن وأنا غير موجود فليلبس العمامة ويقف ولو يوماً واحداً في مجلس فاتحتي».

وحينما سمح له بمواجهته بعد ثمان سنوات من السجن وتبين أنه على قيد الحياة، التقى به والده السيد القبانجي في سجن «أبو غريب» ورغم كل ظروف السجن الصعبة إلاّ أنه كان يوصيه بطلب العلم والتأليف ويرشده إلى مناهج ذلك عند خروجه من السجن.



العلّامة السيد حسن القبانچي في مكتبته الخاصة



العلّامة السيد القبانچي في أحد أسفاره إلى الحجاز

٨ ـ حركة التجديد الإسلامي:

وسوف نلاحظ لدى استعراضنا لمجمل حركة السيد القبانجي العلمية والعملية أنه كان مُعجباً بحركة السيد جمال الدين الأفغاني، وآفاق الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، ثمّ كتابات الشهيد الصدر.

نستطيع أن نكتشف من هذه الرؤية أنها تنطلق من إيمان بضرورة إيجاد حركة تجديديّة في الواقع الإسلامي على مستوى الفكر والمنهج وهذا هو ماسعت إليه الشخصيات السابقة التي اعطاها العلامة القبانجي تقديراً خاصاً:

مؤلفاته

الكتب المطبوعة:

١ـ «الجواهر الروحيّة»، ثلاث مجلدات؛

صدر الأول بتاريخ ١٣٧٥ هـ

وصدر الثاني بتاريخ ١٣٧٧ هـ

وصدر الثالث بتاريخ ١٣٨١ هـ

٢ـ «علي والأُسس التربويّة»، مجلد واحد ضخم؛

صدر بتاريخ ١٣٧٨ هـ

٣ـ «شرح رسالة الحقوق»، مجلّدان؛

صدر بتاريخ ١٣٨٣ هـ في النجف الأشرف

والطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ في قم المقدّسة

والطبعة الثالثة ١٤٠٦ هـ في بيروت

الكتب غير المطبوعة:

١ـ أنوار الحكم ومحاسن الكلم، أربع مجلّدات.

٢ـ الجواهر الروحيّة، المجلّد الرابع.

٣ـ الجرائم الأمويّة والعباسيّة، مجلّد واحد.

٤ـ النجف في الشعر قديماً وحديثاً، مجلّد واحد.

٥ـ ماذا للأئمة الاثنى عشر من فضائل، أربع مجلّدات.

٦ـ الحكمة والحكماء، ثمان مجلّدات صغيرة، وقد ترجم فيه للإمام الخميني وللسيد الشهيد الصدر بعد شهادته حتّى سجّل فيه موقع دفنه، وما رؤى على جثته من آثار التعذيب، وكان قد أخذ هذه المعلومات من بعض أرحام السيد الشهيد الصدر الذين شهدوا جنازته ودفنه.

٧ـ جولة في ربوع الأدب، مجلّد واحد.

٨ ـ صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة، مجلّد واحد.

٩ـ مُسند الإمام علي عليه السلام، عشر مجلّدات.

١٠ـ نكبه التاريخ العظمى في سبط النبوّة، قال عنه العلاّمة الشيخ آقا بزرك الطهراني: «في تاريخ سيد الشهداء للحسن بن عليّ بن الحسن القبانجي النجفي الخطيب المولود سنة ١٣٢٨ هـ في جزءين»[١].

---

[١] الذريعة ٢٤ : ٣٠١.

١١ـ نزهة الخواطر وسمير الساهر، قال عنه العلاّمة الطهراني: «كشكول فيه فوائد متفرقة»[٢].

١٢ـ مجموعة المراثي للشعراء المتقدّمين والمتأخرين، قال عنه العلاّمة الطهراني: «رأيته بخطّه وهو بعد مشغول بالالحاق إليه»[٣].

١٣ـ تصحيح الصحابة، حدّثنا بذلك الشيخ كامل الكندي ـ دام عزه ـ حيث قال: زرته أكثر من مرّة بعد الافراج عنّا من السجن فوجدته مشغولاً بكتاب (تصحيح الصحابة) يبحث فيه عن الصحابة الذين لاحقيقة لهم ولا وجود وإنّما اختلقوا على ألسنة الوضّاعين.

التعريف ببعض المؤلفات

اعتقد أن ما جاء في التقديم لكتب العلاّمة القبانجي بقلم علماء النجف الأشرف الذين عاصروه يكفي في التعريف بالقيمة العلميّة لكتبه أعلى الله شأنه. ولذا سوف أقتصر على مقتطفات مما جاء بأقلامهم الكريمة، مبتدءاً بنقل بعض مقاطع من كلام المؤلف نفسه في هدف التأليف ومحتوى الكتاب.

---

(٢) الذريعة ٢٤ : ١١٦.

(٣) الذريعة ٢ : ١٠٥.

كتاب «الجواهر الروحية» في سطور:

الكتاب هو عبارة عن دراسة موسّعة لموضوعات مختلفة في الفكر الإسلامي كان المؤلف يلقيها بشكل محاضرات على مستمعيه في مدن متعددة في العراق، وخلال مواسم التبليغ الديني.

وقد تناولت موضوعات هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة بمجموعة أبحاث هامة في مسائل حسّاسة مثل:

«ضرورة الدين للإنسان» و «نظرية الإسلام في الروابط الأجتماعية» و «حقوق المرأة في الإسلام» و «قضية الحجاب والسفور» و «الربا وفلسفة تحريمة في الإسلام» و «الدنيا في نظر الإسلام» و «حقيقة التجدّد ومعناه» و «القرآن دستور الدين الإسلامي» و «الطب وأثره في الإسلام» و «الخمرة ومضارها» و«الإسلام والمسيحية» و «التبشير والمبشّرون» وغيرها من أبحاث هامّة.

يقول المؤلف عن هذا الكتاب:

«مجموعة من المباحث أتت على هذه الصورة لا أدّعي أني ابتكرتها، أو جئت بكل جديد فيها، ولكني أحسب أني عانيت فيها اجتهاداً خاصاً، إجتهاداً في فهم المنقول، إجتهاداً في إدراك المعقول في ضوء ما آتاني الله تعالى من علم وهو ضئيل بلا جدال».

ولننظر الآن ماذا كتب عنه العلماء:

غرة في جبين الدهر:

كتب العلاّمة الحجة المحقق السيد محمّد صادق بحر العلوم قدس سره في تقديمه للجزء الأول من كتاب الجواهر الروحية ما نقتطف قسماً منه يقول فيه:

«وبعد فقد تسلّمت في هذا اليوم بالبريد كتابكم الثمين (الجواهر الروحيّة) ولعمري أنه جواهر لروح كل من يقدرّه ويقدّر مؤلفه البارع، والحري بأن يسمى الغذاء الروحي أو الأغذية الروحية.

فأرجو من الله تعالى أن يوفقك أيها الأخ إلى طبع الأجزاء الأُخر لتستفيد الأُمة الإسلاميّة، وتعرف من أين تؤكل الكتف، ومن أي شريعة تغترف. هذا وبالعجالة إني أُهنئك باخراج هذا السفر الثمين الذي هو غرّة في جبين الدهر، وجوهرة ثمينة لا يقدّرها إلاّ عباد الله المخلصون، والعلماء العارفون بالحقائق».

كتاب «علي والأسس التربوية في سطور»:

هذا الكتاب هو شرح لوصية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لولده الحسن عليه السلام حيث قدّم المؤلف فيه دراسة موسّعة للجوانب التربوية والأخلاقية من خلال ما جاء في هذه الوصيّة[1].

ويعتبر الكتاب أول مبادرة في هذا المجال، كما سنرى أنّ كتاب «شرح رسالة الحقوق» هو أول مبادرة في مجال شرح ودراسة رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام.

يقول المؤلف في مقدمة كتابه:

«إنّ هذه الوصية لم تلاق من الكتّاب والشرّاح العناية التي تستحقها، فقد بعدوا عن كثير من مطالبها المهمّة الثرية التي يجد الإنسان فيها سعادته واطمئنانه لو أحسن استعمالها، ولم يعطوها نصيبها كما أعطوا غيرها ممّن هي دونها ودونها بأشوط.

ولقد كان حرياً أن يُحتفل بها كما احتفلت هي بطاقات الحياة كلها، ووجّهت القلوب لكل منحة منحها الله، وكل آية من آيات الله.

حاولت في هذه الأوراق أن أُشير إلى هذه الثروة الضخمة وفوائدها، وإذا لم أبلغ الكمال فحسبي أني بذلت أقصى ما لديَّ

---

[1] يقول عنه العلاّمة المؤرخ آقا بزرك الطهراني أنه ابتدأ به في ٢١ شوال عام ١٣٥٨ هـ. الذريعة ٢٦ :٣٠٩.

من جهد، وإذ لم أعرض على القارئ جميع حقائقها وأسرارها فأني قدمت له مايكفي للدلالة على عظمتها، وقوة تعاليمها، وسموّ غاياتها...».

السفر الجليل:

كتب العلاّمة آية الله السيد محمّد جواد الطباطبائي التبريزي في مقدّمته لهذا الكتاب ما هذا نصّه:

«ومن أبدع ما أشرقت علينا شمسه في أسفاره الجليلة النافعة كتاب (علي والأسس التربوية في شرح الوصيّة) فانك بالنظر في صفحات هذا السفر الجليل تعرف قيمة ما يسديه إلى أُمّته من وقت لآخر بتلك المؤلفات القيّمة والصحف الخلقيّة العظيمة التي تهديها سواء السبيل، وتسمو بها إلى الحياة الطيّبة حياة الحكمة والرشد والفضيلة والمروءة وغيرها من الخلال التي تكفل للأُمة السعادة والهناء».

كتاب «شرح رسالة الحقوق في سطور»:

الكتاب هو شرح لرسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام، وهي رسالة بَسط فيها الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام الحقوق المفروضة على العباد في المجالات

الفرديّة والاجتماعية والسياسّية حتّى كان بمثابة لائحة حقوقيّة قانونيّة شاملة.

قال المؤلف في بيان أسباب اندفاعه لتأليف هذا الكتاب:

«...أنّ العناية أعادت الكرّة فوحّدت بين السمع والبصر والعقل، فحفزّتني إلى وضع شرح (رسالة الحقوق) المستوحاة من الإمام زين العابدين عليه السلام وإلى اقتفاء الخطوط العريضة التي رسمها في حق الفرد والمجتمع، وأحسب أنّ هذا الشرح بداية جديدة من نوعها....

لذلك ولهذا كله فقد قضيت في شرح هذه الرسالة فترة من حياتي استروحت فيها ما لا استروحه في سواها من مؤلفاتي....

انّ هذا المؤلّف بجزأيه ليس إلاّ شقّ طريق للبحث في موضوع هذه الرسالة الوعر الذي لم يتصدّ له كاتب عربي وغير عربي فيما أحسب عسى أن يتحمّس من هو أغزر علماً وأقدر للبحث فيه...».

كتاب «مسند الإمام علي عليه السلام»[1] في سطور:

يمكن اعتبار هذا الكتاب من أهم الانجازات العلمية للسيد القبانچي، وقد كان يوليه اهتماماً كبيراً حتّى أوصى أن يطبع ولو بعد مماته. ووفقاً لما يذكر في تاريخ الابتداء بتأليف هذا الكتاب وهو عام ١٣٨٧ هـ يكون قد أنفق أكثر من عشرين عاماً من عمره الشريف في جمعه وتأليفه وترتيبه حيث كان الانتهاء من آخر إعادة لكتابه سطور الكتاب عام ١٤٠٩ هـ كما جاء في خاتمة الكتاب، وكما قال أيضاً:

---

(١) قدّم له العلاّمة المحقق، المؤرخ البحاثة الشيخ آقا بزرك الطهراني قائلاً:

«فقد عرض الخطيب الشهير والفاضل الجليل السيد حسن القبانچي كتابه الجديد (مسند الإمام علي عليه السلام) وطلب مني تقريظه فاعتذرت إليه بعجزي عن ذلك لعدم قدرتي على قراءته أو الألمام به من جهة ولرعشة يدي وجريها من جهة أُخرى إلاّ أنه رعاه الله وأبقاه لم يقبل عذري ورضي بالايجاز والاختصار فنزلت عند رغبته وأجبت طلبته.

تصفحت الكتاب فوجدت مؤلفه البارع قد أتعب نفسه في تخريج الأحاديث المسندة إلى باب مدينة علم النبي ﷺ وصرف جهداً لايستهان به في تتبعها من المصادر المتفرقة واستقرائها في المظان المختلفة والمراجع المتباعدة فألّف بينها وجمعها بعد الشتات فاستحق بذلك جميل الذكر وجزيل الأجر.

إلى أن يقول:

«كتبه بأنامله المرتعشة في مكتبته العامة في النجف الأشرف عشية الأحد الرابع والعشرين من شهر صفر الخير سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية وأنا الفاني الشهير بآقا بزرك الطهراني عفي عنه».

«و لم أزل علي هذا ونحوه أكثر من عشرين سنة أضع خطط العمل ومناهجه حتّى استقامت السبل، ووضح المنهج واستنار، فكان هذا الكتاب هو حصيلة ذلك الجهد».

يقول المؤلف في فكرة الكتاب وموضوعه:

«ولئن تعدّدت مظاهر المظلوميّة لهذا الإمام الممتحَن، فلقد امتدت بعض هذه المظاهر إلى مجالات البحث العلمي أيضاً، فلم يجد التراث العظيم الذي خلّفه هذا الإمام ما يستحق من ضبط واستيعاب وتنويه من قبل الباحثين بينما سلّطت الأضواء على مآثر من آخرين ممّن ليس لهم مثل عطاء الإمام وغزارة حكمته...

وبالتالي فقد رأيت أن أدفع بدوري وبقدر امكاناتي المحدودة المتواضعة هذه الظلامة عن الامام صلوات الله عليه من بين ظلاماته الكثيرة، فقد بذلت لكل طاقاتي وكل مابوسعي من التتبع والاستقراء والتنقيب عن روايات الإمام علي عليه السلام وأحاديثه وأقواله وآرائه ونصائحه معتمداً على أوثق المصادر التي نقلها أئمة الحديث والأثر من أصحابنا الامامية وغيرهم من العلماء الأماثل من السنّة ملتقطاً جواهرها من معادنها، جامعاً لنصوصها الشريفة من مظانها، جاعلاً لكل حديث باباً وعنواناً يختص به...».

ولننظر بعد ها ماكتبه المقرّظون للكتاب:

بعد الكتب الأربعة:

جاء في مقدمة العلاّمة المحقق السيد محمد صادق بحر العلوم رحمه الله: «... هذا وقد بلغ لعمري الغاية في تنظيم أبوابه، وانسجام ألفاظه بما يعسر على المؤلفين في هذا الموضوع أن يضاهيه أحد في جمعه أو يؤلف مثله.

ولم يسبقه أحد فيما أعلم في هذا الموضوع البديع عدا أصحاب الكتب الأربعة للمحمّدين الثلاثة[1]، والجوامع الثلاثة[2] التي تقدّمت لمؤلفيها الفيض الكاشاني والحر العاملي والمجلسي..».

من أهم مصادر المعرفة الإسلامية:

لقد قدّم له شهيد عصره، ونابغة دهره، المفكّر الإسلامي والمرجع الديني الكبير استاذنا آية الله العظمى الشهيد الصدر قائلاً:

---

(١) المحمّدون الثلاثة هم:

١ـ محمد بن الحسن الطوسي المتوفى عام ٤٦٠هـ في كتابيه «التهذيب» و«الاستبصار».

٢ ـ محمد بن علي الصدوق المتوفى عام ٣٨١ هـ في كتابه «من لايحضره الفقيه».

٣ ـ محمد بن يعقوب الكليني المتوفى عام ٣٢٩هـ في كتابه «الكافي».

(٢) هي:

١ ـ وسائل الشيعة للحرّ العاملي.

٢ ـ الوافي للفيض الكاشاني.

٣ ـ بحار الأنوار للعلامة المجلسي.

«وعلى هذا الأساس تبرز المحاولة الموفّقة التي قام بها الخطيب الشهير العلاّمة السيد حسن القبانجي حفظه الله تعالى ورعاه لاستيعاب مايؤثر عن الإمام علي عليه السلام من نصوص وروايات في هذا الكتاب الجليل الذي يعتبر بوصفه سجلاً لكلام الإمام من أهم مصادر المعرفة الإسلامية».

السفر القيم:

وكتب عنه آية الله العظمى الشيخ مرتضى آل ياسين:

«ونظراً لكثرة الأحاديث المرويّة عن مولانا أمير المؤمنين علي عليه السلام وانتشارها في مختلف الكتب المؤلفة في شتى علوم الإسلام فقد شاء التوفيق الإلهي أن يدفع بمؤلف هذا السفر القيّم فضيلة السيد الجليل والخطيب الفاضل النبيل الألمعي الزكي السيد حسن القبانجي أيده الله إلى الإلمام بما يسعه الإلمام به من تلك الأحاديث ليجمعها في إطار واحد فنهض حفظه الله بهمة لاتعرف الكلل، ورغبة عارمة لايعتريها الملل، فسجّل كل ماظفر به من الأحاديث العلويّة على صفحات هذا الكتاب الذي أسماه (مُسند الإمام علي عليه السلام) ووزعها على عناوين شتى تبعاً لاختلاف مضامينها ثم حشر إلى كل عنوان مايتفق منها معه في مضمونه فجاء الكتاب ولله الحمد كتاباً فائقاً في ترتيبه وتبويبه ورائقاً في

تأليفه وتصنيفه، كل ذلك بفضل الجهد العظيم الذي عاناه في سبيل جمعه ووضعه...».

من أعظم الموسوعات:

كما جاء في مقدمة العلاّمة الكبير الشيخ باقر شريف القرشي للكتاب قوله:

«وقد انبرى بأعجاب سماحة العالم والخطيب المفوّة السيد حسن القبانجي حفظه الله إلى جمع تراث جدّه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في موسوعة تزيد على عشر مجلّدات تُعد من أعظم وأنفع الموسوعات.

وقد أنفق على تأليفها حفنة من السنين، وهي من دون شك ستسدّ فراغاً في المكتبة الإسلامية وغيرها، وسيرى فيها العلماء من الجهد الشاق الذي بذله المؤلف مايستحق الاكبار والتعظيم...».

كتاب «صوت الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة» في سطور:

هذا الكتاب لم يصدر بعد، كما أنه ليس في متناول أيدينا[1] لنتعرّف على منهجه وفصوله إلا أنّ مؤلفه السيد الوالد كان قد كتب لي وأنا في دار الهجرة ايران الإسلامية يقول عنه:

«وبعد أنّ كتابنا (صوت الإمام علي في نهج البلاغة) وهو مختارات من خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام كنّا نحاضر بها في بعض المناسبات مع شرح وافٍ أخلاقي وأدبي وتاريخي، وردّ ونقد، وأمام الكتاب أقوال وآراء لجمهرة من عباقرة العلم والأدب حول نهج البلاغة. هذا مضمون الكتاب وجلّ الرغبة أن تصدّر أمام الكتاب كلمة تتضمَّن مابين دفّتيه».

العلاّمة القبانجي والشعر:

في حدود تتبعي واستقرائي لسيرة سيدنا المترجم لم أظفر بشيء يتعلق بعوالم الشعر وقرظه، و لم اجد ولا أشارة واحدة في بعض المؤلفات التي تناولت ترجمته وتعرضت لسيرته بما في ذلك الدراسة التي وضعها نجله السيد صدر الدين القبانجي والتي

---

(1) ومثل ذلك باقي الكتب المذكورة سابقاً. فإنّها لم تَزَل بعيدة عنّا، محفوظة في النجف الأشرف.

اعتمدناها في هذه الترجمة، فلم يتعرض لهذا الجانب في حياة السيد أبيه ونستنتج من ذلك أن لم يكن للسيّد المترجم باع في نظم الشعر فهو مقلّ فيه.

وبينما كنت اعد ترجمة السيد القبانجي وأجهز الملازم لتنضيد حروفها وصف كلماتها على الكمبيوتر، اذ وقع بين يدي ديوان العلامة المقدس الشيخ محمد حسن آل سميسم تحقيق حفيده العلامة الأديب الشيخ حسام الدين آل سميسم، فعثرت على قطعة شعرية من نظم سيدنا المترجم قالها مقرظاً الديوان المذكور وقد خاطب محقق الديوان بقوله:

(إني لست بشاعر و لم أنظم الشعر من قبل إلا أنني قلت فيك شعراً)[1] وهذه هي الأبيات:

إنَّ حسام الدين في إنتاجه ... سفراً تلألأ ضوءه في النادي
سفر تضمن لؤلؤاً وجواهراً ... ومعانياً كالكوكب الوقاد
لله سفر نمقته يراعة الـ ... شاب المهذب نخبة الأمجاد
قد جائنا بدرّة يتيمة ... أرغم أهل الحقد والحسّاد
أهنا شيخ الطائفة وفخرها ... أعني أبا مهدّيها والهادي
أعني حسام الدين نبلاً وكفى ... به تسامى في عُلاً وسداد

---

[1] ديوان سحر البيان وسمر الجنان ص ٧.

أقبل تهاني الشكر من مخلص يانبعة الأجداد والأحفاد[٢]

لمحة عن اتجاهاته السياسية

لم تكن الموضوعات التي تناولها العلاّمة القبانجي لمحض المطارحات الفكريّة، أو مختصة بأبحاث عقائدية نظرية، بل كانت في قسم مهمّ منها معالجة علميّة وأخلاقيّة لقضايا سياسيّة ملحّة في المجتمع.

لقد عاش العراق في الحقبة الزمنية التي نؤرخ لها بمجموعة من التيارات السياسيّة، والأفكار الدخيلة على العالم الإسلامي، وكانت هناك حاجة ملحّة لمواجهة هذه التيارات، ونقد هذه الأفكار.

هذا الأمر هو الذي صَبغَ كتابات سيدنا المترجّم له في قسم كبير منها بلَون الأبحاث الواقعية والميدانيّة، وجعلها تتمتع بروح المعالجة للأحداث والوقائع القائمة.

وهذا النمط من الأبحاث والمحاضرات هو الذي وَضع العلامة القبانجي موضع الرجل المصلح، والمرشد والمربّي كما جاء على ألسنة معاصريه.

---

[٢] هكذا وردت الأبيات ولا يخفى الخلل في الميزان الشعري.

وسوف نحاول اكتشاف اتجاهاته السياسية من خلال أهم النقاط التي تناولها في أبحاثه ذات العلاقة بهذا المجال.

نقد الحرية الغربية:

لقد كرّس العلاّمة القبانجي قسماً من أحاديثه وأبحاثه لمواجهة الغزو الثقافي القادم من الغرب، والذي باتت قطاعات واسعة من شبابنا تُخدَع بشعاراته الكاذبة والبرّاقة.

نراه يقول:

«تقوم في هذه الأيام ضجّة حول التمسك بالحرية وما عداها، ويا ليتها الحرّية العفيفة الفاضلة، ولكنها الحرية التي تطلقها أو تدّعيها مدنيّة الدول الكافرة والمشركة والملحدة.

هذه الحرية التي تقضي بأن يختفي الإسلام ويضيع بين أهله، وتنهدر كرامة بنيه، وعزّة شبابه، وعرض نسائه. الحرية التي تجعل الإنسان ينطلق بغرائزه مفضلاً نفسه على الغير، وباحثاً عن منفعته الخاصة دون التفات إلى وجود غيره.

الحرية التي تجعل الشباب يشبع غرائزه من أعراض الآخرين.

الحرية التي تملأ البطون من موائد الغصب والنصب والتزوير والرشوة.



الحرية التي تفرض الزعامات على الناس للعبث والافساد وباسم الدين أو الوطنيّة.

... الحرية التي تقوم الحروب لحمايتها واستعمرت الأراضي الإسلامية باسمها.

اليهود أحرار فيما يفعلون.

والانكليز أحرار فما يصنعون.

والشعوب حرّة في لهوها.

الوجود كلّه حر...

إلا الدين... هو الذي ليس له الحق في الحريّة!!

يجب أن يحيا في سجن من الصوامع والأضرحة!!

ليس للدين أن يدخل على الحاكم ويجالسه، وعلى التاجر، ولا الموظف، ولا القاضي، ولا الطوائف والهيئات!!

كلهم أحرار.. إنها الفوضى.

ليست هذه الحرية.

إذا أراد المسلمون استرداد سالف عظمتهم، فعليهم بالأخذ بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم والعمل بكلّ ما أمَرَ به الإسلام[1].

الدعوة للتحرّر من الغرب ونقد المتغرّبين:

ونجده وهو يستفيد من كل مناسبة للدعوة إلى التحرّر من الغرب، فهو حين يتحدّث عن الاحسان ومفهومه عند أمير المؤمنين نجده يعرّج لتناول قضية الارتماء في أحضان الغرب عبر تقبّل مساعداته للشعوب الضعيفة!!

يقول:

«وفي كلام الإمام حثّ على أنّ المسلم يجب عليه أن يعمل ليكون قوياً بماله وعلمه، ليسود غيره ممّن لم يدخل الايمان قلبه، وها نحن نقع اليوم في أكبر الآثام ونحن لانعمل بقول الإمام المقتبس من قوله الله.

أقول:

ها نحن نخضع ونركع بين يدي غير المسلم في سبيل هذا الاحسان المتدفّق إلينا منه.

---

(1) علي والأسس التربوية : ٧٤٧ .

أفلسنا نمتص لأيدي وأرجل الأجنبي، ونلعق حذاءه ليغيثنا بماله وعلمه وعمله؟

أفليس يبيع المسلم منّا دينه وشرفه ووطنه لهذا الأجنبي في سبيل الدنيا القاصرة بجمالها وجلالها على من يعلم ويعمل في حياته.

وهل هذا العلم وذاك العمل إلا وقف على الأجنبي المسيطر علينا ونحن خِوَل له؟!

والعجيب أنّ بعض المتعنتين الذين يعيشون على أوهام أن أمجادنا في ديننا وقوميتنا فوق أمجاد الغربيين في دينهم وقوميتهم من أجل ذلك لانرى لهم فضلاً علينا في أن نلتمس منهم المال أو العلم أو العمل لأنّ آباءنا أسلفوا آباءهم ذلك من قبل...

وجواب ذلك بديهي إذ يتحقق هنا قول الإمام في آخر كلماته التي هي بين أيدينا وقوله: «احتج إلى من شئت تكن أسيره» فإن مجرد قبولنا فضلهم الذي يسمّونه (مساعدة الشعوب الضعيفة) هو الذل والعبوديّة[1].

ويقول في موضع آخر وهو يتحدّث عن خطر المدنيّة الحديثة: «جاءت المدنيّة الحديثة بخيلها ورَجلها، وشاركتنا في الأولاد

---

(1) شرح رسالة الحقوق ٢: ٧٧ .

والأموال وهجمت علينا، ولم تبق لدين سطوة، فانحسر عن المدن إلى القرى ثم انحاز إلى أطراف البلاد وهي تطارد الدين...»[٢].

دعوة لانتباه المسلمين ويقظتهم:

ونراه حين يستعرض فصول حقوق الإنسان من كلام أمير المؤمنين عليه السلام لاتفوته الفرصة لإثارة حميّة المسلمين، والدعوة لانتباههم ويقظتهم.

يقول:

«وهنا قصة ظريفة أود أن أروي خطوطها للقارىء بشيء من الايجاز غير المخل، وفيها ختام الفصل مع علمي أنها توقد شعلة الأسى والأسف في قلب كل مسلم غيور.

أرسمها في كتابي هذا ـ علي والأسس التربوية ـ وأنا في النجف الأشرف عاصمة العلم الإسلامي سنة ١٣٧٨هـ أجل أرسمها لعل أن ينتبه المسلمون من رقادهم وقد آن وقت الانتباه.

ذكر جورج جرداق في كتابه (علي صوت العدالة الإنسانيّة) قال:

حدّثني الكاتب اللبناني الصديق ج.ج قال:

(٢) الجواهر الروحية ١: ٣٩٦ .

يوم كنت في أحد البلدان الأوربيّة التي تسعى في تحرير الإنسان من العوز والفاقة وويلاتهما، قلت لوزير معارف ذلك البلد: نحن العرب سبقناكم أكثر من ألف عام إلى توضيحها، فقال الوزير الأوربي: وكيف ذلك؟ قلت: منذ بضعة عشر قرناً قال عليّ بن أبي طالب: «مارأيت نعمةً موفورة إلا وإلى جانبها حق مضيّع». فقال الأوربي: إذن نحن أفضل منكم، قلت: لِمَ؟ قال: لأن عربياً منكم اكتشف هذه الحقيقة منذ بضعة عشر قرناً وأنتم ماتزالون في مظلمة اجتماعيّة، فيما طبّقناها نحن قبلكم، فأنتم متأخرون عنّا بضعة عشر قرناً في هذا المعنى»[1].

لائحة حقوق الإنسان ـ دراسة مقارنة:

وفي مواجهة الانهيار أمام حضارة الغرب، والصَخَب الذي أحدثته لائحة حقوق الانسان، وسحب الشعوب المسلمة باتجاه العبودية للفكر والقيم العربيّة والذوبان فيها، نجد السيد القبانجي قد تصدّى لمناقشة ونقد وتقييم ومقارنة موسّعة لوثيقة حقوق الإنسان الغربية، وعقد فصلاً كاملاً من كتابه «علي والأسس التربويّة» من ٣٢ صفحة مؤكداً أنّ الإسلام هو الأسبق لتقنين حقوق الإنسان بالصورة الصحيحة والدقيقة.

---

(١) علي والأسس التربوية: ١٢٤ .

وتجده يقول بعد هذا الاستعراض لما جاء في كلمات الإمام علي عليه السلام في مجال حقوق الإنسان:

«فليخفف الغرب في إعجابه في شرعة حقوق الانسان التي نشرتها هيئة الأمم المتحدة في القرن العشرين، وملاؤا الدنيا عجيجاً فارغاً حول ماصنعوا وما يصنعون، وأكثروا من الدعاية لأنفسهم على صورة ينفر منها الصدق والذوق جميعاً، وأزعجوا الإنسان بمظاهر غرورهم، وحمّلوه ألف منّةٍ وألف حمل ثقيل. فقد فكّر فيها الإمام علي عليه السلام منذ أربعة عشر قرناً وصاغها صريحة تعلن عن ذاتها جوهراً في كل حين ونصاً وجوهراً في أكثر الأحيان.

وإنك لتجدها في آثار متماسكة متفاعلة لاتترك فيما بينها منفذاً لما ينقضها في خطوطها العامة أو في جزئياتها الخاصة»[1].

الثورة على الظالم ونقد الحكومات المتسلّطة:

وحين كان العراق يعيش في ظل الحكم الطائفي والمرتبط بعجلة الغرب، وحين كانت ثروات العراق تُهدر ويتصرّف بها الأجنبي، وحين كان الجهاز الحاكم مفروضاً على الشعب مكمّماً أفواهه بالحديد والنار، كان لسان وقلم العلامة المجاهد،والمصلح

---

(١) علي والأسس التربوية: ٩٢.

الثائر السيد القبانجي لايترك فرصة دون التعرّض لظلامات الناس وتعسف الحكومات الظالمة،والدفع باتجاه الثورة عليها.

فهو حين يتحدّث عن حق السلطان في كلام الإمام زين العابدين لاتفوته الإشارة إلى قضية الثورة على الظالم فيقول:

«فالثورات التي تقوم ضد السلطان الغاشم حق مشروع للشعب، بل واجب من واجباته...»(١).

ويقول في هذا المجال أيضاً وهو يُعرّض بانحراف الحكومات القائمة:

«إنّ الحكومات تستصلح الآن مساحات شاسعة من الأرض السبخة والصحاري الجافة وتعمل دائبة على تحويلها إلى جنان وحقول تزودان بالزرع والنخيل وهي تغسل الأرض جيداً لتزيل ما علق بتربتها من أملاح، وترقب البذور الوليدة لتمنع الحشائش الغريبة من النماء على حسابها، فهل ترى أنّ مثل هذه الجهود لو سلّطت في ميدان العلم والتربية لاستصلاح الجماهير المضيّعة والعقول الملتاثة أما كان لها نتاج كريم وثمر عظيم»(٢).

الظاهرة القومية ـ دراسة وتقييم:

---

(١) شرح رسالة الحقوق ١: ٣٧٦ .

(٢) شرح رسالة الحقوق ١: ٤٧٨.

وامتدّ (التيار القومي) في العراق ليزحف على مشاعر الناس وعواطفهم ويشكّل ضغطاً في مواجهة المشاعر الإسلاميّة وامتدادها. وهنا نجد السيد العلامة القبانجي يقف ليناقش هذا التيار ويوضح الموقف الصحيح منه. يقول:

«قامت في هذه الأيام ضجّة حول مبدأ التمسك بالوطنيّة وترك ماعداها، وأنصار هذه الدعوة رفعوا شعار (الدين لله والوطن للجميع) فقال المصريون منهم: نحن مصريون فرعونيين قبل كل شيء.

وقال بعض السوريين: نحن فينيقيّون.

وقال بعض العراقيين: نحن كلدانيّون.

وقس على ذلك، تريد كل فئة أن تتمسك بمجدها، وتحتبس في حدودها غير ناظرة إلى مايهدّدها من المخاطر من جراء عزلتها التي تجعلها فريسة سائغة لكل مستعمر قوي مختال».

ثم يقول في التعليق على ذلك:

«معرفة الماضي يجب أن تكون أداة لاذكاء روح الحميّة والغيرة والعزّة والرفعة والاستقلال وهنا حدود الوطنيّة البريئة، ولكن لايجوز أن تتعداها إلى الصلف والكبرياء والعزلة والاغترار بالنفس وعدم الاعتراف للغير بفضائله ومحاسنه فهذا هو الطيش والحمق. الوطنية الصحيحة لاتقوم إلا على الأخلاق الفاضلة وهذه

بدورها تستمد قوّتها من الدين الحنيف،وتأريخ العراق قديمه وحديثه شاهد على مانقول.

ولذلك كان من أهم أغراض المستعمرين طمس معالم التاريخ القديم لتعليم النشء في المدارس لتضعف فيهم روح الاعتزاز بالماضي، ويلقون في روعهم أنهم عالة على الأمم الأخرى، ومحاربة الدين الإسلامي على الخصوص لأنّه يبعث في نفوس النشء الإسلامي الاحتفاظ بالكرامة، ومبادىء الحرية والشجاعة وهذا مالا يتفق مع سياسة المستعمر الغاصب في اخضاع الأمم الإسلامية وإذلالها.

فالذين يدعون إلى القوميّة وترك الدين جانباً إنّما يدعون إلى قضية محققة الخسران لأنهم يدعون إلى مبادىء لا روح فيها ولاحياة...».

«انّ اشتغال العراقيين بمسألتهم القوميّة والدفاع عن حريّتهم واستقلالهم لايمنعهم بأيّ حال من الأحوال من العطف على الأمم الإسلامية ومساعدتهم حسب ما في قدرتهم، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

نحن نرتبط مع جيراننا من الأمم الإسلاميّة بروابط كثيرة، منها رباط اللغة والدين، فيجب أن نحرص عليهما أشد الحرص، ونعمل على تمكين هذه الروابط وتوثيق العلائق الاقتصادية والاجتماعية بينناوبين الأمم الشرقّية كافة والإسلامية منها خاصة.

يا دعاة القومية والوطنية:

إن كان اتجاهكم بهذه الدعوة إعزازاً للوطن، وزفع مستواه وحفظ شرفه غيرةً وحميّةً فليكن اتجاهكم لتزكيته من الرذائل وتطهيره من المفاسد التي أفقدته كل غيرة وحميّة حتّى خسر عزّه وشرفه أولى وأحرى...»[1]

مسؤولية علماء الدين:

وفي وسط الحوزة العلمية في النجف الأشرف الذي يشهد يومئذٍ حفزّات عديدة نحو التحرّك والانطلاق لنشر الإسلام ومعارف القرآن فيما تُمسك به مجموعة من الموانع والعَقَبات، كان السيد القبانجي يضمُّ صوته إلى جانب الاتجاه الواعي والمتحرك، ويدعو إلى ضرورة تحمل علماء الدين لمسؤولياتهم في توعية الناس وإرشادهم فها هو يقول:

«وعلى حملة العلم أن يؤدوا ما وجب عليهم أداؤه من هذا الحق. يجب أن يعلّموا، فهم إن لم يعلّموا مسؤولون أمام الحق والعدل «وما أخذ الله على الجهلاء أن يتعلموا حتّى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا»...»[1].

---

[1] الجواهر الروحية ١: ١٨ - ١٢١.

[1] شرح رسالة الحقوق ١: ٤٧٣.

ثمّ لاينسى أن يتحدّث عن صفات العالم الديني المؤهـل لموقـع هداية الناس وقيادة الأمّة.

يقول:

«فالعلماء الذين يعصمـون الجماعـات مـن الزيـغ هـم أولئـك الذين أماتوا أهوائهم وقاموا بحق الله في أنفسهم وفيما حولهم.

انتفعوا بالإسلام ونفعوا الآخرين، واتصلت حيـاة هـذا الديـن بهم كما تتصل حياة الشجرة بما تحمل من بذور فيها طبيعة الانتاج والنماء، فهي وإن ولّت أعقبت بعدها ماينبت مِثلها أو أشد إلى أن يأذن الله بانقضاء الحياة والاحياء»[٢].

القرآن ومنهج التبليغ الصحيح:

وإذا كان التبليغ ضرورة ومسؤولية بذمة العلماء، فـإنّ هنـاك حاجة لاعتماد القـرآن الكريـم في مُجمـل الحركـة التبليغيـة، وشـدّ الناس إليه، كما أنّ هناك حاجة إلى إحداث عملية تجديد في المنهـج التبليغـي. هكـذا وجدنـاه تحـت عنـوان «حقيقـة التجـدّد ومعنـاه» يقول:

---

(٢) شرح رسالة الحقوق ١: ٤٧٥ .

«وعلى هذا فقد أصبح من أهم فرائض كل مسلم طالب للحقيقة أن يتعلّم تعاليم القرآن ويجعلها من ألزم ضرورياته، وأن يخصّص قسماً من ساعات ليله ونهاره لتعلّمها.

كما يجب على العلماء الروحانيين ـ علماء الدين ـ أن يشرحوا لهم ذلك بعبارات سهلة مفهومة حتّى يرغّبوا العوام على تعلّم تلك الحقائق الدينية اللازمة لاسيما في مثل هذا العصر الذي خفيت عليهم مزايا تلك التعاليم الراقية، وستر عنهم كثير من معانيها المقصودة بواسطة الايجاز والاستعارات والاشارات اللفظيّة والتلميحات الخفيّة حتّى أصبحت عندهم كالألغاز في قوالب الألفاظ المختصرة تمشياً مع الفصاحة والبلاغة...»[1].

هموم الشباب:

وإذا كان الغزو الثقافي يستهدف الشباب بالدرجة الأولى عبر الدعوة للتحلل الأخلاقي، أو الانحراف السياسي فقد كانت محاضرات وكتابات سيدنا المترجَم له تولي هذه الشريحة الاجتماعية أهمية خاصة.

وهنا نقتطف نصاً من خطاباته الموجّهة للشباب وهو يحذرهم من مخاطر الخمر ومضارّه فيقول:

---

[1] الجواهر الروحية ١: ٣٥.

«اليكم أيها الشباب الأنجاب

يانخبة العراق وأساطين العلم

يا زهرة الشبيبة العراقيّة

أنتم قدوة الأمة، وعيونها المبصرة، وآذانها السامعة ورؤوسها المفكّرة,

أنتم قادتها وسادتها

أنتم الرأي العام

أوجه خطابي هذا راجياً أن تصغوا إليَّ قليلاً لأتلو عليكم ماجاش بقلبي، وما أملاه عليّ وجداني، ودلَّ عليه اختياري مدة الحياة في هذا الموضوع الخطر وهو الخمر...»[1].

تصدير الحضارة الإسلامية:

في موضع آخر من مباحث كتابه «الجواهر الروحيّة» يتناول مسألة العلاقة بين الإسلام والمجتمع الغربي، ويرى أنّ هناك ثلاث حجب بينهم وبين تقبّل الإسلام وإدراكه:

الحجاب الأول: الكنيسة.

---

[1] الجواهر الروحية ١: ٣٩٤ .

الحجاب الثاني: رجال السياسة الغربيّة.

الحجاب الثالث: تخلّف العالم الإسلامي.

وهنا يقول:

«لما كان الإسلام هو دين الإنسانيّة العام الدائم الجامع لكل ماتحتاج إليه جميع الشعوب من الهداية الدينيّة والدنيوية وجب على العقلاء الأحرار، والعلماء المستقلّين الذين يتألمون من المفاسد المادية التي تفاقم شرها في هذا العهد أن يعنوا بهتك تلك الحجب التي تحجبهم عن النظر فيه وإزالة الموانع التي تعوقهم عن فهم حقيقته...»[٢].

الأسى على فقد الدولة الإسلامية:

وفي ليل غياب الدولة الإسلامية، ومع تضاؤل أهمية هذا الموضوع لدى المتصدّين لخوض المواجهة الفكرية مع الغرب نجد العلاّمة القبانجي معتقداً أن قيام الدولة الإسلامية هو ضرورة ملحة في معركتنا الحضاريّة، وأن أحد أهم اسباب ضعفنا وانحسارنا الثقافي هو عدم امتلاكنا للدولة الإسلامية.

---

(٢) الجواهر الروحية ٢: ١٣٧ .

فهو حين يستعرض الأسباب العائقة عن فهم الأجانب للقرآن يذكر أسباباً أربعة:

أحدها: جهل بلاغة القرآن.

ثانيها: قصور ترجمات القرآن وضعفها.

ثالثها: أسلوب القرآن وطريقته الخاصة في البيان حيث لايتيسّر نقله بسهولة للامم الاخرى غير العربيّة.

رابعها: قضية افتقادنا للدولة الإسلامية حيث يقول:

«الإسلام ليس له دولة تقيم القرآن وسنّة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالحكم وتتولى نشره بالعلم، ولاجماعات دينيّة تتولى بحمايتها الدعوة إليه بالحجة، وليس لأهله مجمع ديني ولا علمي يرجع إليه في بيان معاني القرآن وهدايته في سياسة البشر ومصالحهم العامة التي تتجدد لهم بتجددالحوادث ومخترعات العلوم والفنون»[1].

لمحة عن جهاده السياسي

من الصعب أن نفهم قيمة أي نمط من أنماط التحرك السياسي في هذه المرحلة التي نؤرخ لها ـ والتي عاش خلالها العلاّمة السيد

[1] الجواهر الروحية ٢: ١٣٦ .

القبانجي ـ ما لم ندرك طبيعة تلكم المرحلة والآفاق الحاكمة عليها سواء من حيث موقف السلطة الملكية ثم الجمهورية ـ بدءاً من العهد القاسمي ومروراً بالعهد العارفي، وحتّى نصل في الختام إلى العهد البعثي الأسود ـ، أو من حيث الآفاق الفكرية والنفسيّة لدى الناس أو لدى علماء الدين والحوزة العلمية.

المرحلة التي عاش سنواتها السيد القبانجي هي مرحلة الاحباط النفسي الذي ملأ قلوب وأفكار الناس بعد اخفاق ثورة العشرين.

المرحلة هي مرحلة استسلام للقرارات التي فرضها الأجنبي الغازي للعراق الذي ظل يمارس نفوذه عبر صبيان العهد الملكي وما بعده.

المرحلة هي المرحلة الآثار النفسيّة لسقوط معقل الثورة والحركة الجهادية والسياسية وهي النجف الأشرف بعد الحصار الذي فرض عليها من قبل الانكليز ـ أيام ثورة العشرين ـ وخدش غرورها السياسي، وتحطيم جدار صمودها العاتي حتّى استعدّت لتسليم ثوارها إلى مشانق الانكليز.

المرحلة هي الانتكاسة السياسية التي شهدتها الأوساط الشيعيّة عموماً وفي النجف الأشرف خصوصاً بعد أن قام الانكليز بتبعيد زعماء الدين الشيعة إلى خارج البلاد، ثم فرض عليهم التعهد بعدم ممارسة أي لون من ألوان العمل السياسي.

هذه المرحلة هي التي نريد أن نقرأ فيها المواقف الجهادية والبطولية للسيد القبانجي.

وحقاً أننا سنجده في مجمل تصدياته وتحدياته من النمط الفريد قياساً إلى الوسط الذي عاش فيه.

ومن ناحية ثانية فإنّنا سنجد ثلاث قضايا استأثرت بالاهتمامات السياسية للسيد القبانجي.

الأولى: الدفاع عن حقوق الشيعة ومواجهة الطائفية.

الثانية: مواجهة التحريف الفكري للجيل الناشيء.

الثالثة: قضية الحرب الدمويّة ضد الأكراد.

الدفاع عن حقوق الشيعة:

شهد العراق منذ عهد الملكيّة البائد حكماً طائفياً، ولم يكن ذلك بعيداً عن الاتجاهات التي رسمها المستعمرون للعراق. فقد أدركوا أن أقوى حربة وأمضى سلاح للطعن بوحدة العراق هي «الطائفية»، كما أدركوا أن الأفكار السياسية لدى الشيعة، وتراثهم التاريخي الثوري، وطبيعة ارتباطهم النفسي والفكري السياسي بزعامات المذهب الدينية، هي أمور تتضاد مع الأهداف الاستعمارية المرسومة وعبر الحكومات المرتبطة بعجلته. ومن هنا

فلا بد من إبعاد هذه الطائفة التي تمثل أكثرية العراق عن الحكم، وعن مختلف الممارسات السياسيّة، بل وحتّى عن سائر مجالات النفوذ والتأثير. ومن هنا بدأت قصة الطائفية في العراق.

وأمام هذه السياسة كان الشيعة يترددون بين مواقف الصبر الصامت أحياناً والمواجهة أحياناً أخرى.

وهنا كان السيد القبانجي يُمثّل لسان المرجعية الدينية في النجف الأشرف كما يُمثّل الصوت الشيعي الواعي والشجاع من ناحية ثانية. هنا نقرأ للسيد القبانجي مواقف مهمّة أيام حكومة ياسين الهاشمي على عهد الملك فيصل، حيث عُرف ياسين الهاشمي بمواقفه الطائفية الحاقدة على الشيعة، ومع اعطاء الضوء الأخضر للأدباء والصحافة بالنيل من الشيعة والطعن بمعتقداتهم وجدنا أقلاماً مأجورة كانت تتندر علناً بالتهجّم على الشيعة فكانت كتابات (الحصّان) الصحفيّة الساخرة والتهاجميّة على الشيعة موضعاً للجدل والاثارة في أوساطالشيعة في بغداد وغيرها، وبلغت به الجرأة أن يشن هجوماً على الزهراء عليه السلام مدعياً أنّ الحسن والحسين هما أبناء سلمان الفارسي الذي كان كثير التردد على الزهراء عليه السلام.

لقد اجتمع وجهاء الشيعة من بغداد بمرجع الطائفة يومئذٍ السيد أبو الحسن الاصفهاني في النجف الأشرف، واجتمع السيد الأصفهاني بالزعيم الديني العراقي الشيخ محمّد حسين كاشف

الغطاء، وتقرر دعوة الجمهور لاجتماع مهيب في الصحن الحيدري الشريف يشارك فيه كل من الشيخ كاشف الغطاء والسيد أبو الحسن الاصفهاني.

وقد كان الاجتماع حاشداً للغاية حيث أعلن فيه الشيخ كاشف الغطاء وباسم المرجعيّة الدينيّة في النجف الأشرف وجوب التصدي للحملات الطائفية التي تجري تحت ظل العرش الملكي، وبتغذية رئيس وزراء الوقت يومئذٍ ياسين الهاشمي[1].

ودعا الشيخ كاشف الغطاء العلماء ورجال المنبر إلى السفر للالتقاء بجماهير الشيعة وعشائرهم في البصرة، والعمارة، والناصرية وغيرها. ومن على منبر الصحن الحيدري الشريف كان الشيخ كاشف الغطاء يوزّع المسؤوليات ومواقع العمل.

---

(1) المعروف عن ياسين الهاشمي شدة عدائه للشيعة، ومطاردتهم وملاحقتهم في كل الحالات وحين أقاله الوصي عبد الاله من رئاسة الوزراء كان يقول: «نذر عليّ إذا حكمت رئاسة الوزراء مرّة أخرى أن لا أدع شيعياً يسجد على التربة في سراديب السنّ».
والمعروف عنه أيضاً أنه دخل السماوة قبل يومين أو ثلاثة من شهر محرم الحرام، فكانت السماوة قد وشحّت بالسواد حزناً على أبي عبد الله الحسين عليه السلام، واستقبالاً لمجالس العزاء والمصاب في شهر محرم الحرام، فأغاضه هذا المشهد وتساءل عن سبب هذا السواد، فلما أعلموه بالمناسبة أمر باقتلاع السواد كله، وأنذر من يخالفه بأشد العقوبات، وعمّت أهالي المدينة موجة من الرعب والخوف، ولم تمض ثلاثة أيام حتّى أطيح بحكومة ياسين الهاشمي واستبدلت الوزارة.

وتفاعل الجمهور مع خطابه الحماسي التعبوي غاية التفاعل.

ونهض الشيخ اليعقوبي قائلاً وهو يخاطب الشيخ كاشف الغطاء:

أمل العراق بك انعقد — وعلى مبادئك اعتمد
جسد العراق فراته — ولأنت روح للجسد

واختار السيد القبانجي لمنطقة الناصرية وملحقاتها قائلاً:

السيد القبانجي إلى الناصرية والغراف والشطرة والرفاعي وأطرافها. بلّغ عني السلام خيّون آل عبيد كبير زعماء عشائر الرفاعي. وإذا وصلت الشطرة فاقرأ عني السلام اسماعيل السوز كبير زعماء الشطرة.

وكان السيد القبانجي حاضراً في هذا الاجتماع الذي ضمّ علماء النجف وخطبائها كافة، وكان يومئذٍ في بدايات بزوغ نجمة الخطابي والسياسي.

فلما أنصت إلى حديث الشيخ كاشف الغطاء، نهض قائلاً:

أشكركم يا كاشف الغطاء، يا صاحب القلم السيّال، يا من عرّفتنا كيف نرد على الخصم ونلقمه حجراً.

فاستحسن الشيخ كاشف الغطاء كلامه وقال: «أنت لها وأنا أعرفك بذلك».

واتجه السيد القبانجي إلى المناطق المقرّرة له، وألهب حماس الناس في كل منطقة حلّ فيها، فكانت تظاهرة جماهرية سياسية عمّت مناطق الشيعة عموماً إسناداً لموقف المرجعيّة الدينية، واحتجاجاً على المسار الطائفي للحكومة.

وفي مدينة «البطحة»[1] وهي ناحية على الفرات قريب الناصريّة كان مدير الناحية متعصباً ضد الشيعة، وله خلاف مع وجوه البلدة، فلمّا نزل السيد القبانجي هذه الناحية وفي سياق الدفاع عن الشيعة، وإبراز مظلوميتهم وفي اجتماعات جماهيرية ضخمة ندّد بمواقف مدير الناحية الذي كان قد حضر الاجتماع مع جمع من الموظفين والأتباع، ولم ينته العلاّمة القبانجي من حديثه حتّى كانت سيارة الشرطة قد حضرت، والقي القبض على السيد القبانجي، ومضى في الاعتقال عدّة أيام حتّى تدخّلت المرجعيّة الدينيّة في النجف الأشرف وتمّ إطلاق سراحه بقرارٍ من بغداد.

---

(1) في روايةٍ أخرى أنّ هذه الحادثة وقعت في ناحية الخضر بين الناصرية والسماوة والتي تبعد عن الناصرية بحدود ٢٥ كيلو متراً، بينما تبعُدُ عن السماوة بحدود ١٥ كيلومتراً.

مواجهة التحريف الفكري:

التحريف الفكري، والتضليل الثقافي مارسته الحكومات المتعاقبة على السلطة في العراق بمختلف أشكاله.

فالتيارات القومية، والدعوات العلمانيّة، وصيحات التغريب، ونداءات التحلّل من الدين والقيم الدينيّة، وكل ما يتفق مع ذلك من ممارسات وبرامج ومشاريع كانت تجري بوعي كامل وبعمد مقصود من أجهزة السلطة.

وإلى جانب ذلك وفي نفس السياق كان مشروع «المدارس الحكومية» يمشي بنفس الاتجاه رغم مافيه من الأبعاد الايجابية.

أنّ البُعد الخطر في هذا المشروع هو خضوع المناهج التدريسيّة لأجهزة غير نقيّة في فكرها واتجاهاتها العلمية والمذهبيّة والسياسيّة، وذلك يعني انّ الجيل الجديد سوف يتم اخضاعه عبر هذه المدارس لصياغة فكرية ونفسيّة منحرفة عن المنهج الصحيح.

النجف الأشرف والمرجعية الدينية كانت هي مركز النور لتبديد هذه الظلمات الفكريّة، وقد تصدّى العلماء بمختلف وسائلهم المتاحة لديهم في مواجهة هذه الهجمة الشرسة التي تحظى بالدعم والتبريك الحكومي، وقد كانت منابر وكتابات السيد القبانجي أحد أبرز عناصر المواجهة والتحدي.

لقد قرأنا في الفصل الثاني شيئاً عن اتجاهاته العلمية والسياسيّة، ولم يكن ما كتبه في مؤلفاته إلاّ تدويناً لما جاء في محاضراته المتعدّدة أمام المحافل الجماهيريّة الضخمة المحتشدة عادة في «المجالس الحسينية».

وفيما عدا ذلك فقد كان العلاّمة السيد القبانجي صريحاً وشجاعاً جداً في المواجهة العلنيّة للأجهزة الحاكمة التي تغذي تلك التيارات وتدعمها.

يحدثنا معاصروه:

أنّ السيد حسن القبانجي كان يحاضر في مدينة الرفاعي في المجلس الحسيني الجماهيري العام الذي يقيمه «اسماعيل السوز»، وبينما هو يتحدّث على المنبر إذ دخل معلمون ثلاثة أحدهما صبّي واثنان من اليهود، فما كان من السيد القبانجي إلاّ أن قطع كلامه وبعد لحظات رفع صوته قائلاً ومتحدياً:

يا نفس هودي ويعلّم الإسلام صبي ويهودي

ماذا تأملون؟ وماذا ترجون إذا كان أولاد المسلمين بأرض أمير المؤمنين يعلمهم اليهودي والنصراني؟!

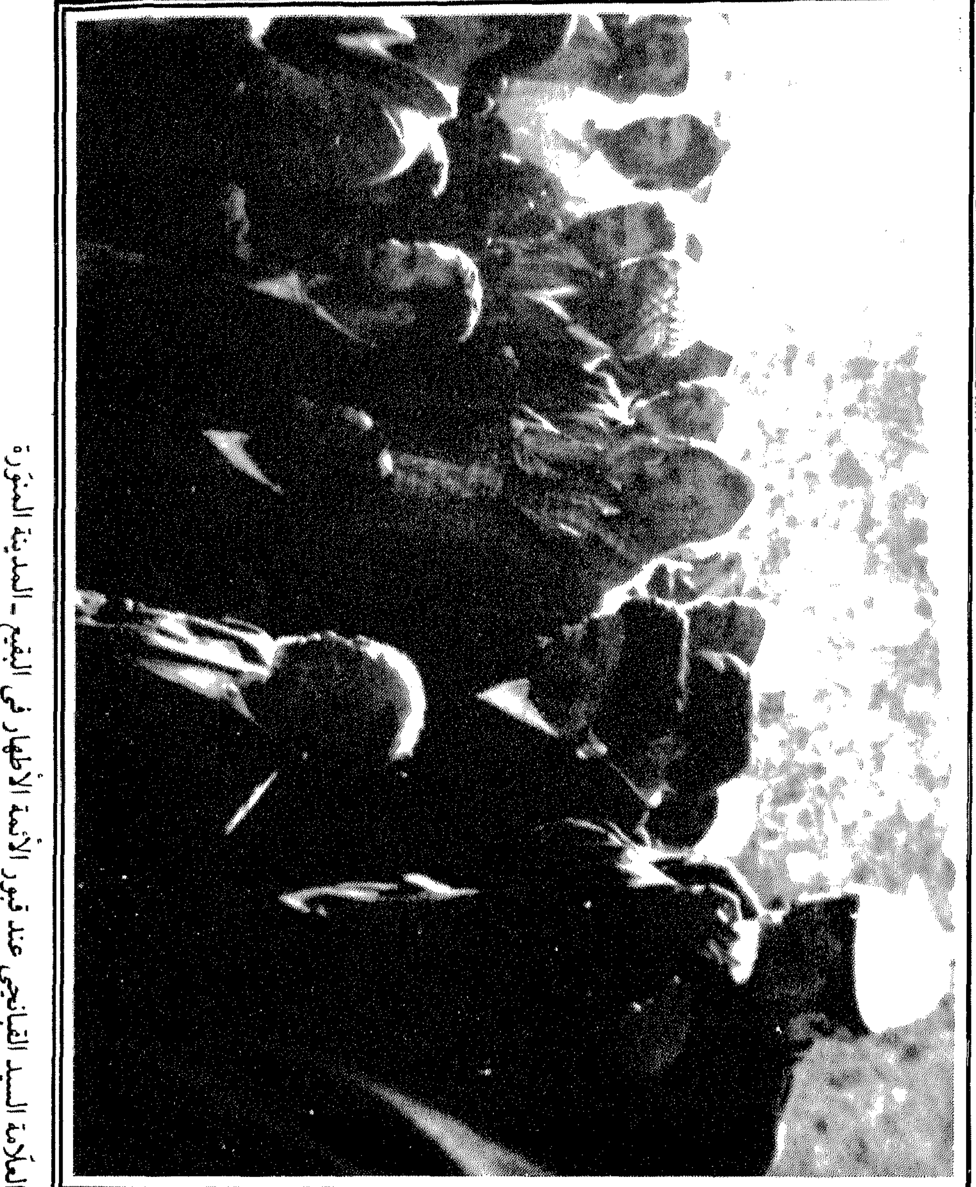
كيف سيكون النشء الجديد؟

وبأمر من يتم تعيين هؤلاء معلمين في المدارس لأولادنا؟[1]

[1] هذه الحادثة كانت ـ على ما يرويه المعاصرون للسيد القبانجي ـ على عهد الملك فيصل وحكومة نوري السعيد.



العلّامة السيد القبانچي عند حج بيت الله الحرام



العلامة السيد القبانچي عند قبور الأئمة الأطهار في البقيع - المدينة المنورة

قضية الحرب الدموية ضد الأكراد:

لم تكن الحرب التي تطحن الرجال في شمال العراق تستهدف الأكراد وحدهم، بل كانت تحصد الآلاف من أبناء الشيعة المنخرطين بالاجبار في سلك الجيش العراقي، ومن هنا لم تكن الحكومة تكترث بضحايا هذه الحرب من الطرفين، فالأكراد والشيعة معاً هم المغضوب عليهم لدى تلك السياسات الحاكمة، والحرب انما تحصد رؤوس هؤلاء وحدهم.

ورغم أنّ الإمام الحكيم أصدر فتوىً بحرمة القتال ضد الأكراد إلاّ أنه لم يكن سهلاً للغاية أن يتحدى أحد علانية وأمام الملأ العام سياسات الحكومة التي تقف وراء هذه الحرب.

ربما كان السيد القبانجي هو الأول أو الوحيد الذي طرح هذا الموضوع من على المنبر وأمام الحشود الجماهيريّة أيام حكومة عبد الرحمن عارف، فقد تناول عبر حديثه عن الوحدة أنه لافرق بين العربي والكردي معرّضاً بالسياسات العنصريّة التي تنتهجها حكومة عارف ومن قبله، وحين تناول هذا الموضوع في أحد مجالسه العامة في الكوفة ألقي القبض عليه إثر ذلك، وتمّ تبعيده إلى راوة، حيث مكث فيها مدة شهر أطلق سراحه بعد ذلك.

لقد تمّ الاتصال بالدكتور عبد الرزاق محي الدين وزير الشؤون الاجتماعية يومئذٍ، فعلّق على كلام السيد القبانجي قائلاً:

«لو كان هذا الكلام قد صدر أيام الحرب في الشمال لحكم على السيد القبانجي بالاعدام».

أيام حكومة البعث:

«لو أنّ اِصبعي يريد أن يصير عوناً للظالم البعثي لكنت أقطعه قبل ذلك».

كانت هذه هي كلمته التي وجّهها إلى أحد أصدقائه[1] الحميميين الذي لم يزل ملازماً له طوال أكثر من أربعين عاماً حينما أغراه البعثيون باستلام مرتّب شهري من مديرية الأوقاف في النجف الأشرف وفرضوا عليه إمامة جماعة أحد المساجد[2].

لقد قاطعه، ورفض زيارته، وحين أضحى مريضاً على فراش الموت أرسل إلى السيد القبانجي طالباً رؤيته فرفض بينما كان يتقطع ألماً لخسارة هذا الصديق العزيز من ناحية، بل كان يبكي عليه أسفاً للعاقبة التي انتهى إليها.

هذه الكلمة يمكن أن تفتح لنا باب الحديث عن موقف السيد القبانجي من حكومة البعث الظالمة.

---

(1) تجنّبنا عن ذكر إسمه لأمور لاتخفى. وقد توفي في النجف الأشرف.

(2) حاول البعثيون استمالة أعداد كبيرة من رجال العلم في النجف الأشرف من خلال إغرائهم.

لقد كان واضحاً لديه عداء هذا الحزب للدين، وكان واضحاً لديه أنّ هذا النظام نظام دموي لا يتورع عن ارتكاب كل جريمة.

ولم يتخلّ السيد القبانجي عن مسؤوليته في الدفاع عن الدين، ومواجهة نظام البعث الكافر عبر ثلاث قنوات، وضعها لهذه المهمة:

القناة الأولى: دعم المرجعيّة الدينيّة المتصديّة للمواجهة.

القناة الثانية: نشاطات غير مباشرة.

القناة الثالثة: المواقف المباشرة.

أ ـ دعم المرجعية المتصدية:

كان يعتقد أن تعبئة الأمة وتوعيتها في مواجهة البعث لايمكن أن تتم إلاّ عبر مرجعيّة دينية واعية، ومتصديّة، وحاضرة لتحمل مسؤوليتها في المواجهة، وقد شخّص ذلك في مرجعية الشهيد السعيد آية الله العظمى السيد محمّد باقر الصدر قدس سره.

ومن هنا ورغم الفارق السني في العمر بين السيد القبانجي وبين أستاذنا الشهيد الصدر الذي يصغره في العمر بأكثر من عشرين عاماً إلاّ أنّ السيد القبانجي استعد لأن يضع نفسه في خدمة

هذه المرجعيّة، وكان يرى أنّ الشهيد الصدر «نابغة»، و «أنّ الناس لايعرفون الخسارة التي حلّت بشهادته إلاّ بعد زمن طويل».

لازلت أذكر اللقاءات التي كان يعقدها والدي السيد القبانجي في البيت للسيد الشهيد الصدر مع عدد من أبناء الحجاز القادمين لزيارة أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف.

فقد كان يعمد إلى عقد هذه اللقاءات لايجاد العلاقة والارتباط بين هؤلاء وبين السيد الشهيد الصدر.

وأذكر جيداً أنّ أستاذنا السيد الشهيد الصدر كان يتعامل مع هذا الموضوع بغاية من العفاف وأحياناً التثاقل حيث قد يبدو أنّ القضية ذات أبعاد ماديّة أو دعوة إلى مرجعيّة وهو ما يحاول سيدنا الشهيد الصدر أن يبتعد عنه، ولهذا فقد حدّث والدي مرّة قائلاً له: سيدنا أنا لا أرغب في هذه الاجتماعات!! مع شكري لمشاعركم واهتمامكم. وتعقيباً على ذلك وفي مجلس خاص جمعني بالسيد الصدر أشرت له أن السيد الوالد انما يحاول بهذه الاجتماعات ايجاد امتداد لمرجعيتكم وهي قضية يجب أن نكبرها فيه، خاصة وأنتم تعرفون شأنه وموقفه وامتداداته الاجتماعية في العراق وخارجه، كما تعلمون أنّ هذا الاستعداد للارتباط به من قبل الوالد يمثّل نُبلاً، وموقفاً شريفاً، وروحاً سامية ومتواضعة حيث أنه يرى نفسه أحد العلماء والمؤلفين وله سابقة في هذا المجال مع قدمه في السنّ

أيضاً، هذه الأمور ربما كانت تفرض علينا استيعابه، والانفتاح عليه أكثر.

لقد أصغى الشهيد الصدر إلى كلامي بدقّة بالغة، ويبدو أنّ الكلمات قد أخذت موقعها عنده بل وتأييده، إلاّ أنه لم يجبني إلاّ بعد حين!! فقال:

أنّ عباس محمود العقاد لدى تحليله لموقف مسلم بن عقيل وامتناعه عن قتل ابن زياد حينما زار دار «شريك بن عبد الله» وكان من المقرر أن يختفي مسلم وراء ستار حتّى إذا استقرّ المجلس بابن زياد خرج إليه وقتله. إلا أنّ مسلم بن عقيل اعتذر عن ممارسة هذا العمل بعد أن توفّرت كل ظروفه، وبعد الاتفاق المسبق عليه.

هنا يقول العقاد والحديث للشهيد الصدر:

أنّه بقطع النظر عن صحة هذا الموقف أو عدم صحته إلاّ أنه يكشف عن شخصيّة عظيمة، وهو إذا كان خطأً عظيماً فإنّ هذا الخطأ لا يصدر إلاّ من رجل عظيم.

إلى هنا انتهى حديث الشهيد الصدر فيما ينقله عن العقاد، وهو يريد أن يقول لي: إذا كان اعتذاري عن قبول تلك اللقاءات والدعوات من والدك خطأ فإنّ هذا الخطأ إنما صدر عن نفسيّة تريد أن تتعالى على طلب المواقع، والدعاية للنفس!!.

وقد يبدو للوهلة الأولى أنها قضيــة بسـيطة أن يدافـع العلاّمـة القبانجي عن حركة ومرجعية السيد الشـهيد الصـدر، إلاّ اننـا حـين ندرك أنّ القضية ليست بمستوى اعتقاد نظـري، وولاء نفسـي، ثـم مماشاة هادية على أرض الواقع، وانما القضية هي بمسـتوى التضحيـة والفداء بأعزّ ما يملكه الإنسان. فسوف نعرف أنها قضية تحتاج إلى المزيد من الاخلاص، والصدق، والفنـاء في ذات الله، وكبـح جمـاح النفس والأنا بدرجة عالية.

لقد استشهد عـدد مـن أولاد وذوي العلاّمـة السـيد القبـانجي كان على رأسهم الحجة المجاهد السيد عـز الديـن القبـانجي والسـيد عماد الدين الطباطبـائي، ثـمّ تعـرّض بعدهمـا للاعتقـال مـرّة ثانيـة والحكم عليه بالاعدام نجله السـيد صـدر الديـن القبـانجي، واعتقـل أيضاً السيد أحمد القبانجي والسـيد صـادق القبـانجي، كـل ذلـك في طريق حركة الشهيد الصدر ومرجعيته ومنهجيته، إلاّ أنّ كل ذلـك لم يفرض على العلاّمة القبـانجي حالـة الـتراجع عـن هـذه المرجعيّـة الدينيّة والتخلّي عن نصرتها.

والحقيقة أنني اليوم أقف مكبراً هذه الروح المبدئية والتضحويّـة الكبيرة والمتواضعة في عين الوقت للسيد القبانجي، حيث تكشف لي تلك المواقف عن مؤهلات أخلاقيّة عالية في شخصيته ربّما نـدر أن نكتشف مثلها في هذا الوسط وفي مثل هذه الخصائص.

٦ـ نشاطات غير مباشرة:

«لقد فعلت ما استطعت، وتركت الأمر لأولادي، وهم حملوا الراية فمنهم من استشهد[١] ومنهم من يواصل طريقه».

هذه هي كلمته حينما كان يُسئل عن مواجهة البعثيين وما يمكن أن يعمله في هذا السبيل.

لقد كان للسيد القبانجي تسعة أولاد ذكور، وتسع بنات و لم يفت في عضده شهادة ولده الأكبر الحجة المجاهد السيد عز الدين القبانجي وابن أخته الحجة المجاهد السيد عماد الدين الطباطبائي الذين فتحوا طريق الشهادة وركبوا أعواد المشانق عام ١٩٧٤م مع مجموعة الشهداء الخمسة في العراق[٢]

---

[١] استشهد من أولاد السيد القبانجي ثلاثي وافتقد في مجاهيل سجون البعث واحد، وهم: =

= ١ـ الحجة المجاهد السيد عز الدين القبانجي ـ استشهد عام ٧٤م.

٢ ـ الحجة المجاهد السيد صادق القبانجي ـ استشهد عام ٨٢ م.

٣ ـ الشاب المجاهد البطل السيد علي القبانجي ـ استشهد عام ٨١ م.

٤ ـ الشاب الفقيد السيد عبد الحسين القبانجي ـ افتقد في سجون البعث عام ٨٣ م.

[٢] قبل إعدام الشهيدين كان السيد الإمام الخميني قد أبرق إلى أحمد حسن البكر قائلاً: «لايكون شاه ايران قدوة لك، وهؤلاء أولاد رسول الله ﷺ وارجو أن تحفظ صلتهم برسول الله باطلاق سراحهم ـ وليس بالعفو عنهم ـ لا تفتح عليك باب قتل العلماء كما فعل الشاه».

وكانت هناك برقيات أخرى رُفعت للنظام من قبل مراجع الدين في النجف الأشرف من السيد الخوئي والسيد عبد الله الشيرازي والشيخ مرتضى آل ياسين، وكانت برقية الإمام

بل ظلّ صامداً، محتسباً، مواجهاً كلّ الضغوط المتعدّدة من السلطة أو من الجوّ العام الذي كان لايطيق هذه الصدمة، وحتّى من الأصدقاء والأقرباء.

لانستطيع اليوم أن ندرك بسهولة وقع المصاب وألمه.

فالنجف، والحوزة العلميّة لأوّل مرّة تشهد حالة إعدام لعدد من رجالها، وهناك رأي عام يكاد يصرّح بمخالفته لأي حركة أو موقف مهما كان بسيطاً ضد البعثيين أو خلافاً لتوجهاتهم يؤدي بالتالي إلى هدر كرامة الحوزة بهذا الشكل!!

والكثيرون الكثيرون كانوا يشيحون بوجودهم عن السيد الوالد بالخصوص[1] حينما يلتقون معه في طريق خوفاً وتقيّة، وإن كان الألم يستعر في قلوبهم، لكنهم غير مستعدين حتّى لإظهار

أشدّها لحناً وكان الإمام قد طلب اتصالاً تلفونياً مباشراً مع أحمد حسن البكر عبر محافظ النجف يومئذ إلاّ أنه امتنع مع ذلك.

[1] كان يحدّثنا السيد الوالد أنه التقى مرّة بأحد العلماء وهو في الطريق بعد إعدام الشهيدين فما كان من ذلك السيد العالم إلا أن تقنّع بعباءته وأشاح بوجهه ومضى ماشياً كأنه لم ير السيد الوالد، ورغم أن هذا الرجل كان من الصالحين الذين يقدّرون موقعيّة السيد القبانچي، إلا أنّ المخاوف الأمنيّة، وروح الابتعاد عن أبسط مستوى لمواجهة البعثيين كانت تمنعه حتى من إبداء التحيّة. ومن عجيب القدر أنّ ذلك السيد الجليل رغم هذه الروح الاحتياطيّة قد سجنه الطاغية صدام وقتل عدداً من أولاده ثمّ توفي خارج السجن بعد أن أطلق سراحه.

المواساة بالكلمة!! وإن كانت الدموع تسبقهم أحياناً حين تقع عيونهم على السيد القبانجي.

وبدلاً عن أن يَفد إليه الأصدقاء معزّين ومشجّعين ومصبّرين كانت القطيعة والتحاشي والإعراض هو الموقف الذي اتّخذه الكثيرون حتّى من المحبين بالطبع.

ومن هنا فقد كان السيد القبانجي يَشعر بالغربة في ذلك المحيط، وظل يقول: «إني أشعر بأني غريب في النجف».

إلا أنه مع كل هذه المرارة القاسية جداً لم يتراجع عن الموقف، وكان يذكر دائماً مع نفسه ومع الآخرين مصيبة الإمام الحسين عليه السلام بولده علي الأكبر عليه السلام ويستلي بهذا الذكر.

بل كان يعلّمنا الصبر والتحمل بمشاهده ومواقفه وأحاديثه، ورغم حرارة المصاب فهو لم يكن مستعداً للبكاء، ولم نره باكياً ـ رغم مانعرفه عنه من امتلاك عواطف كبيرة تجاه أولاده وحنان أبوي شديد ـ منذ الليلة الأولى لدفن الشهيدين السعيدين السيد عزّ الدين والسيد عماد الدين، إلا أنه كان يظهر رباطة جأش، وقوّة قلب بالغة.

وفي اليوم الثاني لشهادتهما حيث كنّا نجلس باكين وحدنا ونحن لانزيد على عشرة أشخاص ألفت نظري أنّ الوالد يتصابر ويقهر نفسه على عدم البكاء، ويكاد يحبس دموعه في عينيه إذا هي

همّت بالانحدار، لقد خشيت على والدي في هذا الموقف، فمن شأن البكاء أن يخفف ألم المصاب، ويعطي راحة للقلب لكن ماذا نصنع والوالد يرفض أن يسمح لقطرة واحدة أن تنزل.

لقد حدّثت خالي سماحة السيد محمد تقي الطباطبائي وكان حاضراً بضرورة استدراك الموقف، وأشرت إليه بقراءة بعض الأحاديث الشريفة الموجودة في كتاب وسائل الشيعة في فضل الشهادة، وفضل الأب الصابر على شهادة أولاده.

وبالفعل فقد أحضرنا كتاب الوسائل وكان إلى جانبنا في مكتبة الوالد وقرأنا الرواية التالية بمسمع الوالد:

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال:

«ولد يقدّمه الرجل أفضل من سبعين ولداً يخلّفهم بعده كلّهم قد ركبوا الخيل وجاهدوا في سبيل الله»[1].

لكن السيد القبانجي كان أكثر منّا صبراً، وأربط جأشاً، فكأننا مازدناه يقينا، ولاأضفنا له علما جديداً، واستقبلنا بصمت وصبر ورضى بقضاء الله تعالى.

❁ ❁ ❁

(1) الوسائل ج٢ : باب ٧٢ من أبواب الدفن.

هذا الحادث لم يولّد عند السيد القبانجي ردود فعل سلبيّة، ولم يفرض عليه حالة العزلة، ولا دفعه للانسحاب عن خطّ التصدّي والمواجهة بنفسه أو بأبنائه ولقد عُرض عليه أن يتودّد إلى أجهزة السلطة، ويقوم بزيارة لأمثال جاسم الركابي، محافظ مدينة النجف يومئذٍ ـ في محاولة لمدّ جسور المحبة والعلاقة الايجابيّة ولو على سبيل التقيّة.

إلا أنه رفض ذلك وكان يقول:

«يطلبون منّي أن أزور هؤلاء الكلاب، والله لو قتلوا أولادي التسعة لما تقرّبت إليهم».

لقد شارك أبناؤه الثلاثة (السيد علي والسيد أحمد والسيد صادق) مشاركة فعّالة في انتفاضة صفر عام ٧٧م، وعلى إثر ذلك فقد اعتقل السيد أحمد في كربلاء ثم افرج عنه بعد أكثر من أسبوع.

وفي انتفاضة رجب عام ٧٩م وعند اعتقال السيد الشهيد الصدر كان إبنه صدر الدين ـ كاتب هذه السطور ـ أحد المخطّطين للانتفاضة، واعتقل إثر ذلك وحكم عليه بالإعدام بتهمة التحريض ضدّ السطة، ثمّ أُفرج عنه بعد سبعين يوماً بمشيئة الله تعالى وفي مسرحية العفو السياسي الذي أعلنه الطاغية صدام بعد استلامه للسلطة وتنحّية أحمد حسن البكر.

واعتقل أيضاً السيد صادق القبانجي في أحداث الانتفاضة عام ٧٩م وأطلق سراحه بعد ١٨ يوماً من السجن في بغداد.

بينما كانت قد شاركت ثلاثة من بنات السيد القبانجي في أول مظاهرة انطلقت في النجف الأشرف للمطالبة باطلاق سراح الشهيد الصدر في مجموعة تسع نساء شاركن في الانتفاضة[1].

وكان أوّل خبر وصل إلى إيران عن اعتقال الشهيد الصدر من بيت السيد القبانجي، بينما كان هذا العمل يمثّل استعداداً كبيراً للتضحية فالاتصالات التلفونية مراقبة من قبل أجهزة السلطة تماماً، إلا أن روح النصرة للدين، ومواجهة نظام البعث كانت تدفع هذا البيت لخوض مثل هذه التصدّيات.

وفي هذه الأحداث كان اثنان من أولاد السيد القبانجي قد لجئا إلى الجمهورية الإسلامية؛ أحدهما الشاب المجاهد السيد علي القبانجي وثانيهما الحجة المجاهد السيد أحمد القبانجي.

ومضت سنوات حتّى بلغه خبر شهادة ابنه الثاني سماحة السيد صادق القبانجي على يد أعداء الثورة الإسلامية في ايران يوم

---

(١) لم يكن المشاركون في هذه التظاهرة السياسية أكثر من مائة رجل وتسع نساء، لكنها كانت بدرجة من قوة التحدي أن فرضت على نظام البعث في بغداد اطلاق سراح السيد الشهيد الصدر فوراً.

كان يمارس عمله الجهادي والتبليغي في وسط الأسرى العراقيين في طهران عام ٨٢م.

لقد بدت على السيد القبانجي آثار الألم الذي يعتصر قلبه ممزوجاً بمعاني الاعتزاز والفخر بهذا الشرف العظيم في طريق الدفاع عن الثورة الإسلاميّة[1].

ولم تمض أشهر على هذا الحادث حتّى كان قد عرف مصير ابنه الفقيد السعيد السيد عبد الحسين القبانجي الذي اعتقلته السلطة عام ٨٣م، بينما كان عازماً على اللجوء إلى ايران ثمّ لم تعرف أخباره.

وهنا كان السيد القبانجي يقول:

«ما تألمت مثل ألمي على عبد الحسين».

«أتمنّى أن أموت حين أتذكّر قضية هذا الولد».

---

(١) لقد كان العلامة السيد القبانجي صلباً في الانتصار للثورة الإسلامية في ايران ودعم مسيرتها، وكان شديد المخالفة لأولئك الذين يتربّصون الفرص للطعن بقيادتها ومنهجها، كان يقول: «الذين يطعنون بالإمام الخميني لا غيبة لهم لأنهم فسقة ومنافقون».
لقد كان يعرف للإمام الخميني موقعه العظيم في عزّ الإسلام، ونصرة التشيّع فقد طالما كان يقول عنه أنه «رجل عظيم»، «رجل محنّك» و«هؤلاء البعثيون جهلة حينما تورطوا في حرب مع العمائم».

وكانت الآلام تتجمع على قلبه، وجراح المصائب تتعمق في فؤاده، وهو يتلقاها بصبر عظيم، وجناح من وقع الأسى كليم.

كان قد فوجىء صباح يوم من عام ١٩٨١م باعتقال ولده السيد باقر القبانجي الذي لم يكن يتجاوز من العمر يومئذ الخامسة عشرة عاماً، ولم يكن المقصود بهذا الاعتقال هو الولد بمقدار ما كان المقصود هو الوالد.

ومضت ثمان سنوات ولم يُعرف أي خبر عن هذا السجين، ولا شك أنها أيام وليال قاسية للغاية حتّى عُلم بعدئذٍ أنّ السيد باقر قد حكم عليه بالسجن مدّة عشرة سنوات بعد أن حُكم عليه بالأعدام أولاً ثمّ خفّفوا الحكم عليه لصغر سنّه.

ووسط كل هذه النكبات الموجعة التي يشيب لها الصغير، ويهرم منها الكبير كان السيد القبانجي يشهد كل صباح ومساء مأساة ابنته التي اعتقل زوجها السيد صباح الطباطبائي وهي في الشهر الثاني من ولادة يتيمة أبيها هدى بنت السيد صباح الطباطبائي والتي نمت في حجر جدّها، وكان يجد نفسه مسؤولاً عن رعاية الأم والبنت معاً بينما هو أحقّ بالرعاية والحنان والمواساة.

ليس يسيراً حقاً أن يطيق أحد الصبر على هذه الفجائع ثم لا يكون إلا راضياً، فخوراً، شاكراً في وسط الرُعب المطبق على

الناس، وفي وسط المناخ الذي يتنكر ـ في المعظم ـ لمثل هذه البطولات والتضحيات ويراها من إلقاء النفس في الهلكات.

حقاً لو كان جبلاً لا نهار ولكنها روح الحسين عليه السلام وقد تشبّع فيها وجدان هذا الإنسان الصابر العظيم.

❃ ❃ ❃

ولم تمض أكثر من سنة على شهادة السيد صادق القبانجي وفي يوم عيد الفطر عام ١٤٠٣هـ حيث كانت العائلة قد خَلَعت لباس الحداد (السواد) في هذا اليوم حتّى جاء السيد القبانجي ليخبر أهله[١] بشهادة ولده الرابع الشهيد السعيد الشاب البطل السيد علي القبانجي الذي وصل إليه خبر شهادته جديداً[٢].

---

[١] هي العلوية الجليلة الصابرة أمّ الشهداء الأربعة «فخر السادات» بنت آية الله العظمى السيد محمّد جواد الطباطبائي وقد كان سيدنا الوالد يكنّ لها احتراماً خاصا، وتقديرا بالغاً، وقد حدّث الشيخ كامل الكناني يوم كان رفيقاً له في السجن أنه حين سمح للسيد القبانجي بمقابلة أهله العلوية ـ وكانت هي الاخرى سجينة في قسم النساء ـ عاد بعد أن كان قلقاً على وضعها وهو يقول: ياشيخ كامل لولا العلوية لكنت أفقد صبري، فهذه العلوية عظيمة، فأنها تصبّرني وأنا استحقر نفسي عندها، فهي تذكر أولادها الشهداء وتقول: «إنهم ليسوا أفضل من علي الأكبر» وتذكر أولادها في خارج العراق وتقول: «الحمد لله إذا كنّا الآن في السجن فان أولادنا سالمون في الخارج».

لقد اجتمع مع أهله العلوية ليقول لها:
«انني أصبحت اليوم مسروراً وأرجو أن تكون قد وجبت لنا الجنة وحرمت علينا النار، فقد أصبحتُ أباً، وأصبحت أماً لثلاثة

ويحدّث أولادها أنها يوم سمعت بشهادة ابنها السيد صادق سجدت لله تعالى فورا.
وكتبت لي وأنا في الجمهورية الاسلامية بعد ان بلغها نبأ شهادة ابنها السيد صادق، تقول:
« الله الله في دولة الاسلام في ايران أن تدافعوا عنها حتّى آخر قطرة من دمائكم.
الله الله في توحيد كلمتكم مع السيد الخميني.
- الله الله في نشر الاسلام،
الله الله في أخذ ثاركم من حكام العراق.
الله الله في ثار سيدكم ومولاكم وامامكم الشهيد الامام الصدر،
اولادي.. اوصيكم ان تكونوا جنباً إلى جنب المجاهدين في ايران،
استشهدوا جميعكم.
جاهدوا جميعكم.
ناصروا كلكم.
دافعوا عن بلديتكم في العراق وايران وارفعوا رأسي عاليا أمام الله عزّ وجلّ...»
(٢) السيد علي هو الابن الرابع للسيد القبانجي وقد هاجر إلى ايران في مطلع الثورة الإسلامية حيث كان ملاحقاً ومطارداً من قبل أجهزة أمن السلطة في العراق إثر نشاطه في أحداث يوم العاشر من محرم الحرام عام ١٣٩٩ للهجرة النبوية الشريفة، وقد كانت السلطة الغاشمة قد لاحقت ومنعت الشعائر الحسينية المعروف اقامتها في هذا اليوم.
ولم يمكث في ايران أكثر من ثلاث سنين حتّى عاد إلى العراق ليؤدي بعض الفعاليات الجهادية ضد النظام، واستشهد في عملية الهجوم على الاذاعة في بغداد عام ١٤٠٢هـ.

شهداء، وقرأ لها حديثاً شريفاً في هذا الشأن[1]، ثمّ اخبرها بشهادة ابنها السيد علي».

نعم، قد لانعرف قيمة هذا الموقف، ولانعرف عظمة الشخصية التي انطوت عليها أضلاع هذا الرجل.

انّ استقبال الشهادة بهذا الشكل يمثّل حالة نادرة جداً، وقد لا نعرف لها نظيراً في تاريخ العراق المعاصر إذا عرفنا طبيعة الأجواء التي حدثت فيها. فلم تكن الشهادة يومئذ في مفهوم الناس، وحتّى الوسط الديني إلا خسارة ونكبة، كما لم يكن السجن والاعتقال إلا من شأن المجرمين والفاسدين ولايليق بساحة المؤمنين.

في مثل هذا الوسط كانت مفاهيم الجهاد والشهادة والتضحية غريبة، وكان رجالها غرباء، ومن هنا فقد كان ألم الغربة أشد من ألم السجن والفراق والتضحية بالأولاد على قلب العلامة المضحّي السيد القبانجي.



[1] عن الامام الباقر عليه السلام : «من قدّم أولاداً يحتسبهم عند الله حجبوه من النار بأذن الله عزّ وجل» الوسائل ج٢: الباب ٧٢ من أبواب الدفن.

ومهما يكن الأمر فانّ كل هذه التضحيات لم تزده إلا صبراً واحتساباً وايماناً، ولم تُسمع منه كلمة واحدة ينـدب فيها حظّه، ويندم على ماأصابه، ولم تسمع منه كلمة واحدة يندّد فيها بمواقف أولاده البطولية والجهاديّة، وربّما كان يُظهر التبرّم والألم وعدم الرضا أمام الآخرين ليتقي بذلك شرَّ المجرمين من رجال البَعث وأفراد جهاز الأمن الذين كانوا يسجّلون كل صغيرة وكبيرة من كلماته ومواقفه من حيث يعلم أو لايعلم، وقد كان يعرف هذه المراقبة الشديدة، والعيون الموضوعة عليه[1].

وجاءت انتفاضة شعبان عام ١٤١١ للهجرة الشريفة فماذا كانت مواقف رجل الصبر والتضحية، ورجل العلم والمنبر السيد القبانجي؟

---

(١) لقد لازمت امرأة تتظاهر بالفقر والاستجداء الجلوس مقابل باب دار السيد الوالد في النجف الأشرف، وكان الوالد يعرفها بهذا الشأن ويذكر لأولاده في البيت أنها موضوعة لمراقبتنا. وفي انتفاضة شعبان عام ١٤١١هـ وحينما سقطت مديرية أمن النجف بيد الأهالي الثوّار اطلّع إخوتي على الملف الخاص بالسيد القبانجي وكان غريباً في المعلومات التفصيلية التي يتضمنها عن حركته. حتّى سجّل التقرير حركته اليومية إلى الصحن العلوي الشريف وأنه يسلك مرّة طريق سوق الحويش ومرّة طريق العمارة ــ وهما طريقان يؤديان إلى الصحن الشريف وكان منزل الوالد يتوسط هذين الطريقين وكان يغيّر مساره اليومي على سبيل الاحتياط.

بل حتّى سجّل التقرير بعض أحاديثه التفصيلية مع أصحاب بعض المحلات.

والأعجب ان التقرير سجّل حتّى طريقة فتحه لباب المنزل حيث يضع المفتاح بالمقلوب ــ هكذا جاء في التقرير ــ ثم يفتح الباب.

بل كان أحد أولاد جيران منزل السيد القبانجي من أفراد الأمن. وقد أسرته قوات الجمهورية الاسلامية في الحرب العراقية الايرانية. وكان السيد الوالد يعرفه بهذه المهمة.

لم يبقى معه من أولاده الذكور إلا واحد[٢]، لكنه لم يبخل به كما لم يبخل بأحفاده وأصهاره وذويه دون أن يدفعهم لاتخاذ مواقع مهمة وفعّالة في الانتفاضة.

لقد أصبح مسروراً حين عرف أن شباب الانتفاضة قد سقطت في أيديهم مخازن السلاح والعتاد، فقد كان يعتقد أن قوات النظام لايمكن مواجهتها بانتفاضة جماهيريّة خالية من السلاح وكان يقول:

«إذا لم يكن سلاح في مقابل سلاح، وجيش في مقابل جيش فلا ينفع الأمر».

ولقد تساءل عن بغداد: هل حرّرت من يد النظام؟

فقيل: لا.

قال: إذن لانصر.

وإلى جانب الشباب من أولاده وأحفاده وأصهاره وذويه كان العنصر النسوي من بنات السيد القبانجي حاضراً بشكل فعّال في ساحة الانتفاضة. لقد كانت هناك مواقف مهمة وبطولية وقيادية للعلوية «أم هدى»[١] استطاعت من خلالها أن تشحذ همم

---

(٢) هو السيد محمّد القبانجي.

(١) هي بنت السيد حسن القبانجي وزوجة المعتقل الفقيد سماحة السيد صباح الطباطبائي الذي لم تزل أخباره ضائعة منذ اعتقاله عام ١٩٨٠م.

الرجال وتشد على عزائمهم في النجف الأشرف، وتقود الحركة النسوية فيها.

٣- المواقف المباشرة:

لقد بادرت سلطات البعث الحاقدة إلى منع السيد القبانجي من السفر إلى خارج العراق بعد استشهاد الشهيدين العلامة السيد عزّ الدين القبانجي والعلامة السيد عماد الطباطبائي عام ٧٤م، إلا أنه ظل يمارس عمله التوجيهي الخطابي في المحافل الحسينيّة أيام شهر رمضان المبارك وشهر محرم الحرام في مختلف مدن العراق.

لقد كان منبره الصامت ناطقاً بادانة البعث وإجرامية حكومته، فما أن يرقى المنبر حتى تسيل الدموع لمشهده وهو أب وخال لأول شهيدين من علماء النجف الأشرف.

ولا يتكلم حتّى يذكّر الناس بمنهج الصبر والتضحية من ناحية، ومظلومية التشيّع وعلماء الدين ورجال المنبر الحسيني من ناحية ثانية.

لقد طلبت منه دوائر أمن السلطة أن يمدح النظام والحزب والقيادة البعثية لكنه رفض أن يخضع لكل هذه الضغوط المتعدّدة[1].

---

(١) فكان يقول: «خدمة الظالم بقلم مكسور حرام».

فلم تصدر منه كلمة واحدة على الاطلاق بمدحهم وحتى على سبيل التورية.

و لم يطق البعثيون الأقزام أن يشهدوا مثل هذا الصمود والعناد والشموخ حتّى منعوه من ارتقاء المنبر[٢] وحظروا عليه أيّ تحرك في وسط الجمهور الحسيني.

وظل رجل الصبر جليس داره، عاكفاً على الكتابة والتأليف لسنوات طوال.

وكان أخطر مايخاف منه هو أن تُستلب منه كلمة لصالح النظام على منبر أو من على شاشة التلفزيون.

لقد عمد البعثيون على جرّ عشرات من رجال العلم ليظهروا وراء شاشة التلفزيون في مجالس مكرّسة لدعم النظام وتأييده.

---

(٢) ويُذكر أن السبب المباشر في ذلك أنه يوم كان يرقى في المنبر في مدينة (القرنة) تعرّض إلى ظاهرة لبس الصليب في أعناق الشباب على شكل القلادة، ونصح الشباب بالابتعاد عن هذه الظاهرة المشينة واعتبارها من مظاهر لاتليق بالمسلم، وذكر أن الالم لقضية صلب المسيح يفرض علينا ان نسحق الصليب بالأقدام لأنه كان رمزاً للظلم والعدوان على السيد المسيح.

بعد هذا الحديث أرسلت إليه دائرة الأمن في مدينة القرنة وفرضت عليه الانسحاب والعودة إلى النجف الأشرف، وهكذا كان بالفعل.

وقد كان السيد القبانجي يستشهد بهذا الموضوع على مدى نفوذ النصرانية في التأثير على قرارات حكومة البعث وأجهزتها.

واستخدموا كل أساليب الإكراه والقسوة والعنف حتّى طاردوا العلماء وهم في بيوتهم، وهدّدوهم بأنفسهم وأعراضهم وأولادهم.

لقد لاحقتهم الدعوات إلى منازلهم، ولاحقهم رجال الأمن وهم في طريقهم وجرّوهم قسراً إلى محافل الدعاء للسلطة!! وأمام كل هذه المخاطر كان السيد القبانجي يقول: «اتمنى أن يأخذ الله روحي ولاأخرج بالتلفزيون».

وكان يلحّ على الله بالدعاء أن يخلّصه من هذه الأزمة الحادة.

لقد أرسلوا عليه ثلاث مرّات لمواجهة نجله السيد باقر وهو في سجن «أبو غريب» في بغداد، لكنه كان يمتنع عن الذهاب مخافة أن يكون ذلك فخاً منصوباً له بهدف أن يظهر في التلفزيون.

ولقد شاء الله تعالى أن يحفظ لهذا السيد الصابر كرامته وعزّه وشرفه فلم تدنّس صفحة حياته البيضاء بنقطةٍ سوداء من وراء شاشة التلفزيون أو على المنبر، ولعله كان الوحيد من وجوه الحوزة الذي يمكن أن تسجّل له هذه الفضيلة ممّن مكث في النجف الأشرف حتّى لما بعد انتفاضة شعبان ١٤١١هـ ولم يخضع لضغوط البعثيين وقسرهم على مدح السلطة وخدمتها إعلامياً.

إلا أن هذه المواقف الصلبة كان تضعه باستمرار أمام خطر السجن والاعتقال.

وقد كان يدرك ذلك ويتوقعه دائماً، وكان رجال الأمن يأتون إلى منزله كل أسبوعين مرّة لا رعابه.

لقد كان يقول: «ما نمت ليلة إلاوأنا مُستعد للاعتقال».

بل كان شبح الاعتقال أمامه على الدوام حتّى كان يتجهز بملابسه حين تُطرق باب الدار وينهض لفتحها، بل كان يضع إلى جانب فراش نومه كامل ملابسه تحسباً للاعتقال واستعداداً له.

وبالفعل فقد جاء اعتقاله في العاشر من شعبان لعام ١٤٠٥ للهجرة الشريفة هو وأهله أم الشهداء العلوية فخر السادات الطباطبائي.

واستمرّ اعتقاله مدّة عام ونصف، وكان ماكان أيام السجن. يقول رفيق سجنه الشيخ كامل الكندي أنهم عرضوا عليه أن يظهر في التلفزيون فرفض. ويقول أيضاً:

«لقد فاجئنا السجناء مرّة وقد أحضروا ورقة سجلوا فيها استرحاماً يطلبوا فيه أطلاق سراحهم من قبل الطاغية صدام، بأمل أن ترفعه نساؤهم إليه، وطلبوا مني ومن السيد القبانجي أن نؤيد هذا العمل ونوقّع عليه، إلا أنني والسيد القبانجي رفضنا ذلك»[1].

---

(١) خلال فترةالسجن التي استغرقت حوالي سنة ونصف، نقل السيد القبانجي ثلاث مرّات إلى القسم الخاص بالسجناء في المستشفى لعوارض بدنيّة تعرّض لها وقد كان السجن بدرجة من الضيق لانكاد نستطيع التصديق به، فقد كان السجناء أحياناً لايملكون موضعاً لوضع كلا

وقد يجدر أن نطرح السؤال التالي:

لماذا لم يهاجر السيد القبانجي إلى خارج العراق إذا كانت الظروف المحيطة به تنذر بالخطر؟

لقد عُرض عليه أن يهاجر أكثر من مرّة فرفض.

عُرض عليه أن ينتقل إلى أحد دول الخليج مبعوثاً ووكيلاً عن المرجعية الدينية في النجف الأشرف المتمثلة يومئذٍ بالسيد الخوئي قدس سره فرفض.

وعرض عليه بعض أصدقائه التجار السكن والنفقة الكاملة في الخليج فاعتذر أيضاً.

كيف كان يفسّر هذا الموقف رغم كل أجواء الخطر التي تحف به؟!

كان تعلّقه بالعلم والتأليف ومحاولة الاستثمار الكاملة لطاقاته العلميّة هو الذي يمنعه من الهجرة، وقد كان يصرّح بذلك.

وربما نشعر اليوم بأنّ النجاة أولى بالحرص والطلب، وقد تُوفّر للانسان ظروف اخرى تسمح له أيضاً بمواصلة عطائه العلمي،

قدميهم على الأرض بل أن احدهم يضطر لأن يضع قدما ويرفع اخرى، ويُنقل عن السيد القبانجي يوم كان في سجن النجف أنه طلب من أحد السجناء أن يعطيه شبراً من المكان لينام إلى جانب المرافق الصحيّة في مقابل خمسين دينارا يدفعها له.

لكن هذه الفرضيات ماكانت كافية لاقناع السيد القبانجي بالهجرة، وكان يرى أنّ التضحية في هذا السبيل قضيّة مقدّسة.

لمحة عن سيرته الذاتية

تحت مجموعة عناوين يمكن أن نسجّل لمحات عن السيرة الذاتية للعلامة السيد القبانجي.

التوكل على الله تعالى:

كانت قضية التوكّل على الله تمّثل أحد المعاني التي اختمرت فيها شخصية هذا الانسان العارف بالله والواثق به.

لقد كانت هذه الصفة أحدُ معالم شخصيتّه التي نبع منها صمودُهُ وجهادُه، كما نبع منها اطمئنانهُ العظيم وهو في أشدّ لحظات الحرج والشدّة.

لقد حاصره البعثيّون وقطعه المهادنون وابتعد عنه المتخاذلون الخائفون ولم يزده ذلك إلا صبراً واعتزازاً بما هو عليه، فكان حقاً مصداقاً بارزاً لما جاء في الحديث الشريف :«من أراد عزّا بلا عشيرة وهيبةً بلا سلطان فليخرج من ذُلّ معصية الله إلى عزّ طاعته».

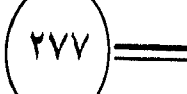
العلاقة مع القرآن الكريم:

كان التزامه اليومي بقراءة نصف جزء من القرآن الكريم وبالضبط فيما بعد صلاة الصبح من كل يوم - هذا الالتزام الذي لم يتخلّف عنه خلال عشرات السنوات من عمره وفي مختلف الظروف، مضافا إلى إلزامه كل أفراد العائلة ذكوراً واناثاً بقراءة هذا المقدار يوميا - يدلّل على نمط ارتباط خاص بالقرآن الكريم.

وقد طالما كان يوصي أولاده قائلاً: «لاتتركوا القرآن» وقد لاحظنا فيما سبق تأكيداته في محاضراته وكتاباته على ضرورة «أن يخصّص - كل مسلم - قسماً من ساعات ليله ونهاره لتعلّم تعاليم القرآن الكريم».

هذا الاهتمام، وهذه التربية على قراءة القرآن الكريم جعلت ذلك منهجاً لكل أفراد الأسرة الثمانية عشر ومنذ أيام البلوغ الأولى، لا يتخلّف عنه، بل كان يهدّد جميع أولاده ببطلان صلاتهم إذا هم لم يقرؤا القرآن الكريم يومياً بالمقدار المذكور.

عشق المطالعة والكتابة والكتاب:



«مادام في البيت لم يُـر إلا كاتبـاً أو قارئـاً إلا سـاعة الـترويح بالنركيلة، وهي الساعة التي كـان يخصّصهـا لذلـك ولمقابلـة بعـض أصدقائه الملتزمين زيارته يومياً».

وكان يقول: «ما بذّرت درهماً إلا على كتاب».

ثقافة المرأة:

رغم أنه لم يكن يسمح أبداً بالتحاق بناته بالمدارس الحكوميّة، إلا أنه كان مصرّاً على أن يتعلّمـن القـراءة والكتابـة والمطالعـة مـن خلال عملية التعليم المنزلي الواحدة للاخرى.

وإلى جانب ذلك كانت المكتبة الضخمة ـ الـتي ضمّـت أكـثر من خمسة عشر ألف مجلّد ـ في المـنزل هـي رافـد تعليمـي وتثقيفـي مهم جداً لكل أفراد الأسرة.

الأمر الذي يجعلنا نشـهد كـل بنـات السـيد القبـانجي التسـعة بمستوى عالٍ من الثقافة الإسـلاميّة، بـل وبـاقتدار حركـي جيّـد في مجال العطاء العلمي على مسـتوى المحـاضرات أو الـدروس القرآنيـة الخاصة أوكتابة المقالات.

وبنفس الاتجاه من العناية بثقافة المرأة فقد كان السيد القبـانجي ملتزماً بتقديم حديث علمي يومياً ـ ولمدّة قـد لاتزيـد علـى نصـف سـاعة ـ يتنـاول فيـه مـع أبنـاء أسـرته في البيـت ماتيسّـر لـه مـن

موضوعات في التاريخ الاسلامي أو سيرة أهل البيت عليهم السلام أو غير ذلك.

وإذا كانت المرأة محرومة من التعليم والتعلّم في أحضان المدارس الحكوميّة المنحرفة فقد عمد السيد القبانجي على أن يجعل من البيت مدرسة متكاملة للنساء.

فهناك المكتبة الضخمة للمطالعة، وهناك الدروس الدينية للبنات من قبل الأولاد الذكور، وهناك تشجيع على حركة الكتابة والتأليف.

نظام الوقت:

من الظواهر التي يمكن تسجيلها في السيرة الذاتية للسيد القبانجي ظاهرة «تنظيم الوقت» ، فساعات النهار والليل كلها مقسّمة لديه وبنحو دقيق جداً.

فما أن يفرغ من صلاة الصبح وتعقيباتها حتّى يشرع بتلاوة القرآن الكريم، وما أن ينتهي من ذلك حتّى يستغرق ساعة من الوقت في التأليف والمطالعة، وما أن ينتهي من تناول طعام الافطار مع كل أفراد الأسرة بعد ذلك حتّى يعود لاشتغاله العلمي بمدّة قد تستغرق ساعتين أو أكثر، يأخذ بعدها نصيبه من الراحة بتدخين «النركيلة»، وبعد جولة صغيرة في السوق خارج المنزل لبعض

المشتريات المنزلية وللترويح عن نفسه أيضاً يكون قد عاد إلى الكتاب والقلم حتّى الظهر.

وبعد الانتهاء من الصلاة وتناول طعام الغداء، وساعة من النوم، يكون قد شرع مرّة أخرى ـ في سرداب بيته صيفا وفي مكتبته الواقعة في الطابق الأعلى من البيت شتاءاً ـ بالكتابة والمطالعة مدة ساعة واحدة يأتي بعدها موعد زيارته لمرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي لايُعرف أنه تأخّر عنها يوما واحداً طول حياته إلا لسفر أومرض[1].

وهنا يكون قد استعدّ لاستقبال بعض أصدقائه الذين لم ينقطعوا عن زيارته يومياً للانس معه.

ولايستغرق ذلك أكثر من ساعتين يعود بعدها للكتابة أيضاً ثمّ تناول طعام العشاء ثمّ الخلود إلى النوم سريعاً.

---

[1] لم ينقطع السيد القبانجي عن زيارة مرقد جدّه أمير المؤمنين عليه السلام يوميا حتى في الظروف الأمنيّة الصعبة التي كان يتوقع فيها اعتقاله وملاحقته من قبل جلاوزة الأمن الذين وضعوا رقابة خاصة عليه، وبقليل من الاحتياط كان يغيّر طريقه إلى الحرم العلوي الشريف بين اتجاهين يوديان إلى الحرم أحدهما من طرف سوق الحويش وثانيهما من طرق سوق العمارة، وقد لوحظت هذه القضيّة مسجّلة في سجلّه الخاص في دائرة أمن النجف بعد تحرير مدينة النجف الأشرف أيام انتفاضة شعبان المباركة عام ١٤١١هـ وسقوط دائرة الأمن وأخذ سجلات الاشخاص، فقد لوحظ أنهم سجّلوا في ملف السيد القانجي الأمني أنه يخرج يومياً للزيارة يوماً عن طريق سوق الحويش ويوماً عن طريق سوق العمارة.

يتمنى الشهادة:

لقد كان يتمنّى الشهادة، لكنّه لم يكن يتمنّاها جَزَعاً، أو فراراً؛ كان يتمناها عشقاً لعظيم مقامها، وافتخاراً لما كتبه الله لأهلها، و لم تكن هذه الأمنية تخامره بعد استشهاد أولاده الأربعة واحداً بعد آخر، بل كان يلقي بنفسه في فم الموت منذ أيامه الأولى دفاعاً عن الدين، ونشراً لشريعة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم.

طالما كان يقول: «أتمنّى أن استشهد على يد البعثيين».

وحيث امتدّ به العمر وظنّ أنه قد فاته هذا النصيب، فقد قال: «لقد كبرت، وكنت لاأتمنى العمر الطويل، لقد كنت أتمنّى الشهادة خصوصا على يد مثل هذا النظام اللئيم».

الشرف العظيم:

انّ عمراً حافلاً بمداد العلماء، وصبر الأولياء،والجهاد في مقارعة الأعداء، حَريٌّ أن يُكتب له الشرفُ العظيم.

وإن قلمي ليعجز عن سطر معاني هذا الشرف، ومناحي هذا المجد.

وماذا أكتب عن رجل تبارى مع العلماء فما سبقوه، وجارى الخطباء فما لحقوه.

فكان في العلماء أغزرهم يراعاً، وكان في الخطباء أطولهم باعاً، وكان في سُوح الجهاد أشدّهم قراعاً.

وماذا أسطر عن رجلٍ كان أمةً في خصاله، وفريداً في مجاله.

أنني أقف أمام قَلَم لم يُجف عن خدمة العلم مدّة خمسين عاماً.

وأقف أمام لسان ماتخلّف عن نصرة الحق منذ نطق.

وأقف مثل هذا الإنسان لحقيق أن يهنأ بتاريخه المقدّس، وعمره الشريف.

فهنيئاً لك يا أبا الشهداء هذا الشرف العظيم إذا كنت نزيل سجون الأعداء وقد أبيتَ أن تفرّ فرار العبيد أو تعطيهم بيدك إعطاء الذليل.

وهنيئاً لك هذا المجد الكريم إذا كنت قد وفدت على ربك الرحيم فشَكَرَ لك صبرك ﴿يَوْمَ يُوَفَّى الصَّابِرونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

وهنيئاً لك إذا استقبلت أولادك الشهداء فرحين بما آتاهم الله من فضله مستبشرين بك وبالذين لم يلحقوا بهم.

وطوبى لك إذا استقبلت جدّك الحسين وامّك الزهراء وأنت مضرّج بدمائك. ولك الكرامة أن إمامك الذي عشقته، واشتعل قلبُك بحبّه، ونذرت عمرك له، وسهرت الليالي في اللك تابة عنه أمير المؤمنين عليه السلام يكون قد استقبلك في مثل الليلة التي استشهد فيها ليلة القدر الحادي والعشرين من شهر رمضان المباركة[1] .

---

[1] نقل لي أحد اصدقائي الثقات في النجف الأشرف يوم التقيته في مكة المكرمة عند بيت الله الحرام ١٤١٣هـ إنّ الأخبار عندنا تقول أن هؤلاء العلماء قد قُتلوا قتلاً جماعياً في خارج مدينة النجف الأشرف منذ أن اعتقلوا.

وكان سيدنا الوالد قد اعتقل في العشرين من شهر رمضان المبارك لعام ١٤١١ هـ بعد انتفاضة شعبان المباركة، والله أعلم بأمره.





السيد عبد الرزاق القاموسي



السيد عبد الرزاق القاموسي



الخطيب المظلوم سليل السادة الأمجاد المكبّل بالأصفاد الرازج في سجون الجلاّد واقبية ودهاليز بغداد ظلماً وعدواناً منذ ما يقرب من عشرين عاماً فلم يعرف له خبر، ولا يدري أهو في السجن أم في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

لقد ذبلت زهرة العمر وخمدت شعلة الشباب وهذا السيد الجليل لم يتهنأ بشبابه و لم يتمتع بحياته، شاب وليس كالشباب، وخطيب من نوادر الخطباء أنه قطعة من الطهر والنقاء، والنبل والوفاء، ملأ إيماناً واجتهاداً وذكاءاً، وأدباً وشرفاً وحياءاً صحبته طويلاً ولا زمته كثيراً وكانت بيني وبينه مودّة أكيدة، وصلة وثيقة، كان شديد التحرج في دينه وخصوصاً فيما يتعلق بأعراض الناس وكراماتهم سمعته يقول إنَّ لأنتهاك حرمات الآخرين أثراً وضعياً ينعكس علينا فيجب أن نبتعد عنه علينا، ولذلك كان يتوقف

ويتجنب الخوض فيما لا يعنيه وكان معقد آمال اساتذته في مستقبل مشرق، وموضع طموحاتهم واعتزازهم بقدراته وطاقاته وإبداعه على صغر سنه.

لقد رأيت مجاميعه الخطية وعدته المنبرية التي لم يبخل أن يستفيد منها أخوانه وأصدقاؤه، فيعرضها عليهم بكل وثوق وقد انفق في جمع موادها وإعداد مطالبها وأشباع أبحاثها الوقت الطويل، وبذل الجهد الكبير منقباً وباحثاً في بطون التفاسير وموسوعات الحديث وكتب التاريخ ومعاجم اللغة ومصادر الأدب ودواوين الشعر حتى نسقّ بحوثه وجهز مطالبه وأعدّ محاضراته أفضل إعداد، أضف لذلك روحه المرحة، وطيب معشره، وشرف محضره.

لقد زرت بيته مراراً عديدة في طرف العمارة وهو البيت الملاصق لمنزل السيد الشهيد الصدر رضوان الله عليه وبسبب هذا الجوار الكريم تمّ اعتقال سيدنا المترجم وقيل ربما أوصل للسيد الشهيد بعض احتياجاته من فوق السطوح فكانت تلك جريمة كبرى يعاقب عليها بالأعدام أو السجن المؤبد في حكم قرقوش!!!

كانت تضمني وإياه مكتبته الخاصة في ذلك البيت وكانت مكتبة عامرة زاخرة بأهم المصادر وأكبر الموسوعات وانفس الكتب والمؤلفات.

وعندما استشهد والده الجليل السيد محمد علي آل الجواد الحسيني في طريقة لزيارة الحسين عليه السلام في كربلاء المقدسة مع ثلة من أكابر العلماء وخيار المؤمنين أتذكر من بينهم العلامة الأستاذ السيد محمد كاظم الحكيم، والمؤمن التقي الحاج مهدي أبو شفّة الخياط وولده وحفيده، وغيرهم وكان لمصابهم أثراً بليغاً في النفوس ولفقدهم ألماً وحزناً في القلوب فقد شيعتهم النجف بالدمع والأسى، واقيمت على أرواحهم مجالس الفاتحة ومحافل التأبين، وكان منها مجلس الفاتحة الذي أقامه سيدنا المترجم للمرحوم أبيه الذي كان من بين شهداء الحادث ولم يعلم بخبره إلا بعد مضي ثلاثة أيام، وقد اشترك في تشييع وتأبين الشهداء الآخرين دون أن يعلم أن أباه أحدهم.

وفي اليوم الثالث جرى له تشييع مهيب وأقيمت الفاتحة على روحه في مسجد آل الجواهري بطرف العمارة وكان لي شرف تأبينه بمجلس حسيني بطلب من السيد المترجم واتذكر أني افتتحت المجلس بالآية الكريمة: ﴿ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً﴾[1].

---

[1] سورة النساء/ ١٠٠.

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الوفي العزيز السيد داخل دام عزه

سلام عليكم طبتم

تحية عز ووفاء ومحبة خالصة ابعثها إليك وانت تتلو الرسالة حين عودتك من الديار المقدسة مقبول العمل باذنه تعالى

عزيزي الكريم

كم هي حسنة تلك الصدفة التي القت إلي كتابك الكريم التي تلقيته بكل بشاشة وترحاب في وقت كنت الهج فيه بحديثك مع بعض الاحبة حيث اهاجني الشوق المبرح إليك .. ثم كان أن قرأت عفواً وعرضاً في كتاب البيان والتبيين للجاحظ هذه الابيات لابي العتاهية

وللقلب على القلب دليل حين يلقاه

وفي الناس من الناس مقاييس واشباه

وفي العين غنى للمرء ان تنطق افواه

فايقنت صدق قول الشاعر في دليل القلب على القلب حين تلوت كتابك واني نعوذ بالله سوف ابادر الى ما تحب من الدعاء لك والزيارة في المشاهد الشريفة .. واني لاحسب ان ذلك قليل من جنب وفائك وافضالك

نسبه ولقبه:

هو السيد عبد الرزاق بن السيد محمد علي بن السيد كاظم آل الجواد وهي من الأسر العلوية التي ينتهي نسبها إلى زيد الشهيدبن علي بن الحسين بن أبي طالب عليهم السلام.

وقد يثار سؤال عن لقبه القاموسي وهي أسرة غير علوية عرفت بالتقوى والفضل والصلاح، ومن أعلامها العلامة الجليل الشيخ صادق القاموسي خال السيد المترجم والأستاذ الشاعر الاديب المرحوم محمد صادق القاموسي، والتاجران الوجيهان الحاج عبد الهادي القاموسي، والحاج عبد الحسين القاموسي، فكيف تسرب هذا اللقب إلى سيدنا المترجم مع كونه سيداً هاشمياً علوياً؟؟.

لقد التصق به هذا اللقب عن طريق أخواله آل القاموسي الذين نشأ وترعرع في أحضانهم، وتربى في كنفهم فلازمة هذا اللقب واصبح لا يعرف إلا به.

ولادته ونشأته ودراسته:

ولد في النجف الأشرف سنة ١٣٦٧ هـ ونشأ في ظلال أمير المؤمنين عليه السلام، وتبرعم عوده في منبت العلم وحوزة الدين

وتربى في أسرة هي مضرب الأمثال بالخلق والأستقامة والشرف.

ولما درج في بواكير طفولته تلقى تعليمه الأبتدائي بمدارس (منتدى النشر) ثم قطع مراحلها المتوسطة والثانوية والجامعية حتى تخرج من كلية الفقه لعام ١٩٧١ - ١٩٧٢ م.

بالأضافة إلى انتهاله من نمير الحوزة العلمية، واكتسابه رصيداً من معارفها وعلومها على يد أفضل الأساتذة وأبرز المدرسين.

خطابته:

قطع مشواره الخطابي وشوطه المنبري بتوجيه ورعاية خاله العلامة التقي الشيخ محمد صادق الشيخ باقر القاموسي الذي أولاه اهتماماً بالغاً وعناية مؤكدة، وواكب مسيرته وساير مراحل نموه حتى تكاملت شخصيته الخطابية، وانفرد بنفسه خطيباً كفوءاً مبرزاً، واتصل بالاعلام من طلائع الخطباء وأكابر القرّاء واستفاد من خبراتهم، واطلع على مناهجهم وفنونهم وأكثر من لازم منهم هو الأستاذ الخطيب الشيخ أحمد الوائلي فقد لازمه في قراءة المقدمة في معظم مجالسه العامة في النجف الأشرف، حتى اصبح في عداد طلائع الشباب من خطباء المنبر الحسيني، واستقل في مجالسه الحافلة ومحافله الحاشدة بمختلف المناسبات الدينية والتاريخية والثقافية التي تعقد في الساحات العامة والمؤسسات الدينية والشوارع والأسواق،

وهو يبدع في ثقافته ويبرع في خطابته خطيباً محبوباً يملأ السمع والبصر كفاءة وجدارة على حداثة سنه.

وقد ارتقى أعواد المنابر في العديد في المدن العراقية فضلاً عن النجف الأشرف، فقد قرأ في بغداد والكاظمية وغيرها، ثم وجهت له الدعوات إلى البحرين واستضافته مجالسها في شهر محرم الحرام وخصوصاً المجالس الشهيرة في المنامة كمجلس المديفع ومجلس العرّيض، وقد التقيته هناك وحضرت بعض مجالسه الموفقة فكان حديث الأعجاب وموضع الثناء والأطراء لعارفي فضله ومقدري خطابته ودسومة ابحاثه.

اعتقاله:

على أثر الهجمة الأرهابية الشرسة التي اجتاحت العراق في ظل النظام العفلقي الغاشم وملاحقة أعلام الفكر وأقطاب الدين، وتهديم أركان الحوزة العلمية بقتل العلماء وتشريد الطلبة ومطاردتهم وإحكام الضغوط عليهم، واعتقال السيد الشهيد الصدر ثم أعدامه، في أثناء هذه الهجمة في أوائل الثمانيات تم اعتقال السيد المترجم وزجه في سجون بغداد مع الأحرار والشرفاء من أباة الضيم وروّاد الشرف فضاع خبره واختفى أثره وانقطع ذكره إلى يومنا هذا ليكون وثيقة من وثائق الخزي والعار في جبين القتلة الجلادين الذين بغوا على طهره وبراءته وهو في ريعان شبابه

وعنفوانه عطاءه ماجداً شريفاً ومتبتلاً عفيفاً لم يتهنأ حتى بحقه الطبيعي في الحياة ان يتزوج تكون له أسرة مستقلّة، بل اختطفوه في غمرة آماله وطموحاته، واضرموا لوعة في قلوب أهله وذويه ومعارفه وأصدقاءه، فبعين الله ما لقيت يا سيد الشباب ويا مفخرة الخطباء وطبت حياً وميتاً والسلام عليك ورحمة الله وبركاته.



الملا عبد الرزاق البصير



الملاّ عبد الرزاق البصير

الاستاذ الخطيب الاديب أبو عدنان الملاّ عبد الرزاق البصير اسم لامع في عالم الادب والثقافة والاعلام، بصير في الأدب مرجع في الثقافة، علم في الأعلام، تحدث عنه مَن عاصر خطابته الحسينية بأنه الخطيب الكفؤ الذي يملأ المنبر أدباً وثقافة، وجرأة ولباقة.

وحدثني شاهد عيان بأنه رآه يوم السابع من المحرم وهو اليوم المخصص في جدول عاشوراء لأبي الفضل العباس عليه السلام، وكان الاستاذ البصير يومئذ خطيب الحسينية الجعفرية، فكان يمسك بيده الراية ويضربها على الأرض بشجاعة وشجاء وقوّة، ومضاء فيستثير بذلك العواطف، ويستدر الدموع حزناً ولوعة على مصاب حامل اللواء ومثال الاخاء ورمز الوفاء العباس بن أمير المؤمنين عليه السلام ومنذ زمن ليس بالقصير اعتزل الاستاذ البصير خطابه المنبر الحسيني الا أنَّ نفسه تنازعه لاستئناف ذكرياته الأولى، ويتوق لأرتقاء أعواد المنبر الحسيني تبركاً واعتزازاً وولاءاً، وقبل أقل من

عقد من الزمن إرتقى المنبر الحسيني خطيباً رائداً كفوءاً في حسينية آل يس على حشد كبير وجمهرة من المؤمنين الذين استمعوا لخطابته بارتياح بالغ، وهو يستعيد أصالته المنبرية ويجدد عهود خدماته الحسينية وسجلت له ثلاثة مجالس على أشرطة الكاسيت استمعت إليها في وقتها فكان الرجل حقاً خطيباً بليغاً لوذعياً وأديباً مفلقاً عبقرياً، يسترسل في خطابته على الطريقة التقليدية، ويعرض لنا صورة متكاملة عن الأساليب المتبعة عند خطباء المنبر من الجيل الماضي والرعيل المتقدم.

وبالرغم من اعتزاله الخدمة الحسينية مؤخراً وانصرافه إلى عالم الأدب والاعلام، الا أن حنينه وتعلقه بنشأته الأولى ومعاودة ذكرياته، وعدم مبارحته أو أنقطاعه الكلي عن هذه الأجواء، فاعتزازه بخدمة سيد الشهداء في أعماق وجدانه، ولذا حدث الاستاذ الحاج عبد الأمير الفيلي أنه سمع منه أمنية ترددت على لسانه وذلك قوله: لو أن أحدى الحسينيات تتيح له فرصة القراءة ولو في ليلة العاشر من المحرم. فالحسين يبقى في أعماق ضميره وخدمته وذكر مصابه شرف ما بعده شرف، والانتماء إلى صفوف رجال منبره وذاكري مصابه عز في الدنيا والآخرة.

التقيت الاستاذ البصير في حسينية آل ياسين وتحدثت إليه وبادلني أطراف الحديث بلهجة التهذيب والمسؤولية وكان ينعى ويتأسف أن يتسلل إلى ممارسة الخطابة الحسينية من لايمتلك الكفاءة

والجدارة في هذا المضمار، وشاركته الرأي في وجود ثغرات وحالات من التسيب والترهل في شؤون هذه المؤسسة العملاقة، وتسرب بعض العناصر التي ترسم صورة مشوهة وتعطي فكرة قلقة مضطربة عن الدور الخطير الذي يمثله المنبر الحسيني المقدس.

وبعد جلسة قصيرة وحوار خاطف عن الخطابة والخطباء بيني وبين البصير أخبرته بما عزمت عليه من مشروع «معجم الخطباء» وبما أنه من الرعيل المتقدم من خطباء الكويت الذي ساهموا مساهمة فعالة في أحياء المجالس، ومارسوا ممارسة متفوقة خدمة المنبر الحسيني، لذا طلبت إليه أن يكون في عداد الشخصيات المترجمة في سجل سيد الشهداء عليه السلام فبادر مشكوراً بارسال ترجمته التي اعتمدتها أساساً كما استعنت بمقال نشرة الاستاذ علي المهدي في مجلة المواقف البحرينية في عرض هذه السيرة والمعلومات المتعلقة بها:

اسمه ولقبه:

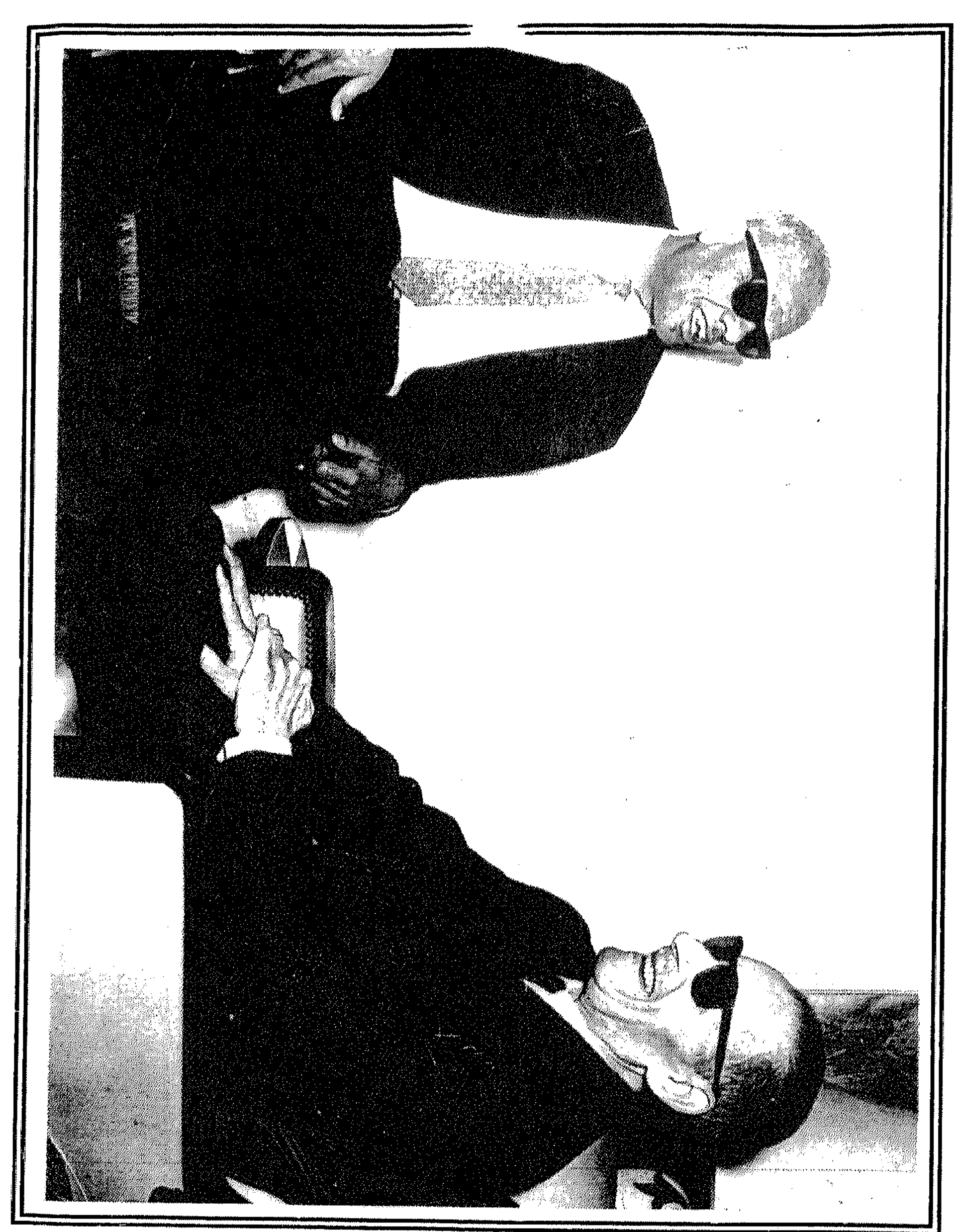
هو الملاّ عبد الرزاق بن ابراهيم بن علي العبد الله الناصر هذا هو الاسم الذي عرف به خطابياً، كما عرف بلقب الناصر الجد الأعلى لاسرته، حتى اذا توغل في عوالم الأدب وانعطف نحو كتابة

المقالات في الصحف والمجلات صار يدعى عبد الرزاق البصير وقد انتزع هذا اللقب الجديد من مناسبتين موضوعيتين:

الاولى لكونه كفيف البصر والعرب يطلقون على الكفيف بصيراً.

والثانية تتعلق بمقال كتبه سنة ١٩٣٩م في جريدة البحرين التي كان يصدرها المرحوم عبد الله الزايد تحت عنوان مكانة الادب العربي ينتصر فيه للدكتور زكي مبارك ضد أحمد أمين مؤيداً آراء الدكتور مبارك في قوة الادب الجاهلي ومكانته المتينة خلاف ما يرتأيه أحمد أمين وعلى أثر نشر هذا المقال وقعت خصومه أدبية بينه وبين الاديب عبد الرحيم روزبه الذي كتب هو الآخر مقالاً خاطب فيه خطيبنا المترجم بالعبارة الآتية: (أنك بصير فيما ترى من آراء) وكأن هذه العبارة كانت تبحث عن شخصيتها لتلازمها طيلة الحياة بل لتصبح لقباً شهيراً ومنعطفاً نسبياً في تاريخ أسرة الناصر لتصبح أسرة البصير. فلقد أعجب البصير بهذا اللقب واستساغه لنفسه وألحقه باسمه وبدأ منذ ذلك التاريخ يوقع مقالاته وينشر انتاجه ويذيل نشاطه الأدبي بتوقيعه الجديد ولقبه البصير.

❋ ❋ ❋



الأستاذ البصير مع الدكتور طه حسين بمنزله في القاهرة.

ولادته ونشأته:

في محلة القناعات بدولة الكويت وفي عام ١٩٢٤ م ولد الأستاذ البصير، ولما درج في سلم الحياة، وقطع ثلاث سنوات من طفولته المبكرة أصيب بمرض الجدري ففقد بصره فنشأ وترعرع كفيف البصر، فاستمد من هذا الحرمان عملقة وقوة ودخل الحياة رقماً مضيئاً، ووقف على قدميه إلى جانب الموهوبين والمبدعين من الذين افتقدوا نعمة البصر على امتداد التاريخ الغابر والمعاصر فلقد كان ابن عباس حبر الأمة، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وعبد الله بن عفيف الازدي وغيرهم من اجلاء الصحابة والتابعين ومن الشعراء كأبي العلاء المعري وبشار بن برد، ومن المعاصرين كالدكتور طه حسين والشاعر الكويتي صقر الشبيب وسواهما من رجال الثقافة والأدب الذين عوضهم الله عن استلاب نعمة البصر بنفاذ البصيرة وحدة الذكاء وتوقد الذهن.

❋ ❋ ❋

دراسته وخطابته:

قبل أن يكمل العقد الأول من سنّي حياته درس القرآن على يد امرأة مؤمنة تدعى صالحة الشمالي، وكانت الدراسة يومئذ لهذه

المرحلة المبكـرة مـن الطفولـة البريئـة مختلطـة ذكـوراً وأناثـاً فحفـظ القرآن عندها عن ظهر قلب وعمره ثمانية سنوات، ولما بلغ العاشرة من عمره أخذه أبوه إلى الخطيـب المرحـوم الملا يعقـوب العبـد الله ليزوده بقصائد الشعر عليه السلام، ثم انتقل منـه إلى الخطيـب الملاّ حسن العبد الله ـ المترجم في كتابنا هذا ـ وتلقى عنه فنـون الخطابـة الحسينية ورفده هـو الآخـر بمـا عنـده مـن أرصـدة الشعـر والأدب المنبري، وكانت مادة الخطابة تتكون من الشعر العربي وقراءة نهـج البلاغة وجواهر الأدب وبعض دواويـن الشعـراء العراقيـين وكتـب التفسير.

وشاءت المقادير أن يكون هذا الاسـتاذان الخطيبـان الموجهـان لاستاذنا المترجـم أيضاً من فاقدي البصر ولكنهمـا يقتدحـان ذكـاءاً ويتوهجان ألمعية وبراعة.

ثم انعطف إلى دراسة بعض العلوم العربية والإسلامية كالنحو والبلاغة والمعاني والبيان والمنطق والفلسفة وشيء مـن الفقـه وغـير ذلك مما هو متعارف في مناهج الحوزات العلمية ومقرراتهـا وتلقـى تلك العلوم عن الإمام الراحل الميرزا علي الحـائري قـدس سـرّه ثـم رحل إلى العراق وتتلمذ على يد الشيخ محمـد الخطيـب في النجـف الأشرف وجد واجتهد وتفوق في دروسه ولكنـه أحـسَّ في أعماقـه بميـل شـديد نحـو الأدب العربـي وفنونـه، فـانعطف إلى هـذا العـالم الرحب برغبة ملّحة أن يتحول من عـالم الخطابـة إلى التخصـص في

شؤون الأدب، وبينما هو في غمرة التفكير في شتى أقسام الفنون الأدبية وماذا سيمارس لتحقيق هذه الهواية الجامحة؟ وهل سيصبح شاعراً أم روائياً أم قاصاً؟ (إلى أن جاء جعفر الرائد وهو الميرزا جعفر نجل الميرزا علي الحائري من بغداد ومعه كتاب للدكتور طه حسين فأهداه اياه قائلاً له: الآن تستطيع أن تكتب في الصحف وتصبح كاتباً وأديباً وكان هذا القول بالنسبة للاستاذ البصير صعباً جداً في ذلك الوقت إذ كيف يكون الضرير كاتباً صحفياً؟! ولكن الميرزا جعفر اقترح عليه أن يعيّن له سكرتيراً يقرأ له ويكتب مقالاته الأدبية والأجتماعية والسياسية وكان له ما أراد فقد فتح أمامه باب الأمل[1].

وهكذا كان كتاب الأيام للدكتور طه حسين الخطوة الأولى للولوج في دنيا الادب، وقد انصهر الأستاذ البصير وانسجم كل الأنسجام مع أسلوب الكاتب الأديب الكبير الدكتور طه حسين، ووجدان أشباع نهمه الأدبي وارواء ظمأه الثقافي في أمثال هذه المناهل وعلى صفحات هذه المؤلفات، فصار يتتبع كل كتاب يصدر لعميد الأدب العربي فيقتنيه ويلتقط دراريه ويحيط بما فيه وهذه هي الانطلاقة الأدبية الأولى لخطيبنا وأديبنا المترجم ابتدأت مع كتاب الأيام عام ١٩٤٣م.

---

[1] المواقف البحرينية بقلم الأستاذ والمهدي عدد ٩٩٧.

ثم خاض معترك الصحافة ونشر المقالات الادبية والثقافية بمختلف الصحف والمجلات العربية. وسبقت الأشارة إلى ان المقال الأول نشر له في جريدة البحرين عام ١٩٣٩م، ثم بدأ يكتب في مجلة الرسالة القاهرية للمرحوم أحمد حسن الزيّات، وكتب في الصحف العراقية والسورية والمصرية حتى برع وتألق واشتهر وتفوق أديباً يشار إليه بالبنان، وحتى عبر عنه الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر بأنه: (طه حسين الخليج).

وفي عام ١٩٥٨ م عقد مؤتمر الأدباء العرب في الكويت فعين رئيساً لوفد الكويت في ذلك المؤتمر في دورته الرابعة. كما أنه شارك في مؤتمر كتاب آسيا وأفريقيا المنعقد في القاهرة سنة ١٩٦١م، وهكذا أخذ يشارك في المؤتمرات الأدبية التي تعقد في مختلف الأقطار العربية.

البصير وطه حسين:

أديبان كبيران، وبصيران يلتقيان روحياً وأدبياً، أحدهما نبغ في أرض الكنانة، والآخر لمع في سماء الخليج تربطهما علاقة مؤكدة، وتجمعهما صلّة وثيقة، وهما يقفان كارقام شاخصة ليثبتان للدنيا بأن الأعاقة البدنية لاتحول دون العطاء والأبداع الفكري

والعقلي، فليس الإنسان باجهزته وأدواته الجسدية بمقدار ما يحمل من فكر وأرادة وعزيمة وهمّة تتحدى الصعاب وتخترق المستحيل.

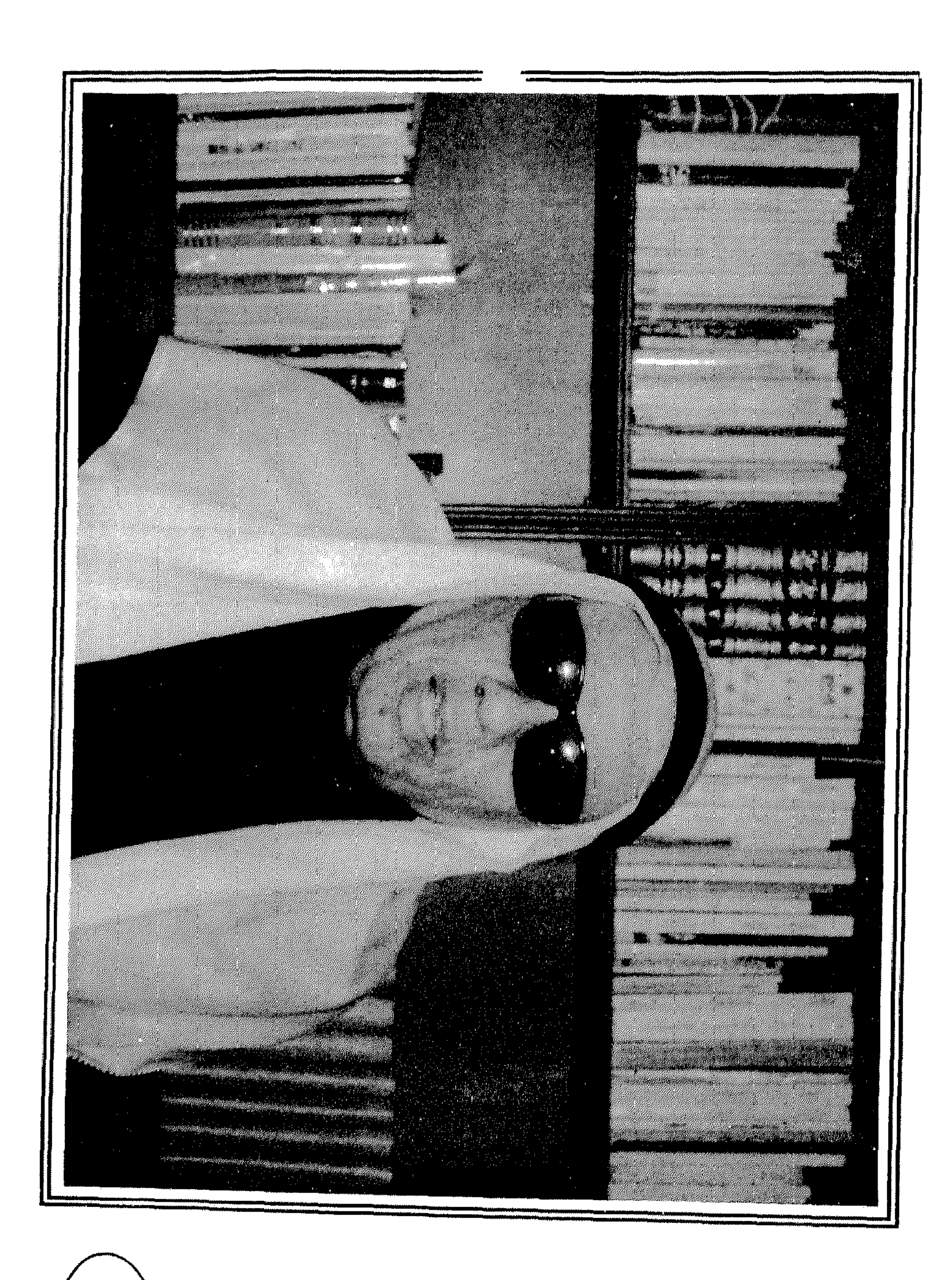
ويبدو أن الصلة بين الأستاذ البصير والدكتور طه حسين ابتدأت بالمراسلة منذ عام ١٩٤٣م، ثم أخذت تنمو وتتوثق على ممر الأيام حتى صار البصير لايأتي إلى القاهرة الا ويزور عميد الأدب العربي في منزله، وكان يطيل الجلوس معه ولقد تم اختياره عضواً مراسلاً لمجمع اللغة العربية بالقاهرة بتاريخ ١٩٦٨/٣/١٧م[1].

مناصبه:

شغل الأستاذ البصير عدة مناصب اعلامية وثقافية منها. أمين مكتبة وزارة الأعلام في الكويت منذ سنة ١٩٥٦م ولايزال بالأضافة إلى العمل في لجنة التراث العربي، وعضو في المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، وعضو في المجلس الاستشاري للاعلام في الكويت، وعضو في لجنة الرقابة، وعضو في النادي الثقافي القومي، وعضو في رابطة الأدباء الكويتين.

---

(١) منشور في ترجمة البصير باسم وزارة الأعلام الكويتية.

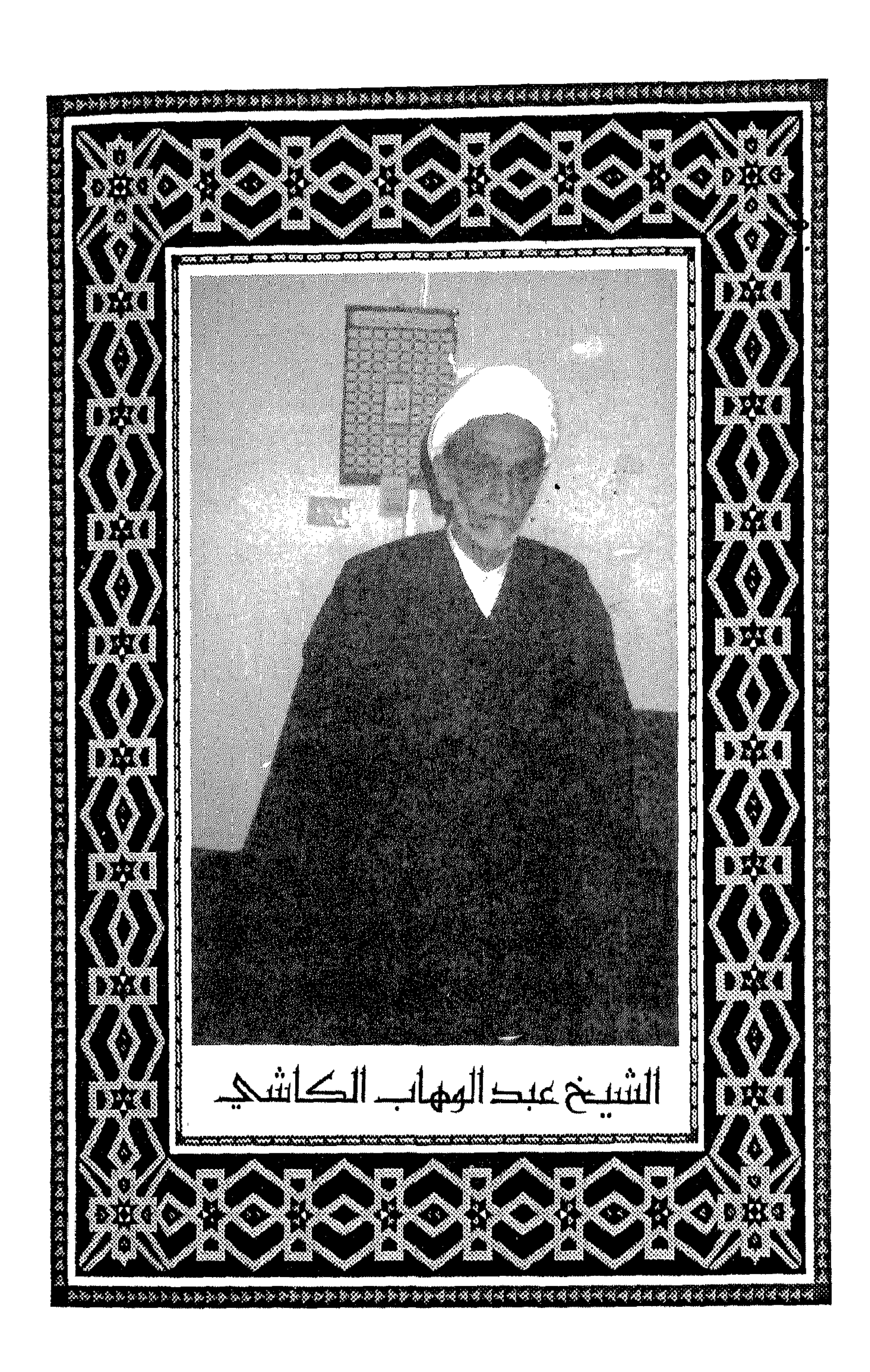


من آثاره:

صدر أول كتاب له (تأملات في الأدب والحياة) ثم كتاب (في رياض الفكر) ثم كتاب (شعراء معروفون مجهولون) وكتاب (الجريمة الكبرى) إلى جانب نشره مقالاً أدبياً كل أسبوع، ولديه كتابان ماثلان تحت الطبع.

هذا ما استطعنا عرضه في ترجمة الاستاذ البصير على لوحة معجم الخطباء دون الادعاء بالالمام الكامل لسيرته الذاتية وحياته الأدبية الخصبة، وكان الهدف الإشارة إلى أن الرجل من الرموز البارزة في خطابه المنبر الحسيني في مجالس الكويت ومنتدياتها الحسينية العامرة فيما مضى من الزمن ونرجو له حسن العاقبة.




الشيخ عبد الوهاب الكاشي



الشيخ عبد الوهاب الكاشي



من مشاهير الخطباء المعاصرين، وأستاذ لكوكبة من شبيبة الخطباء كانوا مغرمين بصوته مسحورين بأسلوبه مقلّدين لمنهجه وطريقة عرضه وفن قراءته.

يتميز الكاشي بحنجرة صافية ونبرات رقيقة يتحكم بها قوة ورخامة، ورقة وعذوبة.

واذا كان من رجال التاريخ الاسكندر ذو القرنين، وخزيمة ذو الشهادتين، والحسن بن سهل ذو الرئاستين، فاذا لم يكن في النعت بأس وفي الوصف جرأة أو تجاسر فشيخنا الكاشي ذو الصوتين فبينما تسمعه في صوت حماسي يخترق الآذان سحراً وشجاءاً ينقلب بنفس اللحظة الى صوت هادىء رخيم يستدر الدموع حزناً ولوعة.

واذا استعدت شريط الذكريات وتوقفت عند أول مجلس حضرته واستمعت فيه الى خطابة الأستاذ المترجم، فلابد من العودة تحديداً الى سنة ١٩٧١م في المدرسة الشبرية في النجف الأشرف، وكان مجلساً تأبينياً حضره أستاذنا الخطيب المفجوع السيد جواد شبر بمناسبة مصرع أخيه المظلوم السيد محمد علي شبر على أيدي عصابة من الأشرار والقتلة. فرقى شيخنا الكاشي منبر الخطابة في باحة المدرسة على ذلك الجمع الغفير، وافتتح المجلس بقصيدة السيد جعفر الحلي الميمية الشهيرة في رثاء أبي الفضل العباس وراح يترنم بصوتيه الساحرين:

يا مالكاً صدر الشريعة انني ... لقليل مكثي في بكاك متمم
هونت يا ابن ابي مصارع فتيتي ... والجرح يسكنه الذي هو آلم
نادي وقد ملأ البوادي صيحه ... صمُّ الصخور لهولها تتألم
أأخي يهنيك النعيم ولم أخل ... ترضى بأن أرزى وانت منعم
أأخي من يحيي بنات محمد ... إن رحن يسترحمن من لا يرحم
ما خلت بعدك أن تشل سواعدي ... وتكف باصرتي وظهري يقصم

فأدمى القلوب وأسال العيون، ثم قال المرء كثير بأخوانه وراح يتحدث عن الاخاء والوفاء حديثاً في صميم المناسبة ومطابقة مقتضى الحال، وقد التقطت ـ يومئذ ـ هذا المجلس على شريط كاسيت لا أدري أين هو الآن ؟ لطول العهد وقسوة الظروف. ثم

حضرت مجلسه الاسبوعي ـ لأكثر من مرة ـ في دار المرجع الديني الراحل السيد عبد الهادي الشيرازي طاب ثراه في زقاق محلة الحويش التي يقول فيها الشاعر:

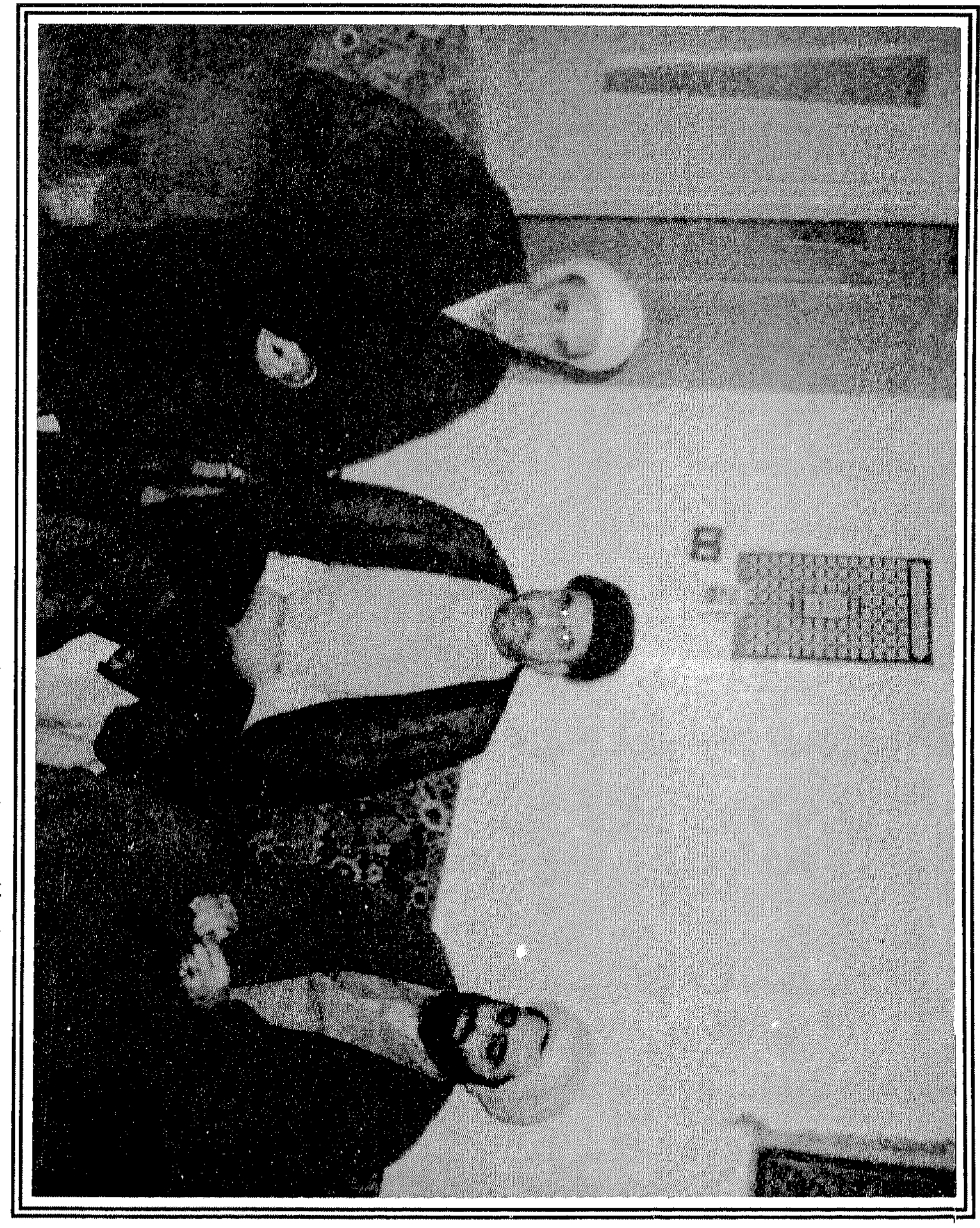
إن عيشي في الحويش نكدٌ أسوءُ عيش
بين عباس خميس وعلي بن رفيش
لكن المولى سعيد لم يزل كهف قريش

فكان في ذلك المجلس موضع تكريم وحفاوة السادة العلماء، ومحط تقديرهم واعجابهم بخطابته وشجاء صوته، ثم ذاع صيته في مجالس الكوفة ومسجدها التاريخي الكبير وسائر المجالس الأخرى.

وحدثني أحد الأعلام الكبار أن الكاشي كان في شبابه جميل الصوت والصورة وهذا ما رسمه أحد أدباء النجف الأشرف بقوله:

ويحسب راءٍ قد بكيت وإنما أصول عليه من شقوق الأنامل

ومن بعد هذه اللمحة الموجزة نتحول الى ما استقيته من معلومات منه مباشرة خلال زيارتي له في داره العامرة.



الأستاذ الكاشي وعن يساره المؤلف ثم الشيخ قاسم القبيسي.



من اليسار: الشيخ باقر الهلالي، الاستاذ الكاشي المترجم، السيد حسن الهاشمي، السيد هاشم الهاشمي، الشيخ محمد علي التسخيري

اسمه ولقبه وولادته:

هو الخطيب الشيخ عبد الوهاب بن الشيخ عبد الحسين بن ملاّ محمد الكاشي، وملا محمد هذا هو أول من ترك كاشان الايرانية وهاجر الى النجف الأشرف لطلب العلم، فاشتهرت أسرة الكاشي في النجف الأشرف نسبة اليه، ثم هجر ولده الخطيب الشيخ عبد الحسين الكاشي ـ والد المترجم ـ النجف الأشرف وسكن البصرة ثلاثين عاماً على أثر الاحتلال الانكليزي ولذا كانت ولادة خطيبنا المترجم في البصرة عام ١٩٢٤ م.

علاقته بالحسين

يقول الأستاذ الكاشي معتزاً ومفتخراً ان كل وجودي وكياني وحياتي هي ببركة سيد الشهداء عليه السلام، فقد تبناني الحسين طفلاً صغيراً لم أتخط السنة الثالثة من عمري وقد أصبت بمرض التيفوئيد فأشرفت على الموت بل مت فعلاً حسب أخبار الوالدة التي وضعت على جسدي غطاءاً وهرعت الى أعلى السطح وتوجهت الى كربلاء مستغيثة بالحسين، وكانت تذوب في حب الحسين عليه السلام. ثم خاطبته بقولها «أبا عبد الله، لئن عوفي ولدي فسيكون خطيباً لخدمة منابرك» ونزلت من السطح، فنظرت

الى ولدها المسجّى يتحرك بل و ىطلب الأكـل بعـد أن مضـت عليه ثلاثة أشهر لم يذق طعم الطعام ولم يتناول شيئاً من الأكل.

يقـول الكاشـي في حديثـه: وأعجـب مـن ذلـك أن المصـاب بمرض التيفوئيد إذا برء من مرضه فانه يصاب حتماً أمـا بـالخرس أو الطرش أو يتعرض لخلل في أعصابه وكنت ببركة سيد الشهداء عليه السلام سليماً صحيحاً معافى.

وهكذا استمرت علاقة الكاشي مع الحسين في خدمته منذ طفولتـه المبكرة حظي برعايته ونالتـه بركتـه حتـى أصبـح مـن أعـلام المنـبر الحسيني.

دراسته:

تلقى تحصيله الدراسي في الحوزة العلمية في النجـف الأشـرف فقد درس اللغة العربية على يد الشيخ جعفر الشيخ راضـي، ودرس المنطق على المرحوم السيد مرتضـى الخلخـالي، والفقـه علـى السـيد محمـود الحكيـم، وأخـذ علـم الأصـول عـن السـيد مرتضـى الفيروزابادي.

خطابته:

يعتبر الخطيب الشيخ محمد الكاشي هو أستاذه في فن الخطابة وبعد أن نشأ وتدرج ونمت ملكاته الخطابية أصبح من أساتذة المنبر وأكابر الخطباء وقد تخرجت على يديه كوكبة من طلائع الخطباء كالخطيب الشيخ حسين الفقيه، والخطيب الشيخ عبد الأمير أبو الطابوق، والخطيب الشيخ محسن الفاضلي، والخطيب الشيخ فاضل العطّار، والخطيب الشيخ عبد الحميد المهاجر، وبعد هذا الجيل المتقدم تتلمذت على يديه نخبة من الشبيبة اللبنانية كالشيخ ابراهيم حازم، والشيخ أحمد درويش، والشيخ رضوان درويش، والشيخ حسين نجدة والشيخ إبراهيم بلّوط، والشيخ علي سليم وغيرهم.

ويبدو أن العلاقة المنبرية لشيخنا المترجم في الساحة الحسينية اللبنانية ضارية في القدم منذ عهود بعيدة، فقد حدثني عن ذلك بقوله: التقيت السيد الشهيد الصدر رضوان الله عليه في النجف الأشرف فقال لي: هل ترغب أن تذهب خطيباً إلى لبنان فاجبته ولمن اقرأ؟ للنصارى؟. فضحك السيد الشهيد وقال ألم تعلم أن هناك شيعة أهل البيت عليهم السلام. فهيأ لي السيد مستلزمات السفر، وأمر لي بقطع تذكرة على خطوط الطيران إلى بيروت، وعند وصولي إلى فندق الرحاب في ساحة النجمة وجدت السيد

موسى الصدر ينتظرني هناك وكانت هذه السفرة الأولى سنة ١٩٦٠م، فعقد المجلس في ساحة الكلّية في صور، ولما سمع علماء بيروت كالشيخ حسين معتوق والشيخ رضا فرحات والشيخ محمد جواد مغنية، كانوا يومياً يأتون إلى صور لاستماع المجلس، ثم طلبوا من السيد الصدر أن أكون عندهم في بيروت، فابتدأت قرائتي في بيروت من سنة ١٩٦٢م. كما أنه رقى الأعواد في البحرين والكويت ودبي وجنوب إيران وإفريقيا وغيرها.

مؤلفاته:

اخرجت له مطابع دار الزهراء عدّة مؤلفات منها:

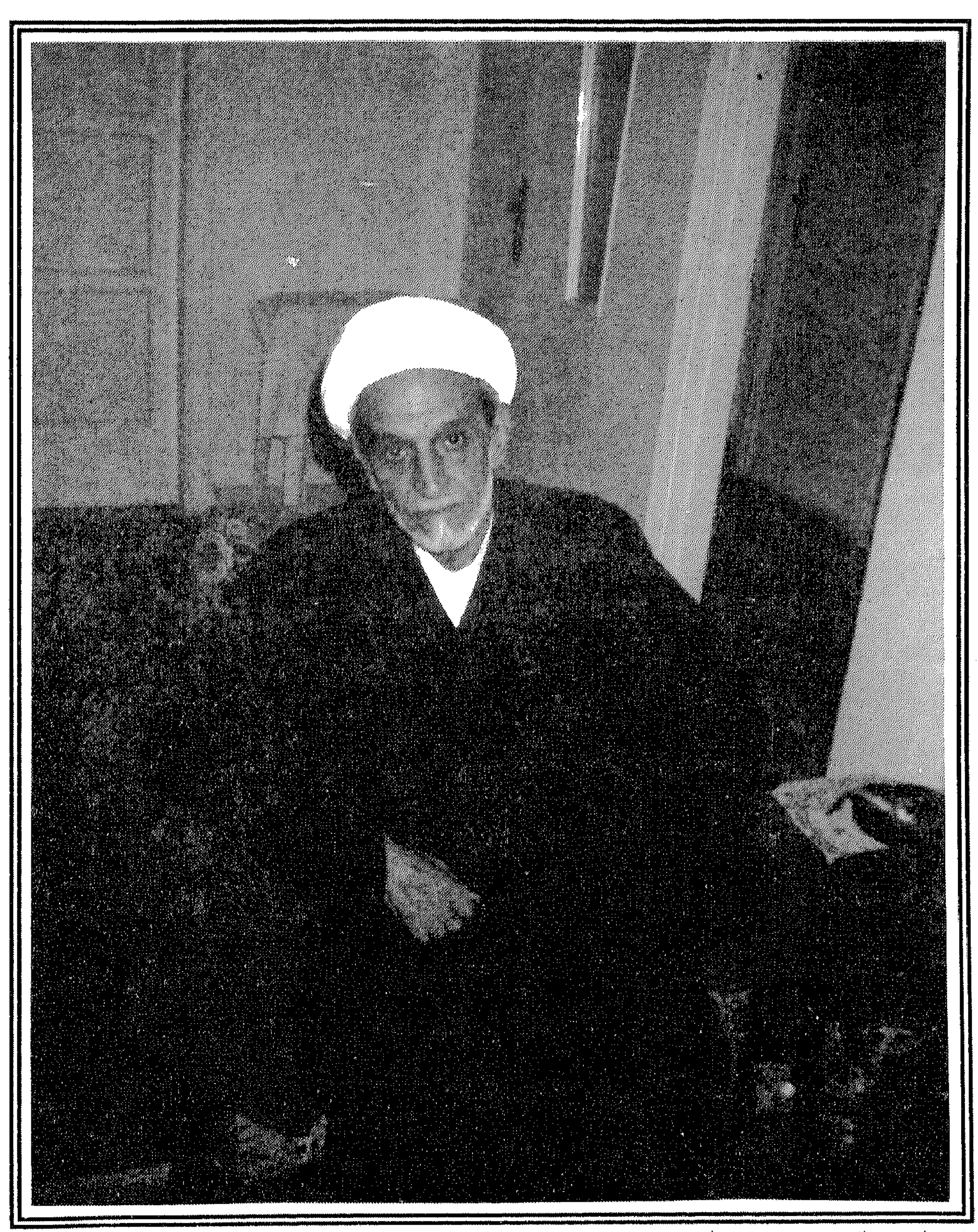
١ـ مأساة الحسين بين السائل والمجيب.

٢ـ محاضرات في المجالس الحسينية.

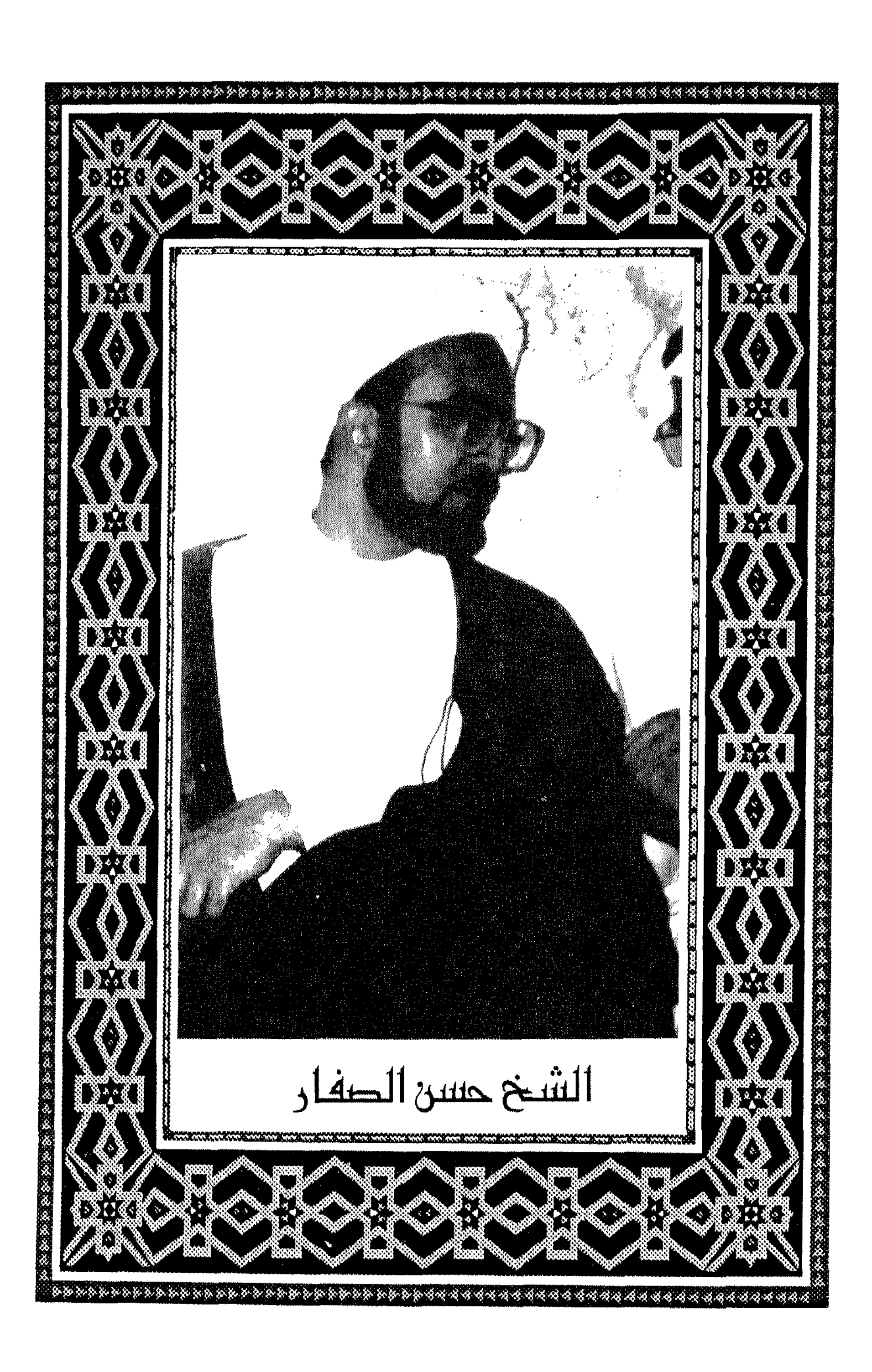
٣ـ مصرع الحسين.

٤ـ في رحاب محمد وأهل بيته.

وأخبرني أن له مجموعة شعرية يتحين الفرصة الملائمة لطباعتها وأخراجها.



الخطيب الكاشي في منزله ببيروت.



الشيخ حسن الصفار



الشيخ حسن الصفار



الشيخ حسن الصفار طاقة من النشاط والحيوية والانفتاح خطيب بارع، ومحاضر لامع، ومؤلف مبدع، وباحث متتبع، ولعمر الحق اشهد لقد عرفت الرجل أليفاً ودوداً كريم الطباع حميد الصفات مبادراً للخير والمعروف سبّاقاً لتأليف القلوب، منفتحاً على الجميع، بالرغم من وجوده في قلب الساحة المتصارعة والتيارات المتنازعة وتعامله مع مختلف الخطوط المتباينة والفئات والتكتلات المضطربة في ساحة العمل والتحرك الاسلامي. وبالرغم من احتسابه على فصيلة من تلك الفصائل العاملة بيد أن الملاحظ انفتاحه وتعاونه وصيانته لاصول وآداب وأخلاقيات العاملين في سبيل الله وما يفترض أن يتحلوا به من مسؤولية وخلق ومجاملات.

رأيته وصولاً لمن قطعه، زائراً لمن جفاه، بل أكثر من ذلك رأيته منفتحاً واثقاً جريئاً في زياراته واتصالاته حتى مع بعض الاعلام من أبناء المذاهب الاسلامية الاخرى غير الشيعية بل وداعيا

أخوانه وزملاءه لزيارتهم والتقرب منهم وكسر الحواجز النفسية ما بينهم لتنقية الأجواء وتصفية القلوب وفتح لغة التفاهم ومنطق الحوار الهادف بدل التشنّج وسوء الظن والانغلاق والحساسيات المذهبية المتزمتة.

أجل هذا هو منطق العالم الواثق والمثقف الواعي الذي يمارس دوره ومسؤوليته من منطلق الثقة والاقتدار ضمن الاطار الإسلامي ووفق الضوابط والمتطلبات الشرعية.

وبعد هذا فلا أراني مبالغاً أو مجانباً الحقيقة اذا عبرت عن الاستاذ المترجم بالكيان الرسالي المتحرك، والشخصية الاسلامية الواعية، ومعلم من معالم التوجيه والتثقيف الاسلامي، وحقاً أنه شمعة من الشموع النوادر التي تذيب نفسها لتهب النور والضياء للآخرين.

وفي رجعة إلى خزانة الذاكرة، وعودة إلى شاشة النشأة الاولى ترتسم في مخيلتي وتتمثل في خاطري صورة لبرعم يافع تحيط به ثلّة من رجال الخير والايمان وتحفه كوكبة من المخلصين لخدمة الحسين عليه السلام بالاعتزاز والتكريم، وتلتف حوله بالرعاية والاعجاب، لذكائه المفرط ونبوغه المبكر واستعداده الخارق ولعليّ أتذكر من بين هؤلاء الذين واكبوا مسيرته الدينية كان المرحوم الحاج اسماعيل بن الشيخ والمرحوم الحاج محمد السلمان وغيرهما من رجال الخدمات الدينية والحسينية ومن وجهاء الجماعة الاحسائية

واركان الحسينية الجعفرية في الكويت، وكان خطيبنا المترجم يومئذ لم تختط عارضاه وديع القسمات بريء النظرات واعد المستقبل متفائلاً طموحاً.

وفي هذا السياق تقفز لقطة أخرى من الذكريات على مسرح دورة الصحن الحيدري الشريف في النجف الاشرف حيث كنت برفقة المرحوم الشيخ اسد حيدر صاحب الأمام الصادق والمذاهب الاربعة اذ استقبلنا شاب في مقتبل العمر قد اعتمر كوفية بيضاء ارخى ذؤابتيها على صدره وعباءة سوداء لف بها جسده المترف، فما كان من هذا الغلام الوديع الا أن هجم على الشيخ الاسد فأوسعه لثماً وتقبيلاً بحرارة وثقة لشدة تأثره بشخصيته وأعجابه بتأليفه فبادله المرحوم الاسد عبارات الترحيب والتشجيع ثم اثنى عليه وتوقع له المستقبل الزاهر لما قرأ على صفحات وجهه من جد وشغف وطموح.

ومنذ ذلك التاريخ واكبت مسيرة الصفار عن كثب، وتلقفت اخباره عن بعد وقرب، فكان الرجل موضع الثقة والتبجيل على ألسنة عارفيه ومريديه فما ذكر اسمه في محفل الاوكان مقروناً بالثناء والتقدير. واني لم استمع إلى مجالسه ومحاضراته كثيراً ولكن سمعت عنه كثيراً، وتتمثل الآن أمامي محاضرة واحدة ارتجلها في حسينية السبطين براوية الشام عند مرقد بطلة كربلاء السيدة زينب عليها السلام فادهش العقول واخذ بمجامع القلوب وسلب الالباب وهز

الجمهور بصدق قوله ودقة عرضة وحرارة أسلوبه فكان الخطيب المفوّه الذي يقتنص المعاني بخبرة ولوذعية، ويتحرى مواضع العظة والعبرة بذكاء ومسؤولية واذا كانت كذلك فلنتعرف على فصول حياته وبطاقته التقليدية فيما يلي:

هويته ومولده:

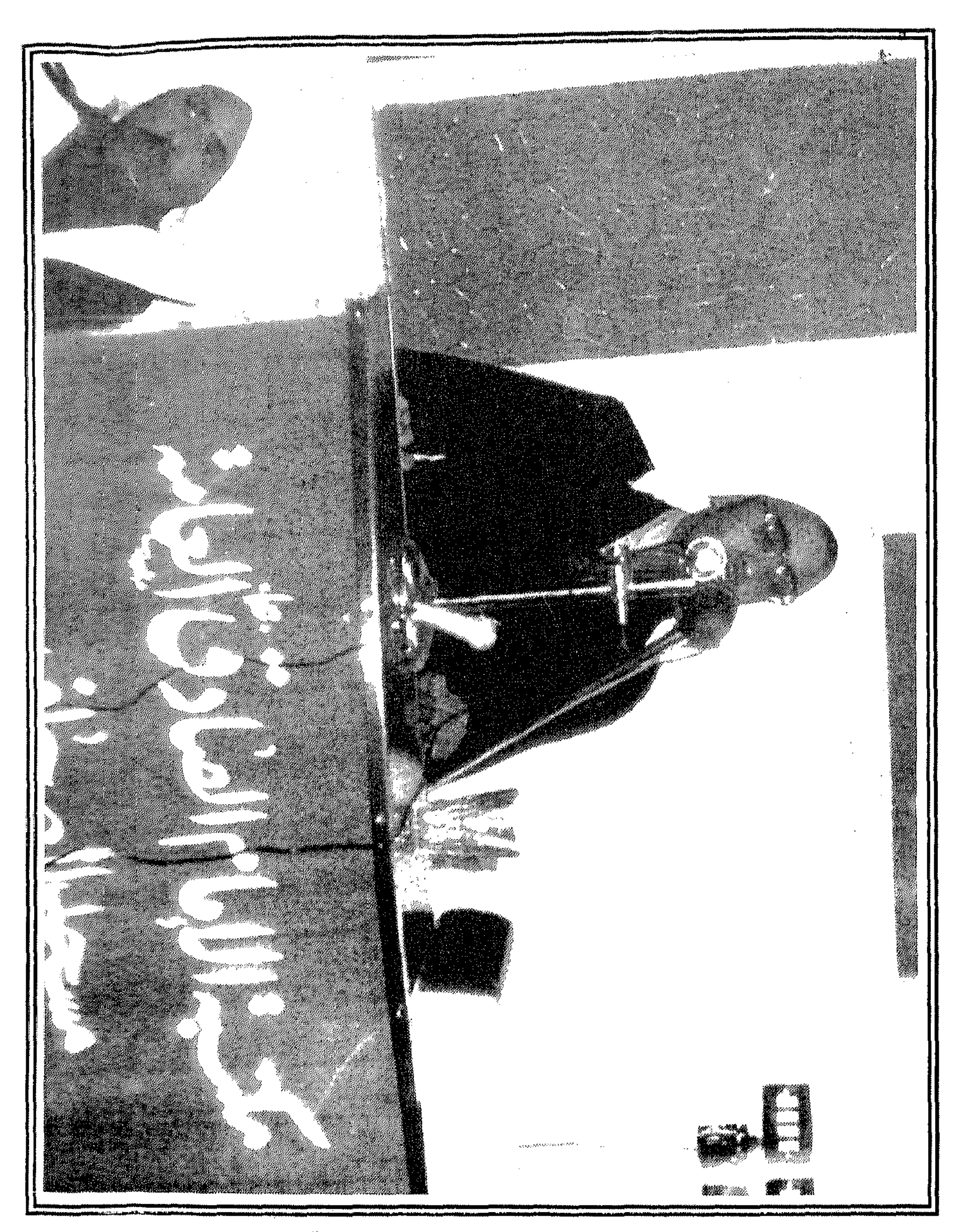
هو الشيخ حسن بن الحاج موسى بن الشيخ رضي بن الحاج علي بن محمد بن حسن بن فردان الصفّار التاروتي الهمداني من همدان أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام[1] .

ولد في قبل منتصف الليل بعشرين دقيقة في الثاني والعشرين من شهر ربيع الآخر عام ١٣٧٦ هـ.

ونشأ في رعاية أبيه الحاج موسى وهو من الأبرار الأخيار فأغدق عليه تربية وخلقاً أصيلاً موروثاً في أسرته وشخصياتها المعروفة بالعلم والشرف والتقوى.

---

(١) الأزهار الأرجية للعلامة الشيخ فرج العمران ج ٦ ص ٢٣.



الشيخ الصفار خطيبنا في احدى احتفالات مكتبة الصادق(ع) بالكويت.

أسرته:

من الاسر التي نبغ فيها رجـال نـالوا الحـظ الاوفـر في خدمـة الشريعة المقدسة، والقسـط الأكـبر مـن العلـم والمعرفـة ومـن هـذه الشخصيات الشيخ رضي الصفّار الجد الأول لخطيبنا المترجم الـذي عاش مائة وعشر سنوات قضاها في خدمة علوم أهل البيت عليهـم السلام وارشاد شيعتهم إلى الحق والصواب فقد ولد عام ١٢٩٥هـ وتوفي سنة ١٣٣٤هـ وهاجر إلى النجف الأشـرف عـام ١٣١٧هـ وتلقى تحصيله العلمي على أكـابر الفقهـاء وأعـاظم العلمـاء فبعـد اجتياز المراحل الأولى من الدراسـة حضـر الأبحـاث الخارجيـة علـى مراجع الفتيا والتقليد العليا كالأخوند الخراساني صاحب الكفايـة، والسيد كاظم اليزدي صـاحب العـروة، وشـيخ الشـريعة، والشـيخ أحمد كاشف الغطاء، والشيخ مـلا هـادي الطهرانـي. ثـم عـاد إلى وطنه ليتولى المهام الدينية بجـدارة وتفـوّق حـاملاً أعلـى الشـهادات والاجازات من مراجع الطائفة، واوثق الوكالات من قبـل الزعامـة الدينية العليا كوكالته عن السيد اليزدي ووكالتـه عـن آل كاشـف الغطاء، ومكـث في موطنـه يـؤدي رسـالته ويقـوم بواجباتـه إلى أن اختاره الله إلى دار كرامته راضياً رضياً مرضياً.

ومن هذه الشخصيات الشقيق الأصغـر للشـيخ الرضـي وهـو الشيخ حسن بن الحاج علي آل فـردان الصفّـار التاروتي الهمدانـي وهو عالم فاضل وخطيب ماهر، هاجر إلى النجف الأشرف لطلـب

العلم مع اخيه الرضي عام ١٣١٧هـ وانتهل من ذلك النمير واغترف من معين آل محمد عليهم السلام مانال به مرتبة عالية ومكانة متقدمة وتتلمذ على الأساطين من اساتذة الحوزة حتى نال ثقتهم واعتزازهم وزودوه بوثائق الاجازات العلمية والوكالات الدينية كوكالته عن السيد كاظم اليزدي وشيخ الشريعة الاصفهاني، وإلى جانب ذلك كان يمارس خدمة المنبر الحسيني خطيباً ألمعياً بارعاً فقد كان يرتاد موطنه للخطابه الحسينية فيها حتى أيام دراسته ثم يعود بعد انتهاء موسم الخطابة لاستكمال دروسه ومتابعة بحوثه حتى إذا عاد بعد رحلة النفر العلمي فقيهاً وخطيباً استقر في بلاده موجهاً ومرشداً وداعياً مجدداً ومابرح كذلك حتى وفاه الاجل في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول عام ١٣٢٥هـ.

ومن الظواهر التي لمحتها في تاريخ شخصيات هذه الأسرة ظاهرة شبه متسلسلة ان الشيخ بن الحاج والحاج ابن الشيخ، ولايخفى ان بين هاتين الصفتين عموم وخصوص من وجه فكل شيخ حاج عادة وليس كل حاجٍ شيخاً حسب العرف المتداول والاستعمال المعروف لمصطلح الشيخ على رجل العلم وعالم الدين، ويبدو أن بعض ابناء أهل العلم مع صلاحهم وتقواهم لايسلكون طريق آبائهم في طلب العلم حتى يأتي دور الحفيد فربما مضى على طريق اجداده وهكذا كان شيخنا المترجم بن الحاج موسى بن

الشيخ رضي الصفّار فهو من أعلام الأسرة المعاصرين ومن رجال الفضيلة والدين ومن خدّام سيد الشهداء الحسين عليه السلام.

زيه الديني:

آراؤكم لا السيوف البيض قام بها ... لله في الأرض تكبير وتهليل

أرست منار الهدى في كل مملكة ... هذه العمائم لا تلك الاكاليل

اعتادت المجتمعات العالمية على اتخاذ أزياء متعددة للهيئات والاصناف وسائر الطبقات والفئات الاجتماعية، وغالباً مايوحي المظهر الخارجي للزي بانتماء الشخص المهني والاجتماعي بل العرقي أو الاقليمي فالمجتمع العربي في دول الخليج يختلف في لباسه ويتميز عنهم في دول المغرب العربي مثلاً، وتاريخياً لباس أهل العراق يختلف عن لباس أهل الشام، وألبسة بلاد الهند تغاير ألبسة بلاد فارس واللباس الأوربي يختلف عن الافريقي مثلاً وهكذا نرى الزي العسكري والزي الجامعي والزي الوطني والزي الخدماتي وغيرها من الازياء المتعددة فقد (تعددت الازياء والجسم واحد) وعادة ماتحدد هوية الانسان وتصنف شخصيته من خلال لباسه ومظهره الخارجي.

ومن تلك الازياء المتميزة في البنية الاجتماعية الزي الروحاني او اللباس الديني، وكذلك يميز رجل الدين المسيحي من الحاخام

اليهودي والسنّي من الشيعي. ولا ريب انه زي مقدس ولباس خطير ينبغي الحفاظ على حرمته وتوقير قدسيته،وتجنب مايشينه ويسيء إلى سمعته، فليست الاساءة في هذا المورد شخصية أو فردية بقدر ماتكون نوعية مضاعفة لان هذا اللباس يعطي صبغة القدوة ويوحي بالاستقامة والتقوى.

ولكل لباس آدابه وشرفه ومسؤولياته، فليس من حق أي انسان ان يرتدي البدلة العسكرية ويحسب على هذا الصنف وهو ليس عسكرياً فهناك القوانين والانظمة التي تلاحقه وتحقق معه وتكشف نواياه وتضبط أهدافه ومقاصده من وراء هذا الانتحال والتقمص فلا يمكن أبداً ان يلبس أحد زياً لرجال الشرطة إذا لم يكن شرطياً حقيقياً.

وبناءاً على هذا لايسعنا التهرب من الاعتراف بأن الابواب مشرّعة لانتحال الصفة الدينية والتلبس بلباس أهل العلم والدين بلا ضوابط ولامقاييس ولاأنظمة ولاقوانين، فبامكان أي انسان ان يعتمر عمة ويرتدي جبة ويظهر بمظهر العالم الديني ويقضي ماشاء من مآرب وأهداف.

ومن ناحية أخرى ليس اللباس الديني دليل على العلم والعبقرية بل ولا دليل على التدين الحقيقي والخلق والاستقامة فالمرء مخبؤ تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه كما يقول امير المؤمنين عليه السلام وهناك من يفاخر بحجم عمامته واناقة هندامه.

لاتفخرن بعمـة كـثرت مخارجهـا كبـيرة سكنت بها كوم العجاج فصيرتها كالحصيرة

قد يدرك الشرف الفتى يوماً وعمته صغيرة

ومن اخطر المخاطر وافدح الخسـائر الدينيـة والاجتماعيـة إذا مـااضطربت عقيـدة هـذا الصنـف أو انحرف سـلوكهم أو سـاءت اخلاقهم وقديما قال المصلح المعروف الشيخ محمد عبده:

ولسـت ابـالي ان يقـال محمـد أبـل أم اكتضـت عليـه المـآتم

ولكـن دينـاً قـد أردت صلاحـه أحـاذر أن تقضـي عليـه العمـائم

وكم حدثت من صدمات مخيفة وردود فعـل عنيفـة مـن قبـل بعض المتطرفين لانه احتاز بتجربة او اصطدم ببعض هـؤلاء أو رأى فعلاً مشيناً متعمداً أو مخالفة شرعية صريحة فاخذ من هذا الفـرد أو هذه المجموعـة تعميمـاً لكـل الصنـف والنـوع ولا أدري ان كـانت أبيات شاعر الشعب السيد محمد صالح بحر العلوم تنطبق علـى هـذا المعنى حيث يقول:

ليتني اسطيع بث الوعي في هذي الجماجم واصون البشر للخلوع من شوا البهـائم

واصون الدين عما ينطوي تحت العمائم

فربما اصطدم ببعضها فرسـم هـذه الصـورة المتطرفـة وسـجل هذه القطعة المتشائمة، فلا يوجد من يدعي بأن هذا المجتمـع مجتمـع ملائكي أو أن هذه الفئـة تمتلـك حصانـة أو عصمـة مـن الخطـأ أو

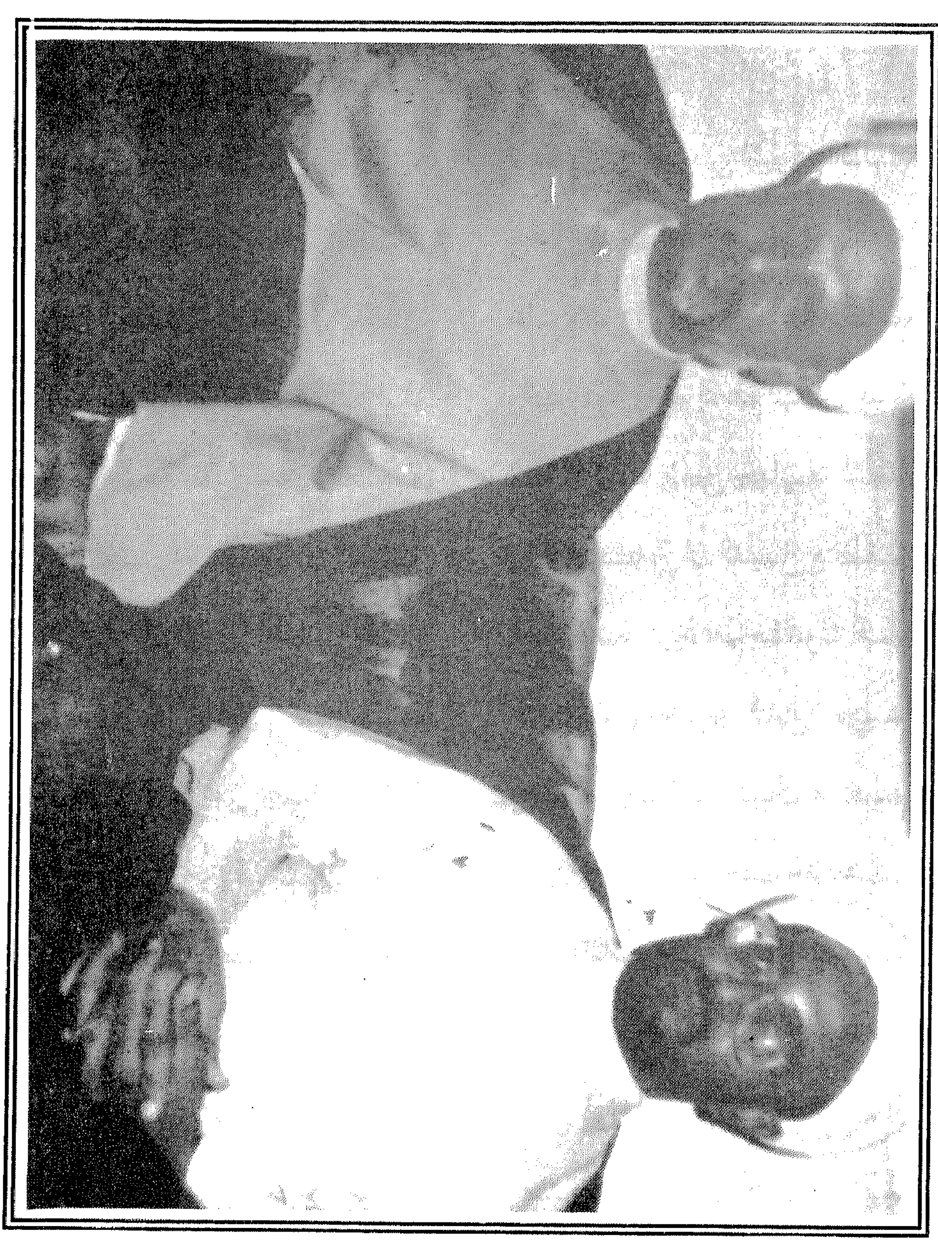
المفارقات، وانما تبقى القوانين البشرية هي السائدة والمتحكمة في هؤلاء المخلوقين من دم ولحم واعصاب وعواطف ومشاعر ورضا وغضب واهواء وتأثر وتأثير ومنافع ومصالح وغيرها ممايتأثر به الانسان عادة.

فليس للباس والزي والمظهر الخارجي أي دخل في صيانة الانسان من الانحراف او الخطأ، نعم ينبغي بل يجب على من يندرج تحت هذا العنوان المقدس ويحتسب على هذا الصنف المتدين ان يراعي حرمة الصنف ويصون كرامة اللباس ويلتزم بشرفه وقداسته.

وبعد هذا فلا ادري لماذا اسلس القلم القياد حتى تقحم في هذا المضمار وخاض هذا الخضم الخطير بنزف واسهاب وإطالة واطناب متخذا من حقل الزي الديني لخطيبنا المترجم ذريعة لهذه النفثات ووسيلة لهذه الملاحظات فنعود إلى القول ان خطيبنا اعتمر العمّة ولبس تاج الفخر بذكرى المولد النبوي الشريف ومولد الحفيد الصادق عليه السلام في السابع عشر من شهر ربيع الأول على يد العلامة الشيخ فرج العمران في منزل ولده الشيخ حسين في محفل عامر شارك فيه الأدباء والشعراء والخطباء بالتهنئة والتبريك وكان من بينهم الشيخ ابراهيم بن الحاج عبد الله الغراش مهنئا بقصيدة معبرة بهذه المناسبة تحت عنوان:



الشيخ المترجم في مجلس الميرزا الاحقاقي ويبدو الشيخ حسين الفيلي.



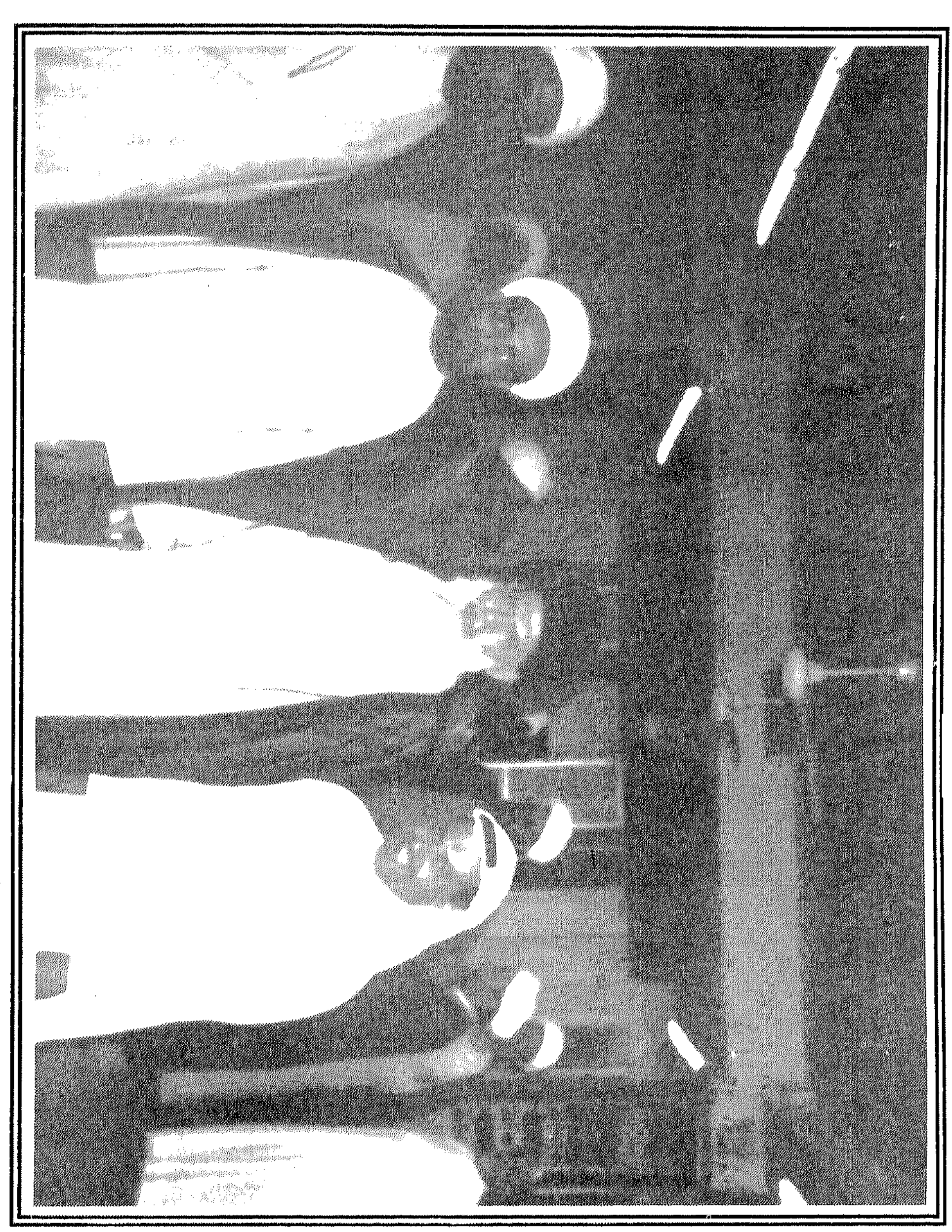
الشيخ المترجم مع الشيخ المهاجر.

تاج العلم وسمة المتعلم

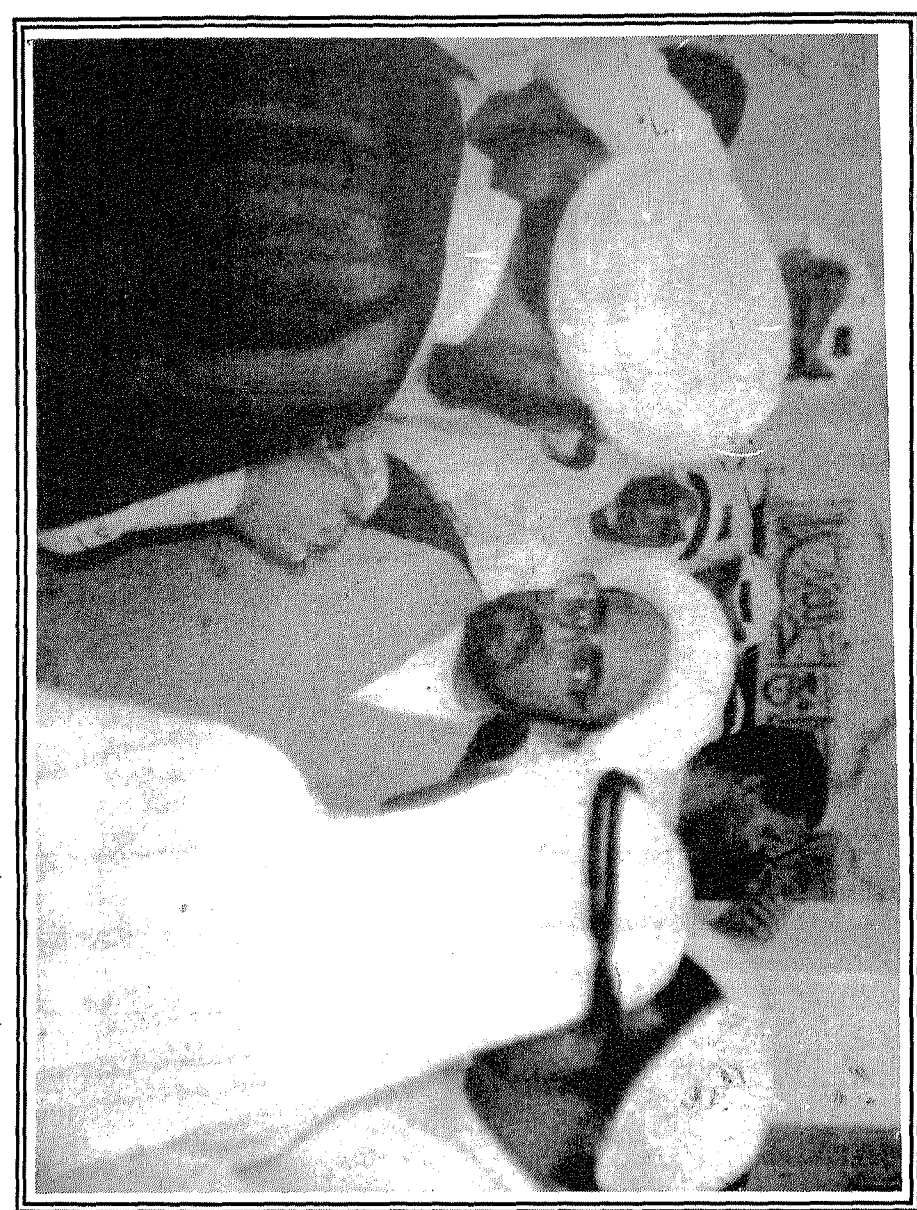
العلـم نـور بـه الالبـاب تعتصـم ... حقـاً وينجـاب عـن اشـراقه الظلـم
فكـن لـه سـاعياً بـالجد مجتهـداً ... وخـل عنـك اناسـاً منـه قـد سئموا
فالنـاس قسـمان ان تسـأل أجبـك ... علـم ومـن في بحـار الجهـل مرتطـم
فحـارب الجهـل تظفـر بـالمنى ابـدا ... وانصر ذوي علـم إذ هـم للهدى علـم
فكـم انـاروا عقـولاً وهـي مظلمـة ... لمـا ألم بهـا مـن جهلهـا لمـم
وأوضحـوا غامضـات العلـم ... وبـان للنـاس ان الديـن منتظـم
فاخضع لاقوالهم ياذا الحجـى فبهـم ... تحظى بسعدك إذ هـم منقذوك هـم
فكـم يعانون في ذا الأمـر مـن نصب ... كي يوضحوا لحيارى الناس : نهجهـم
فهم أولو الامـر مـن بعـد الهداة لنا ... وهـم لنـا بعـد أهـل البيـت معتصـم
لا غرو لو شمخوا فضلا وفاق عـلا ... علـى دم الشـهدا حقـاً مدادهـم
وهـم أمـان لمـن أضحـى لهـم تبعـا ... يـوم القيامـة فليخسـأ عدوهـم
هذا ابو حسن عين القطيـف ومـن ... أضحت به الخـط بالايمان تعتصم
أعني بـذا فـرج العمـران مـن ثبتـت ... علـى ذرا المجـد والعليـا لـه قـدم
فكـم هدى حائراً من ظلمـة لهـدى ... واستنقذ النـاس مـن أهـواء جهلهـم
واطلق الفكر من قيد الهـوى فـاتت ... شبيبة الخـط نحـو العلـم تزدحـم

جائت إلى النجف الاسمى مهاجرة | للعلم تسمو بها نحو العلا الهمم
مثل ابن موسى ومن ينميه مرتقيا | إلى العلا جده العلامة العلم
اعني الرضي رضي الدين والخلق | الكريم نسل كرام طبعها الكرم
ذاك ابن موسى الذي سماه بالحسن | العلا والفضل والتوفيق والشمم
اتى ليبني كما كانت اوائله | تبني ويرسم هديا مثلما رسموا
لذاك تاقت إلى لبس العمامة منه | النفس وهي بتاج العلم تتسم
وقد أتى مستشيرا شيخنا فرج | العمران إذ رأيه حزم ومعتصم
فقال ياحبذا تاجا فجاء بها | مثل الهلال نهنيء من بها غنموا
هنيء ذوي العلم بالتيجان تلبسها | بل هنيء التاج اذ يعلو رؤسهم
هم هدى للورى ان غمة دهمت | وهم عماد لهم ان زلت القدم
لاتسأم العلم ان شئت النجاة فما | تاج سوى من هم للعلم قد علموا
واستهل الصعب بالصبر الجميل فلا | يصاحب النصر إلا الصابر الشهم
واختر لنفسك خلا ليس ذا حسد | فحاسد الناس لاتزكوا له شيم
وجاهد النفس أن تدنوا لموبقة | فان دنت ندمت مثل الاولى ندموا
وكن صبورا إذا وافتك معضلة | فكل ذي مسكة بالله يعتصم

ثم اعقبه الخطيب الشيخ جمعة الحاوي بقصيدة افتتحها بذكرى المولد الميمون لرسول الله صلى الله وآله وسلم وعنوانها:



الأستاذ الصفار مع السيد فضل الله.



الشيخ الصفار وسط جمهرة من المؤمنين.

الفرحة الكبرى

ولـــد المربـــي للبريـــة أحمـــد فغـدت لـه الدنيـا ضيـا تتوقـد
قـد جـاء يحمـل للانـام نجـاتهم أنعـم بـه فهـو العظيـم المرشـد
وا لله بـــالظفر الكبـــير معينـــه ولـه النجـاح على العـداة يقيـد
اليـوم قلـبي فيـه حلـت فرحـة كبرى واخرى في الفـؤاد تؤكـد
فالفرحـة الكـبرى بمولـد منقـذ أعـني بـه المبعـوث وهـو محمـد
ولنـا الكرامـة إذ نشـيد بذكـره ولأجلـه نلقـي الثنـا ونـردد
أن القـوافي قـد قصـرن و لم تكـن وفّتـه حـق المـدح وهـو الأمجـد
والفرحة الاخـرى بشـهم طيـب حسـن بـه أمـل النجـاح موطـد
لبـس العمامـة وهـي خـير امانـة للدين عنـد المـرء إذ هـي تشـهد
تـرك البـلاد وجـاء يطلـب للعـلا بـالعلم حيـث بـذاك لايـتردد
والعلـم ان كـان الرشـاد طريقـه اكـرم بـه فهـو الطريـق الارشـد
امـا اذا كـان الدمـار طريقـه اسـوء بـه والى الجحيـم يخلـد
سريا ابن موسى للعلوم مشـمرا ان الطريـق الى العلـوم ممهـد
واحفـظ امـانتك العمامـة وادعهـا واتـرك اناسـا هـم لقـدرك حسـد
واليـك ياعلامـة (الخـط) الـذي قد صـارت الدنيـا بفضلـك تشـهد

اعـني بـه فـرج القطيـف فانـه ... علامـة وعلومـه لاتجحـد

وعليك من لطف الاله حراسة ... لاتستطيع بـان تقابلها يـد

صلى الالـه على النبي وآلـه ... في كـل وقت ذكرهـم يـتردد

وأعيـد قـولي بالثنـاء مكـررا ... ولـد المربـيّ للبريـة أحمـد

دراسته:

افتتح مسيرته التعليمية الأولى في طفولته المبكرة بتعلم القرآن الكريم بمدارس أهلية في بلاده، ثم التحق بالمدارس الرسمية وقطع المرحلة الأبتدائية والمتوسطة، وانعطف نحو مبادىء الدراسات الدينية ومقدماتها عند مشائخ بلاده ثم هاجر إلى حوزة النجف الأشرف عام ١٣٩١هجـ وتلقى دروسه الحوزوية متتلمذاً على أفاضل الأساتذة وعلى أثر الضغوط السياسية وملاحقة علماء الدين في العراق انتقل إلى حوزة قم المشـرّفة وواصل نشاطه الدراسي عبر حلقاتها العلمية، وكذلك تلقى بعض الدراسات الإسلامية في الكويت على أفاضل علمائها.

ويبدو لي أن توغل الأستاذ المترجم في الدراسات الفكرية والثقافية والأجتماعية والسياسية استأثر بالقسط الأوفر من اهتماماته فهو ذو ثقافة واسعة وشخصية اجتماعية وسياسية

متمرسة وبروز هذا الجانب في سيرته أكثر من بروز دراسات الفقه والأصول وما إليها مما يدرسه الطالب الحوزوي عادة.

ولذا نراه يمتلك رصيداً فكرياً وثقافياً وحساً سياسياً رائعاً ويتضح ذلك جلياً لمن استمع إلى محاضراته وواكب مسيرته وقرأ مؤلفاته.

مؤلفاته:

صدرت له مجموعة من الكتب والأبحاث طبع بعضها عدة طبعات وترجم بعضها إلى مختلف اللغات ومن مؤلفاته المطبوعة:

١ـ ولكل أمة رسول / ترجم إلى اللغة السواحلية.

٢ـ الصوم مدرسة الأيمان.

٣ـ الرسول طريق إلى القمة.

٤ـ الحسين ومسئولية الثورة / ترجم إلى اللغة الفرنسية.

٥ـ رؤى الحياة في نهج البلاغة / ترجم إلى اللغة الفارسية.

٦ـ الحسين رائد التضحية و الفداء.

٧ـ ائمة أهل البيت رسالة و جهاد.

٨ ـ الأمام المهدي أمل الشعوب / ترجم إلى الفارسية.

٩ـ رمضان برنامج رسالي.

١٠ـ المرأة مسئولية وموقف / ترجم إلى الإنكليزية.

١١ـ مسئولية المرأة.

١٢ـ المرأة والثورة.

١٣ـ مسئولية الشباب / ترجم إلى السواحلية والاردو.

١٤ـ اعلنا الولاء بالدم.

١٥ـ السجن أحب إلي.

١٦ـ حياة الأئمة والتاريخ المزيف.

١٧ـ كيف نقاوم الاعلام المضاد / ترجم للفارسية.

١٨ـ كيف نقهر الخوف / ترجم للفارسية والفرنسية.

١٩ـ كيف نقاوم الطغاة.

٢٠ـ خطر السقوط.

٢١ـ رمضان وقضايا الثوره.

٢٢ـ الجماهير والثورة.

٢٣ـ الثورة والارهاب.

٢٤ـ فلنحطم الاغلال.

٢٥ـ النفس منطقة الخطر/ ترجم للانكليزية.

٢٦ـ النضال على جبهة الثقافة والفكر.

٢٧ـ التغيير الثقافي أولاً.

٢٨ـ قراءة في فكر الامام الخميني/ ترجم للفرنسية.

٢٩ـ رمضان دعوة لضيافة الله.

٣٠ـ لكي لا نحتقر انفسنا.

٣١ـ القلب حرم الله.

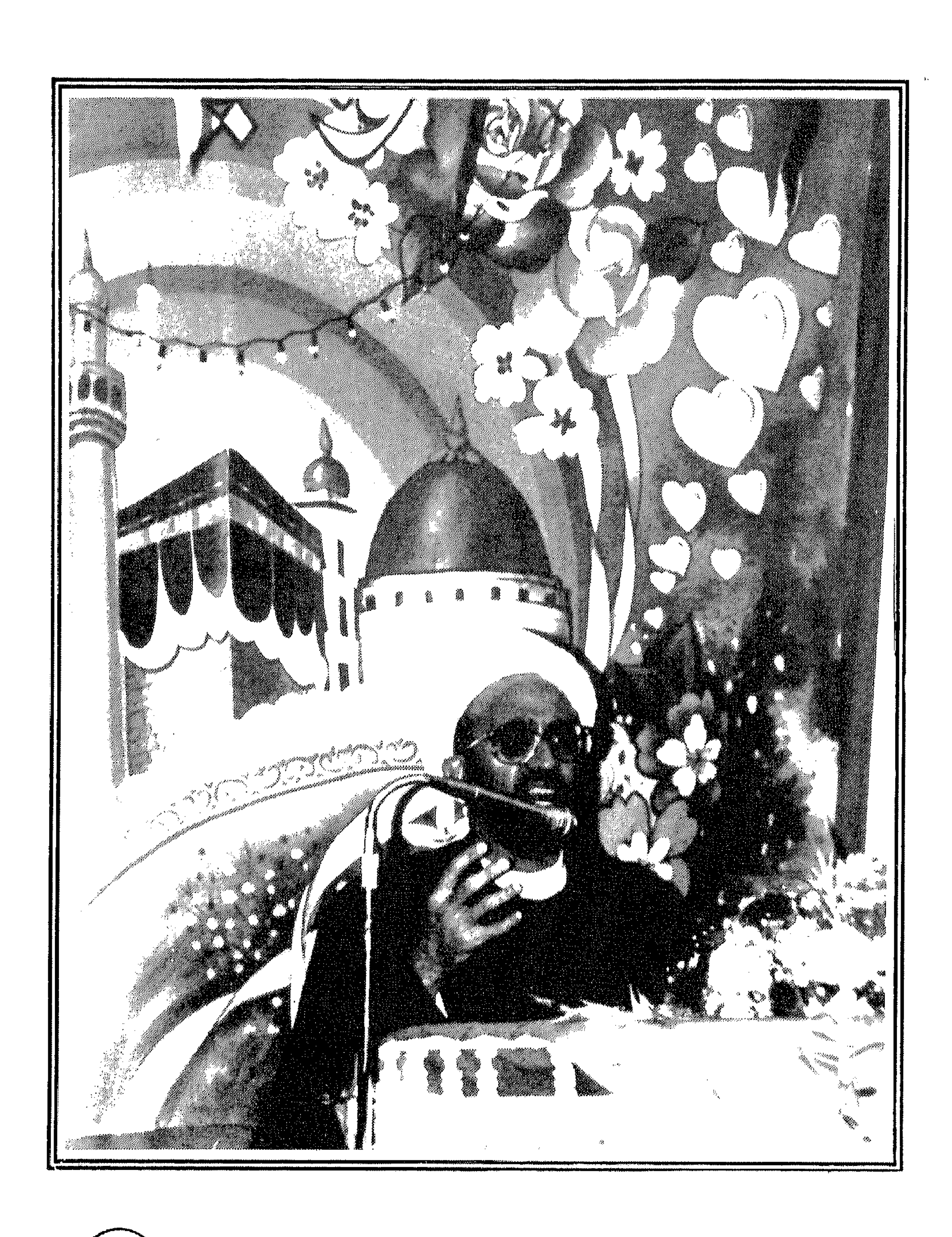
٣٢ـ فئات العمل الرسالي.

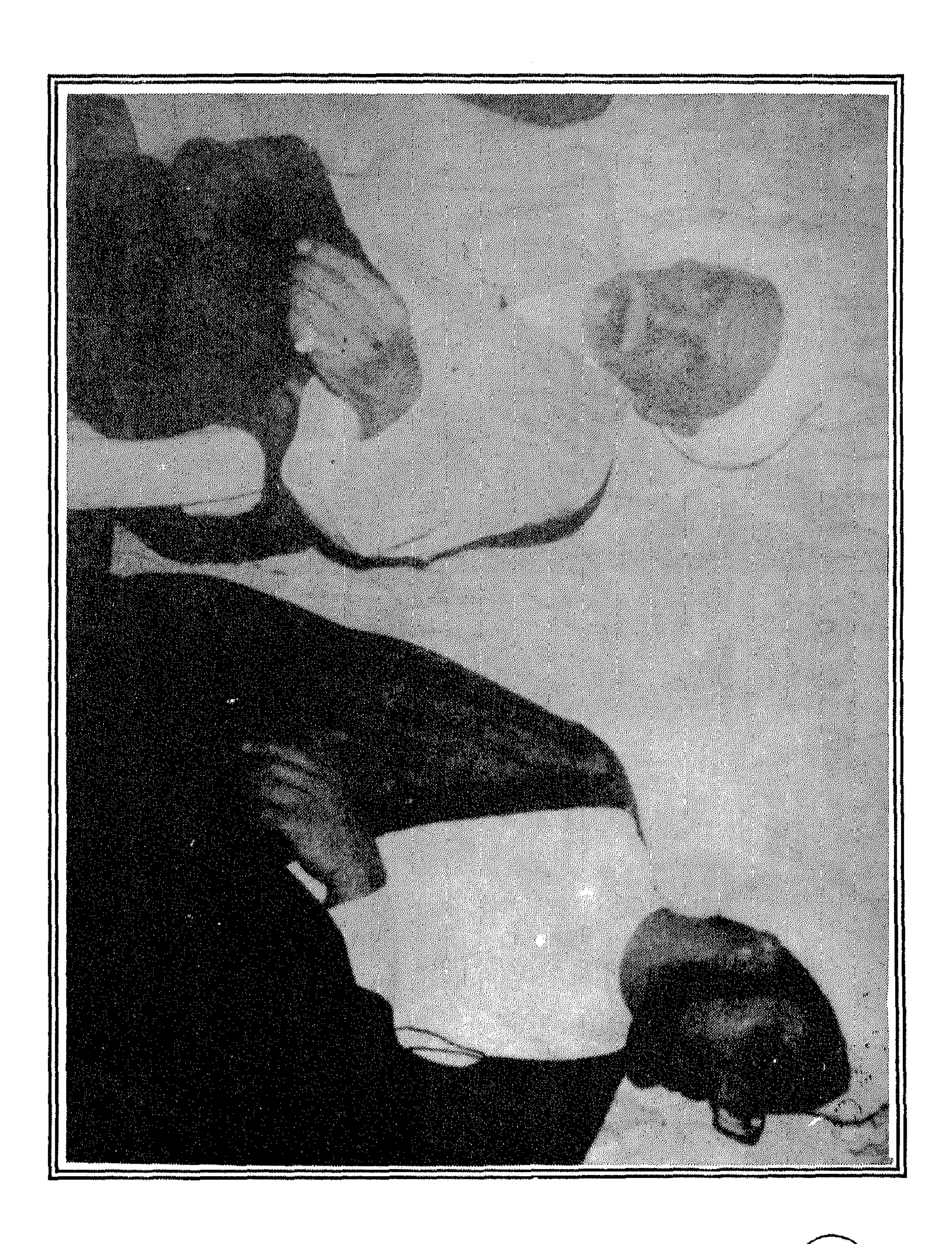
٣٣ـ رسالة المجالس الحسينية.

٣٤ـ الانانية وحب الذات.

شعره:

اشتهر شيخنا المترجم بالخطابة والكتابة والامامة والسياسة و لم يشتهر بقرظ الشعر ونظم القصيد، ولايمنع أن تطغى تلك الشهرة على قريحته الشعرية فتغمرها، بيد أن من تمعن ببعض النماذج وتفحص بعض اللقطات الشعرية هنا وهناك في تقريط كتاب، أو مديح شخصية، (أوتسجيل خاطرة، فضلاً عن شعر أهل البيت عليهم السلام) يجد الموهبة الشعرية والملكة الأدبية واضحة على صياغة كلامة وتنضيد اشعاره وله قصائد وأشعار لم يتوفر لدي منها الآن سوى هذه النماذج البسيطة المنشورة على صفحات مجلة المرشد الغراء:





١ـ قال مادحا سماحة الأمام المصلح العبد الصالح الحاج الميرزا حسن الأحقاقي الحائري دام ظله:

ومنبع علم ليس يجتازه الفكر　　فما للهوى نهي عليه ولا أمر
تولّد من قوم كرام وكلهم　　توالى على نهج لهم الذكر
فموسى أبوه قد علا هامة السرى　　وماست سروراً حيث صار بها الفخر
وذاك أخوه قبله كان فطحلاً　　علي ودون العارفين له الصدر
وذا علم لازال فينا مرفرفاً　　لأ ذكرى من حوى لهم القبر
له خلق كالأولين من الألى　　بهم تمّ للاسلام في بدئه النصر
له بسمة إن يدها تبتشر بها　　ولو يرها بدر السما لاختفى البدر
له هيبة تعلو المحيّا من الذي　　لهيبته نور غداً يرجف الحجر
ونهر رويّ إن أتيت لورده　　اذا شئت شرباً منه يتابك السكر
وأن أنشد الشعر القريض كأنه　　مليك معلّى جاء يخدمه الشعر
ولو جاء قرب البحر ينشد شعره　　لفاض له شوقاً إلى شعره البحر
ولا حرجاً حدث اذا جاء ذاكراً　　مناقب قوم للاله هم السر
عنيت بهم آل النبي محمّد　　وناهيك في تطهيرهم نزل الذكر
فأسألُ ربي أن يطيل لعمره　　ويجعله ذخراً وأنعم به ذخر
بحق أمام المرسلين وآله　　عليهم صلاة الله ما طلع الفجر

٢ـ ولـه في رثـاء المرجـع الديـني الراحـل السـيد محمـود الشاهرودي:

حفـر الحـادث الأليـم بقلـبي خنـدق الحـزن والأسـى والكآبـة
وغشـانا الظـلام حيـث اطلتنـا مـن الحـزن والرزايـا سـحابة
فـاخذت اليراع استعطف الشـ ـعـر اذا باليـراع يـأبى الكتابـة
واذا القافيـات تهـرب مـنـي وهـي من قبـل عودتـني الأجابـة

❁ ❁ ❁

أيهـا الراحـل العظيـم وداعـاً مـن قلـوب اذابهـا الأشـتياق
سيدي جسـمك الشريف حوتـه بافتخـار أرض المعـالي العـراق

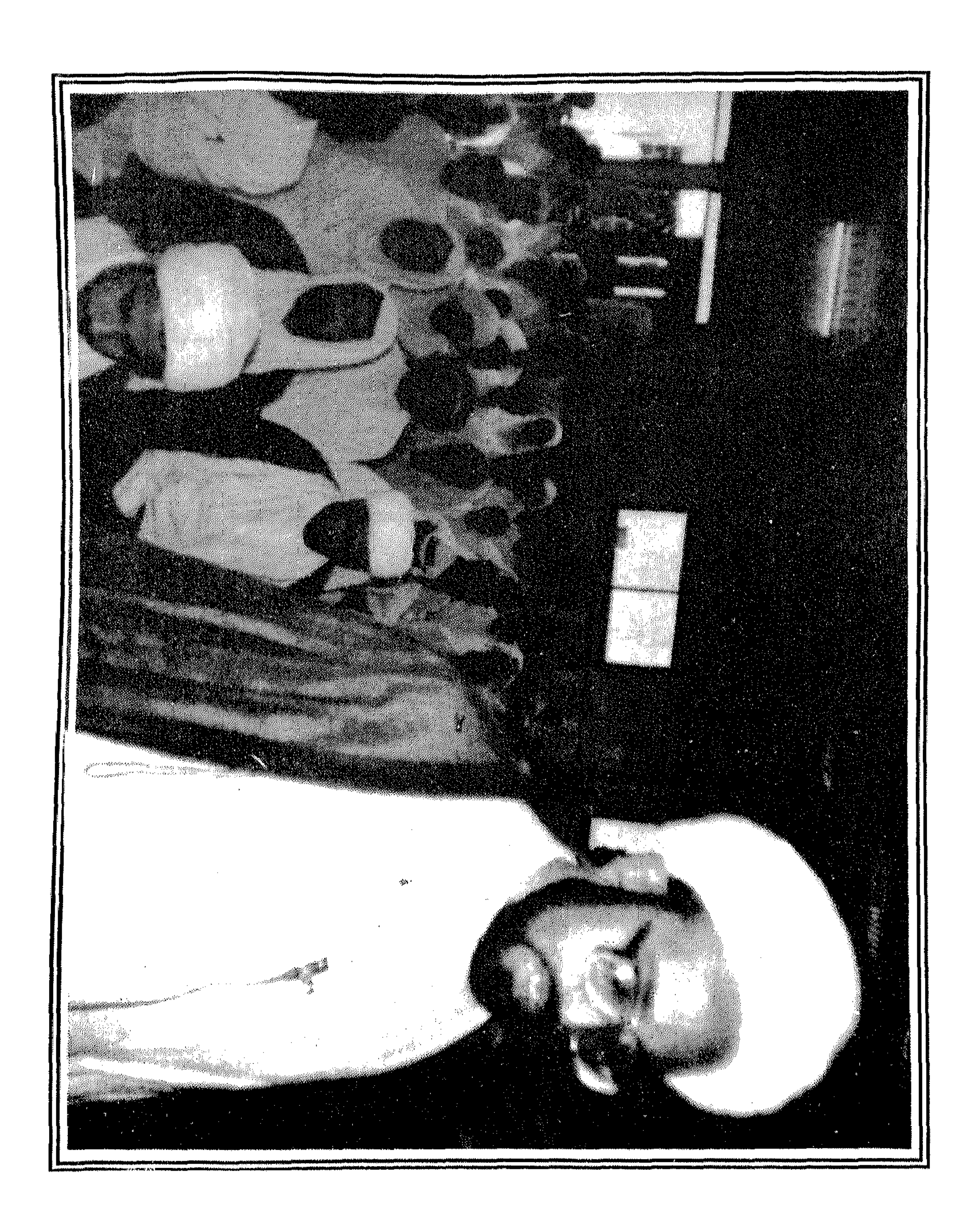
❁ ❁ ❁

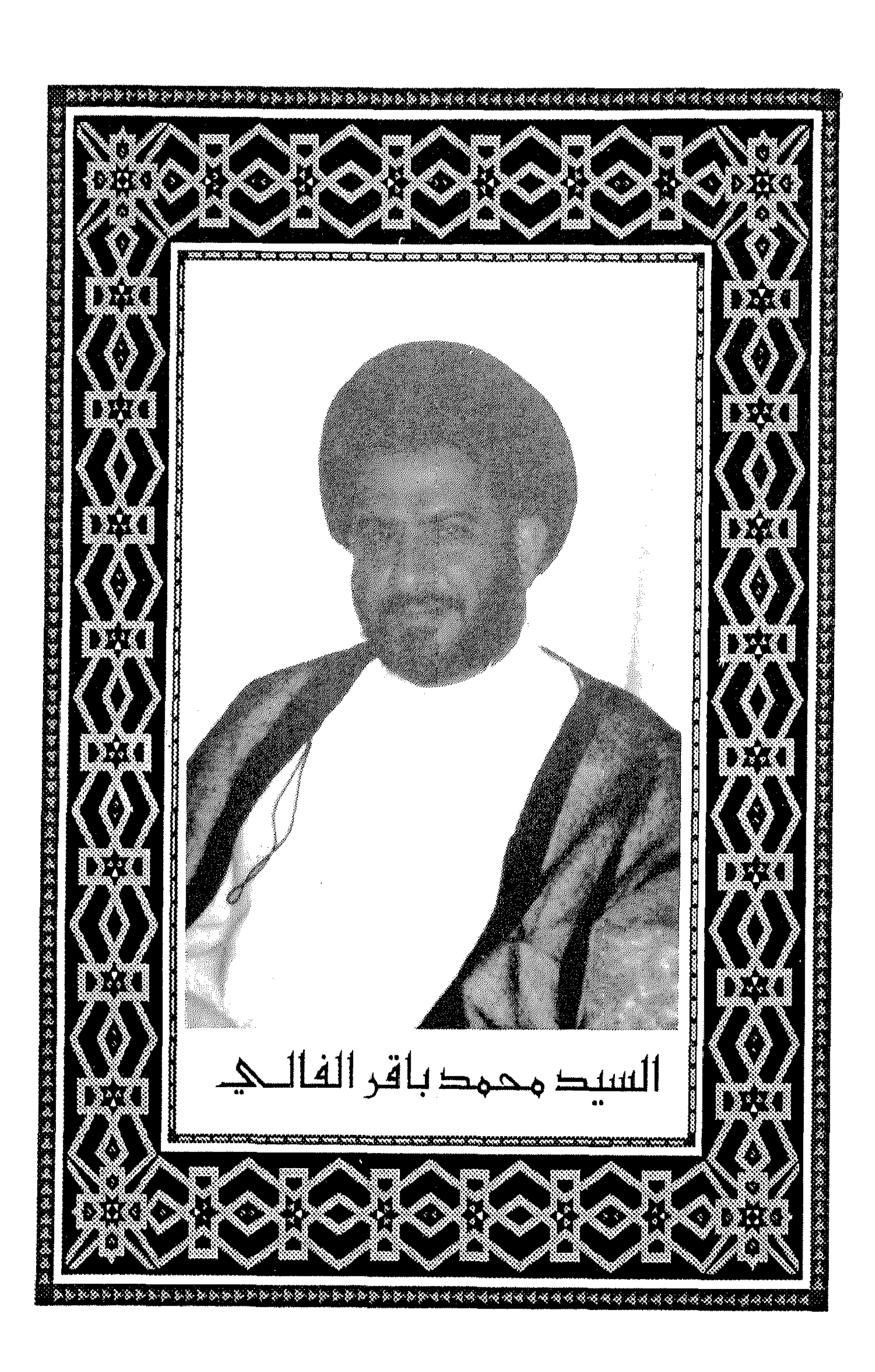
ورأيت له هذه الأبيات مقرظاً بها كتاب لوعة الحزين للشاعر عبد المحسن النصر:

يا حسين الخلود هذي القوافي باكياتٍ ترثيك يا ابن النبيّ
وتنادي بنهضةٍ أحيت الدين ودكت عروش آل أميـيّ
حيث شادوا الضلال من كلّ فجّ وأباحوا لكل فسقٍ وغييّ
فغدا الدين منهم في انكسار ليس الا الحسين شبل عليّ
فتفاداه بالبنين وبالأهل وضحىّ بكل طهر زكيّ
فترى للشباب بسمة ثغر بين سمر القنا وعطف القسيّ
واذا بالحسين يبدو صريعاً بينهم عافراً كبدر مضي

وبذبح الحسين قد شيّد الدين وأُرشي علىً أساسٍ قويّ
ولدينا الأعواد تشهد بالنصر وما حازه سليل الوصيّ
وأتت (لوعة الحزين) تعزّي المصطفىً بآبنه بشعر شجيّ
قافيات يزفّها البلبل الغرّيد في الخُط ذو المحيّا البهيّ
كم بها من عليً المنابر غنّى وكلاهما بصوته الجهوريّ
فاذا ما شدا بها انهلّت العين بدمع من المحبّ سخيّ
وهي ليست بحاجة لثنائي اذْ سمت فوق مدح حلّ صفيّ
لا ولا من يقودها وهو شمس أشرقت في شعاعها الذهبيّ
فهو في الناس مصلح وخطيب عرّفوه بالشاعر العبقريّ
فالتدم أيها الخطيب بخيرٍ وبعيشٍ من الهوان تقيّ
وسلام عليك مني ما غردت الطير فوق غصنٍ نديّ

☆☆☆




السيد محمد باقر الفالي





السيد محمد باقر الفالي

يمثل الخط الحسيني الكربلائي الأصيل وهج الروح الحسينية المتوثبة، وصلابة المعتقد الواثق، وحرارة التفاعل الساخن مع مختلف القنوات المعبّرة عن تعظيم شعائر سيد الشهداء عليه السلام.

هذا هو الطابع العام الذي انطبعت به الشخصية الكربلائية، وتلك هي الصبغة الغالبة التي اصطبغ بها جمهور عريض من عشاق الحسين المتفانين في حبه وولائه بصدق واخلاص حتى تحول الحسين وشعائره ومنابره إلى خفقات في قلوبهم ونبضات في عروقهم وشرايينهم.

ان هذه الشريحة التي تؤجج العواطف وتلهب المشاعر التي تجذر العقيدة وتعمق الولاء وترسخ الايمان بما تمارس من فعاليات متنوعة وأساليب مختلفة في تعظيم الشعائر الحسينية، لتمثل الصرخة المدوّية التي تنتصر لظلامة أهل البيت وتحتج على اعدائهم، وتسجل رفضها واستنكارها لكل اشكال البغي والطغيان الذي استشهد

الحسين حرّاً أبيّاً في طريق رفضه ومحاربته، حتى أصبح رمزاً تاريخياً وضرورة انسانية وقدوة عالمية تنحني أمام عظمتها جباه العظماء وتيجان الملوك.

ولو سلطنا الاضواء الفاحصة على مختلف الكتابات المتعددة في العالم الشيعي لرأينا الجميع يعبرون عن تخليد القضية الحسينية وأقامة شعائرها وعقد محافلها بحرقة ولوعة وحزن عميق عبر الوسائل المتاحة والقنوات التي يتفاعلون معها بيد ان الكيان الكربلائي المتبرعم من أرض البطولات والمنبثق من تلك التربة الممتزجة بالدم الطاهر والمحتضنة لذلك الجسد العابق بعطر الشهادة والمتمرد على التراب والحدود الزمانية والمكانية ليكون ألقاً عالمياً خالداً يضيء العقول ويهز الضمائر على طريق المجد والحرية والكرامة، وصرحاً شامخاً يرفرف عليه لواء العز والاباء والشمم ترفعه أكف مخلصة من أبناء الحسين وكربلاء، وترسم معالمه عبر القنوات الشاملة والممارسات العامة ووسائل التعبير المختلفة التي تلتقي في نقطة مركزية واحدة شعارها حب الحسين المشتعل في الضمائر والقلوب، والمعبّر عنه بالدمع والدم وتسخير كل الطاقات، وتحشيد كل المواهب الابداعية والاعلامية من الكتب والمجلات والنشرات والملصقات والتسجيلات المرئية والمسموعة والمسرحيات الهادفة والبذل والاطعام ووضع شارات الحزن على الرؤوس والصدور بهتاف: (ياحسين) الذي يوحّد الجميع تحت رايته

الحمراء وكفه الخضيب فيتحولون إلى قطعة من المأساة، وكتلة من الحزن والغضب والرفض.

ولعل شخصية سيدنا المترجم الاستاذ الخطيب السيد محمد باقر الفالي في طليعة النماذج المتألقة والطاقات المتفوقه في العطاء والابداع والصدق والاخلاص في طريق الخدمات الحسينية العامة والمنبرية الخاصة.

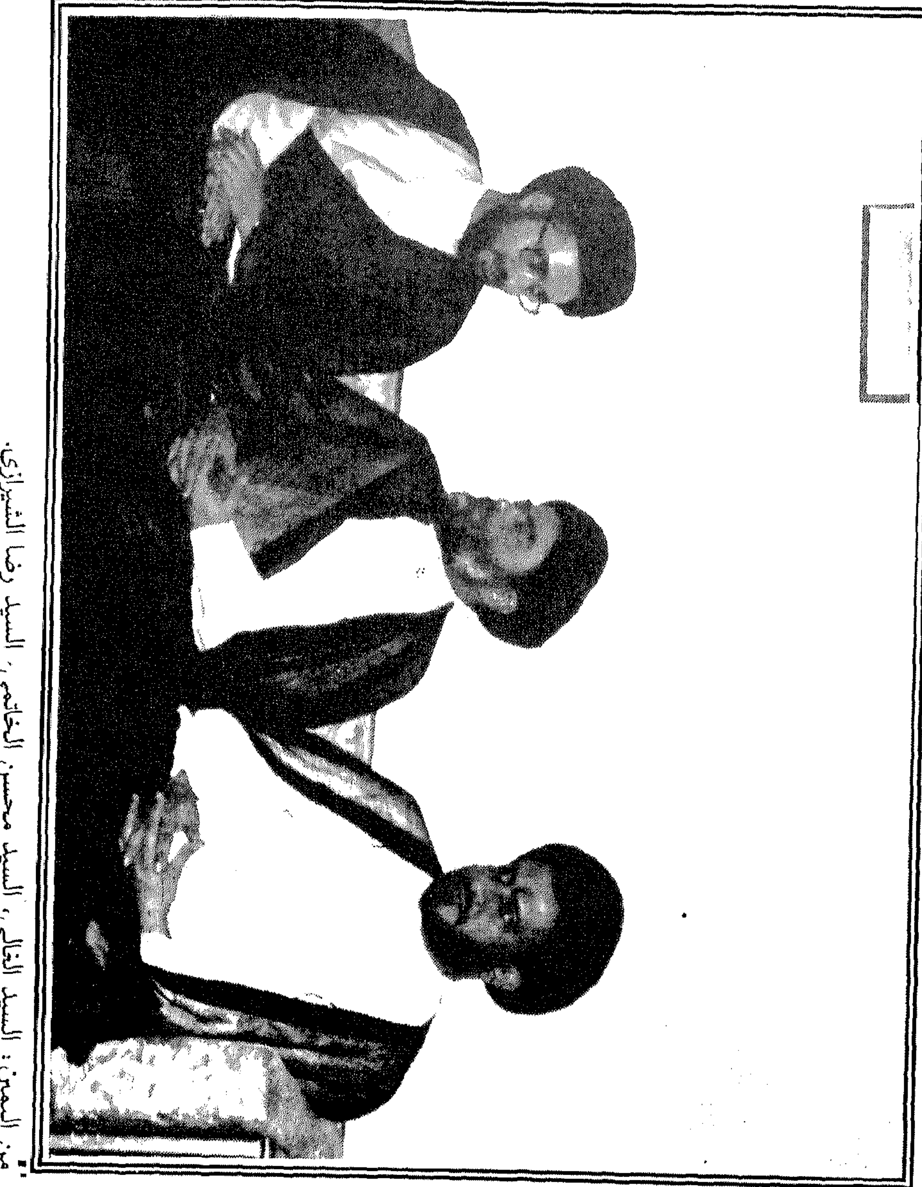
* * *

هبط في الكويت في أواسط الثمانيات فكان له صدى واسع في الأوساط الجماهيرية، وتردد اسمه مقروناً بالأعجاب والرضا، واستقطبت مجالسه جمهوراً كبيراً يحتشد تحت منابره ويتهافت لاستماع خطابته بتفاعل وانشداد واقبال وازدياد.

التقيت السيد المترجم كما التقيت أخاه السيد الراحل المغفور له السيد علي الفالي من قبل، فوجدت هذين السيدين الشريفين ان كان للخلق العالي والشرف الباذخ والمجد الرفيع مصاديق ومقاييس فانهما من المصاديق الحقيقية والمقاييس اللامعة لخصال الخير والمعروف والأصالة والسؤدد.



السيد المترجم مصافحاً الإمام شمس الدين ويبدو النائب الحاج اسماعيل الجزاف مرحباً بالضيوف في حفل اقامه بفندق ميرديان الكويت بمناسبة زيارة الإمام شمس الدين لدولة الكويت.



من اليمين: السيد الغالي، السيد محسن الخاتمي، السيد رضا الشيرازي.

لقد مرت بنا خلال مسيرتنا المنبرية في الكويت ظرفان عصبيان بينهما ما يقرب من عقد من الزمان، كان بطل الظرف الاول المرحوم السيد علي وبطل الظرف الثاني سيدنا المترجم أما الاول فقد تعرضنا فيه لأزمة شديدة من جرّاء افرازات الحرب العراقية الايرانية وتفجير السفارة الأميركية في الكويت وتوتر الاجواء العامة، وانتشار الهلع والذعر في صفوف الناس الامر الذي اضطرنا إلى مغادرة البلاد في ظل الرعب والتوتر المخيف والنجاة بأنفسنا دون الالتفات إلى اصطحاب حتى الضروريات من حاجاتنا، ويعلم ذوو الخبرة والاختصاص ما هي الأهمية البالغة التي تمثلها المجاميع الخطية التي يصحبها الخطيب معه في حّله وترحاله فهي فهرسة افكاره، ومرجع محفوظاته وقاموس معلوماته الضرورية، واذا صح التعبير بأنها الرئة التي يتنفس منها الخطيب، والمنبع الذي يستقي منه والرافد الذي يرفده بمقومات وعناصر الخطابة المنبرية فهي عصارة جهود وخلاصة أتعاب اختصرت ودونت لتكون جاهزة للمراجعة السريعة والامداد الفوري، وكان لديّ يومئذ ما يقرب أو يتراوح ما بين الثمانية أو العشرة مجاميع على شكل دفاتر كبيرة مجلدة، لم أتمكن من حملها معي ـ برغم ضرورتها القصوى ـ لئلا تثير تساؤلاً أو كان ذلك حذراً موهوماً نظراً لشدة الظرف المتأزم، فوزعت مجاميعي الغالية وديعة وأمانة مستردة على شخصيتين من أصدقائنا في الكويت احدهما الحاج

منصور الصفّار، والثاني الحاج جاسم السقّاي، فبادر الأول بعد غيابي وتطور الامور إلى احراق المجاميع المنبرية مع مجموعة من الصور القديمة التذكارية ظناً منه انها تشكل خطراً عليه أو ربما تسبب له مسائلة ومشاكل هو في غنىً عنها وكأنها مخدرات أو متفجرات فخاف واحرقها فأحرق قلبي معها، وكل مادار بخلده اوهام وظنون فليس في تلك الاوراق والدفاتر سوى آيات قرآنية وتفاسيرها، ولمحات تاريخية وتحاليلها، ولقطات أدبية وما شاكلها، فما أسفت على شيء كأسفي على تلك الجهود التي حولها الاحراق إلى رماد والاوهام إلى هباء.

وأما الوديعة الثانية فبادر الاخ السقّاي منسقاً مع السيد الفالي لايصالها لي سالمة إلى حيث التجأت في دمشق فما كان من هذا السيد الجليل الا أن يتحمل مشقّة حملها وعناء ومسؤولية نقلها بكل ثقة وإقدام مع ملاحظة الظرف العصيب والوضع الشخصي للمرحوم الفالي في هيئته وجنسيته بذلك الوقت الذي لايتورط أمثاله بحمل ورقة واحدة خشية المسائلة والتفتيش والفضول، فكان موقفاً مشرفاً لن أنساه، وانسانية كريمة اذكرها مقرونة بالترحم والرضوان على روحه الطاهرة.

وأما الظرف الثاني فهي محنة الغزو وأزمة الاجتياج التي دخلت بها جحافل الجيش البعثي تحمل راية البغي والعدوان على بلد آمن مسالم فوقع تحت احتلالها بين عشية وضحاها وانتشر

الرعب وعمت الفوضى وتحول البلد الضاحك إلى مقبرة موحشة من شدة الخوف والارهاب، وفرض علينا الحصار في داخل الكويت واغلقت منافذ السفر وانقطع حتى الاتصال الهاتفي عن العالم الخارجي، وليس لنا في مثل هذه الشدائد والمحن اللجوء إلى الله بخالص الدعاء والتبتل بعيون تشرق بالدمع، وقلوب تحترق لوعة وحيرة، ونفوس لاتعرف مدى المصير المظلم المجهول وكنا نتسمّر بذهول عند اجهزة الراديو ونتابع اخبار الاذاعات العالمية أولاً بأول ونتطلع ساعة الفرج لحظة بعد أخرى، حتى انقضت عشرون يوماً تسير قاسية وثقيلة، وبطيئة فعلمنا بافتتاح منفذ واحد للخروج والسماح بالسفر عن طريق البصرة ثم الانعطاف على الحدود الايرانية بمركز الشلامجة فهرعت قوافل المحاصرين واصطكت جموعها وازدحمت سياراتها بالمركز المذكور وكأنها جموع الحجيج بمنى وعرفات بيوم الحج الاكبر ومن تلك القوافل قافلتنا التي كانت تضم سماحة الامام الاحقاقي ونجله الميرزا عبد الرسول والشيخ مرتضى الشاهرودي والشيخ عبد الحميد المهاجر والسيد الفالي، وكنت اتولى قيادة السيارة الثانية العائدة لسيدنا المترجم، وتابعنا مسيرتنا المجهدة حتى دخلنا مدينة قم المقدسة بعد العناء والارهاق ووعثاء السفر والمعاناة الشاقة ومرارة الحصار وآلام الحزن والكآبة لما حل بنا من شدّة ومحنة وترويع من قبل ازلام الطاغية الذين عاثوا في البلاد فساداً واشاعوا بين الناس ذعراً وهلعاً وخوفاً.



السيد المترجم سنة ١٣٩١ هجرية في كربلاء.



السيد المترجم يتحدث في أحد الاحتفالات.

ولما وصلنا إلى مدينة قم رأيت السيد المترجم يفتح لنا قلبه قبل بيته فحللنا ضيوفاً عليه ريثما تستكمل اجراءات السفر لمواصلة طريقي إلى دمشق حيث بيتي وعائلتي ولا أريد الخوض في تفاصيل مكارمه واريحية ضيافته فليس ذلك بمستكثر عليه وهو فرع من دوحة المجد والمكارم، وغصن من غصون بني هاشم، الذي يتغنى برفدهم وقراهم للضيوف شعراء العرب وادباؤهم فيقول احدهم:

يا أيها الرجل المحوّل رحله ... هلا مررت بآل عبد مناف
هبلتك أمك لو مررت بحيّهم ... امنوك من جوع ومن إقراف
الخالطون غنيّهم بفقيرهم ... والقائلون هلّم للاضياف
عمرو العلى هشم الثريد لقومه ... ورجال مكة مسنتين عجاف

* * *

ولما انجلت الغمّة وكشفت المحنة وتحررت البلاد والعباد، رجعنا إلى قواعدنا سالمين، وعدنا إلى مجالسنا وخدماتنا غانمين، وقد تغيرت البلاد ومن عليها واضطربت الساحة بتيارات متصارعة وقوى متباينة في ظل الانفراج والانفتاح وأجواء الحرية، وبرزت بعض الوجوه والخطوط التي كانت مغمورة من قبل فامتطت الموجه، وركبت التيار، وأصبح لها كيان متمدد على حساب الآخرين، وكان السيد المترجم احد شواخص المنبر الحسيني في

الكويت في مجلسه الجماهيري الحاشد في حسينية السيد محمد وسواها من الحسينيات الاخرى حيث تزحف الحشود لحضور مجلسه وتتدفق الجموع لاستماع قراءته وهو يتألق خطيباً، ويصدح ناعياً، ويتوغل بمختلف الفنون المنبرية بكفاءة واقتدار.

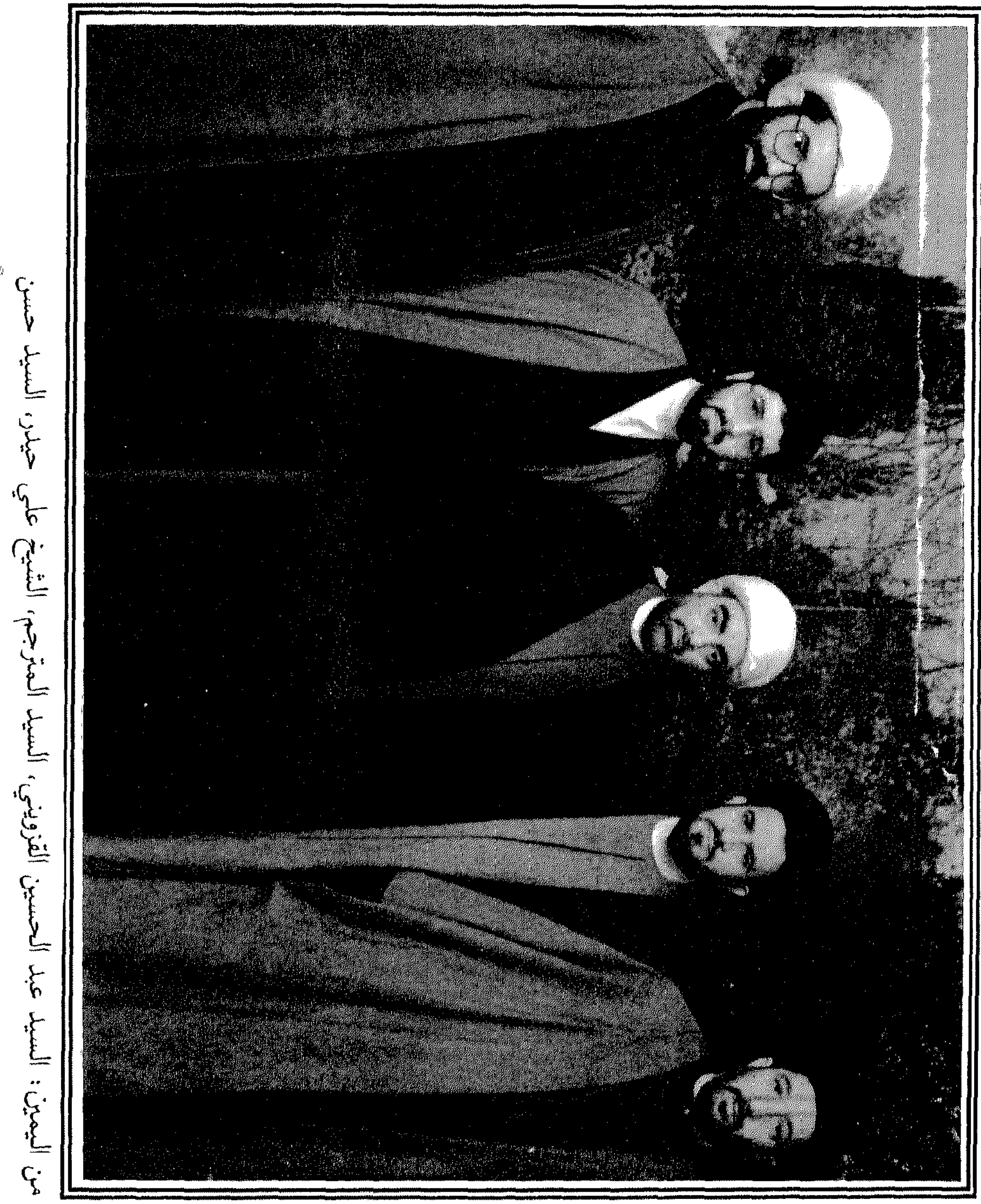
وتجددت عهودنا، وتتابعت لقاأتنا في ظلال خدمة سيّد الشهداء عليه السلام، واستمعت بعض مجالسه، وليس بوسعي ان ارسم صورة متكاملة عنها وقاية عن الفضول ولئلا تتسرب اوهام الزلفى والملق، ولكني اسجل اشارة هامة إلى عنصر أساس وطابع عام وهو شدة الاعتقاد بما يطرح وحرارة الاخلاص بما يقول، ولذا تجد تأثيراً بالغاً وتفاعلاً قوياً في نفوس جمهوره ومستمعيه.

* * *

وبعد هذه الانطباعات والمذكرات اللامعة في لوحة الذاكرة انعطف بترجمته نحو الجوانب التقليدية في سيرته وتاريخ حياته:



من اليمن: الحاج جليل الكربلائي، السيد المترجم، الشيخ ابراهيم الباكستاني، السيد رضا الشيرازي، الشيخ مرتضى الشاهرودي، السيد عبد الحسين القزويني، السيد محسن الخاتمي، الشيخ علي حيدر.



من اليمين: السيد عبد الحسين القزويني، السيد المترجم، الشيخ علي حيدر، السيد حسن القزويني، الشيخ جمال الوكيل.

ولادته ونشأته:

ولد خطيبنا المترجم حسينياً زماناً ومكاناً، ففي ذكرى ميلاد أبي الاحرار وسيد الشهداء وعلى أرض البطولة والفداء استقبل الحياة وليداً في الثالث من شهر شعبان المعظم من عام ١٣٧٦ هجـ بمحلة المقلع في العباسية الشرقية، واتفق بيوم ميلاده حدث سعيد آخر وهو عيد النوروز بتاريخ ١٩٥٧/٣/٢٣م.

ونشأ وترعرع في ظل أسرة كريمة متكهربة بحب الحسين هائمة بشعائره وخدماته ومتفانية في سبيله حتى شبَّ والحسين في خفقات قلبه ونبضات عروقه إحساساً دافقاً وشعوراً عميقاً بالعشق والهيام والتفاني دون قضيته وأظهار مظلوميته ولسان حاله يقول:

وما فاتني نصركم باللسان اذا فاتني نصركم باليدِ



من اليمين: السيد احمد الخاتمي، الميرزا عبد الرسول الاحقاقي، السيد الغالي، الحاج عباس القطان، الشيخ علي حيدر.



من اليمين: السيد عبد الحسين القزويني، السيد أحمد الخاتمي، الميرزا عبد الرسول الاحقاقي، السيد المترجم، الشيخ علي حيدر، الشيخ سليمان الجابري.

دراسته الحوزوية والاكاديمية:

في خطواته التعليمية الاولى انتسب للمدارس الرسمية بمراحلها الابتدائية والمتوسطة والثانوية في كربلاء وبعد ظروف الهجرة أكمل الثانوية في مدرسة حكيم نظامي في مدينة قم المقدسة، بعدها انتسب لجامعة طهران كلية الحقوق والعلوم السياسية حتى حصل على ليسانس في العلوم السياسية، كما حصل بنفس الوقت على ليسانس في القضاء.

واما حوزوياً فتلقى دروسه في علوم أهل البيت في المدرسة الهندية على السيد علي الصدر، ثم انتقل إلى المدرسة الحسنية وتتلمذ على كل من الشيخ عبد الرحيم القمي، والشيخ عبد الرضا الصافي، والسيد باقر القزويني، والشيخ غلام رضا الوفائي، فقد اخذ عن هؤلاء الاعلام مقدمات العلوم العربية والإسلامية ثم واصل مشواره العلمي باكمال المرحلة الثانية المصطلح عليها بالسطوح وحضر تلك الدروس على يد كل من الاعلام الشيخ مصطفى زماني، والشيخ البایاني، والشيخ علي بناه الاشتهاري، والشيخ يد الله الدوزدوزاني، ودرس الفلسفة الإسلامية عند الشيخ يحيى الانصاري والسيد رضا الصدر.

ثم انتقل للدراسات العليا في الابحاث الخارجية للفقه والأصول ففي الفقه حضر عند الشيخ الوحيد الخراساني، والسيد

بسم الله الرحمن الرحيم ٢٠١٥

بعد الحمد لله والصلاة على رسول الله المصطفى وآله الطيبين الطاهرين المعصومين

لا يخفى أن جناب العلامة ثقة الإسلام والمسلمين السيد محمد باقر الفالي دام تأييده

مأذون من قبلنا في التصدي للأمور الحسبية التي لا يجوز التصدي لها إلا للحاكم

الشرعي أو المأذون من قبله وفي محاسبة أموال المؤمنين وتخميسها والمداورة

مع من لم يتمكن من تفريغ ذمته وتقسيطها بذمته بما يراه مناسباً والمصالحة

في الحقوق المشكوكة الاحتياطية إلى حد الربع وفي قبض الحقوق الشرعية

من الأخماس والزكوات والمظالم والنذور المطلقة والكفارات والوجوه

البرية من الأثلاث والخيرات والتبرعات للمشاريع الخيرية وغيرها من

الوجوه وصرف الثلث مما يقبضه في شؤونه الخاصة ومساعدة الفقراء

والمعوزين والأمور التي توجب تقوية الدين الحنيف ومراجعتنا في

الباقي لإصدار الوصولات لأربابها وإيصالها إليهم وأوصيه أيده

الله تعالى بملازمة التقوى وسلوك سبيل الاحتياط ورعاية أمور المؤمنين

ووعظهم وإرشادهم إلى معالم دينهم ومشاركتهم في السراء والضراء

كما أوصي المؤمنين وفقهم الله تعالى لمراضيه بإكرامه واحترامه

والاعتناء بشأنه والإصغاء إلى مواعظه وإرشاداته والسلام

عليه وعلى إخواننا المؤمنين ورحمة الله وبركاته ١٥ ربيع الثاني ١٤١٣

[ختم وتوقيع]

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد الحمد والصلوة . لا يخفى ان جناب العلامة ثقة الاسلام
السيد محمد باقر الفالي دام تاييده مجاز من قبلنا في اخذ الوجوه الشرعية
من المؤمنين المباركين والمداورة والامهال في الموارد
المقتضية بمقدار الصلاح وصرف الثلث مما يقبضه
في شؤونه الخاصة وصرفها في الموارد المقررة الشرعية وايصال
الباقي الينا بالحفظ واقامة الحوزة العلمية ولاصدار الوصولات
الى اربابها وايصالها اليهم واوصيه بملازمة
التقوى ومراعاة الاحتياط فانه سبيل النجاة وارجوه
ان لا ينسانا من صالح الدعاء كما لا انساه ان شاء الله تعالى
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته في ٢٦ رمضان ١٤١٣ هـ

الاحقر محمد علي الاراكي

الشيرازي، وفي الأصول عند السيد صادق الشيرازي. حتى أصبح موضع الثقة والاعتماد عند الكثير من مراجع الدين الذين زودوه بوثائق واجازات تشهد بفضله وجدراته بتمثيلهم في المعاملات الدينية والاجتماعية وهذه بعض النماذج منها:

خطابته الحسينية:

من أوائل ذكرياته التي حدثني عنها في مدرسة الإمام الصادق الابتدائية بكربلاء التي كان طالباً فيها انيطت به مهمة الخطابة بضمن فعاليات نشاط الكشافة الدينية وله من العمر يومئذ اثنا عشر عاماً فوضع له كرسي في وسط سوق العرب واعتلاه خطيباً متمثلاً بأبيات لازالت عالقة بذهنه هي من شعر السيد مرتضى القزويني وكان مدير المدرسة يومئذ والأبيات هي:

إنا أناس لنادين وفلسفة ومبدأ ليس بالالحاد مقرونا
ومنهج محكم أرسى قواعده رب البرية احكاماً وترصينا
دين قويم حباه الله امتنا ليملأ الأرض ارشاداً وتبيينا

ثم بعد الفراغ من خطبة سوق العرب انتقلت فرقة الكشافة إلى المدرسة الهندية وكان الموسم الديني يتعلق بمولد الإمام المهدي عجّل الله فرجة الشريف فرقى هناك المنبر وقرأ قصيدة لشاعر أهل البيت الشيخ عبد المنعم الفرطوسي رضوان الله عليه.

وبعد هذه المرحلة وتحديداً في سنة ١٣٨٩هـ اعتمر العمامة على يد السيد الشيرازي وتزيا بزي أهل العلم ورقى أول منبر بشكله الرسمي في بيت والده، وفي عام ١٣٩٠هـ انتقل إلى ايران ومارس الخطابة الحسينية في مدينة يزد باللغة الفارسية واستمر في مجلسه هذا قرابة عقد من الزمن ابتداءاً من سنة ١٩٧١م وكان مجلساً جماهيراً حاشداً. ثم مارس نشاطه المنبري في كل من اصفهان وقم وطهران وشيراز ومشهد ومازندران باللغتين العربية والفارسية.

وكذلك ارتقى الاعواد الخطابية في سورية ولبنان ومسقط والكويت ولندن وغيرها، كما عقدت له المجالس الحسينية في مكة والمدينة بمواسم الحج.

والخلاصة ان سيدنا المترجم من الخطباء الذين لهم ثقل منبري في الساحة الحسينية المقدسة، وبراعة وألمعية في فن خطابة المنبر الحسيني.

مؤلفاته:

ترجم أربع وثلاثين كتاباً من اللغة العربية إلى الفارسية وكلها مطبوعة.

وله كتاب فارسي مطبوع عنوانه المعرّب: نظرة إلى حياة الإمام الصادق(ع) وكتابان مخطوطان: الأول في مدرسة الحسين(ع)، والثاني: هكذا علمنا الإسلام.

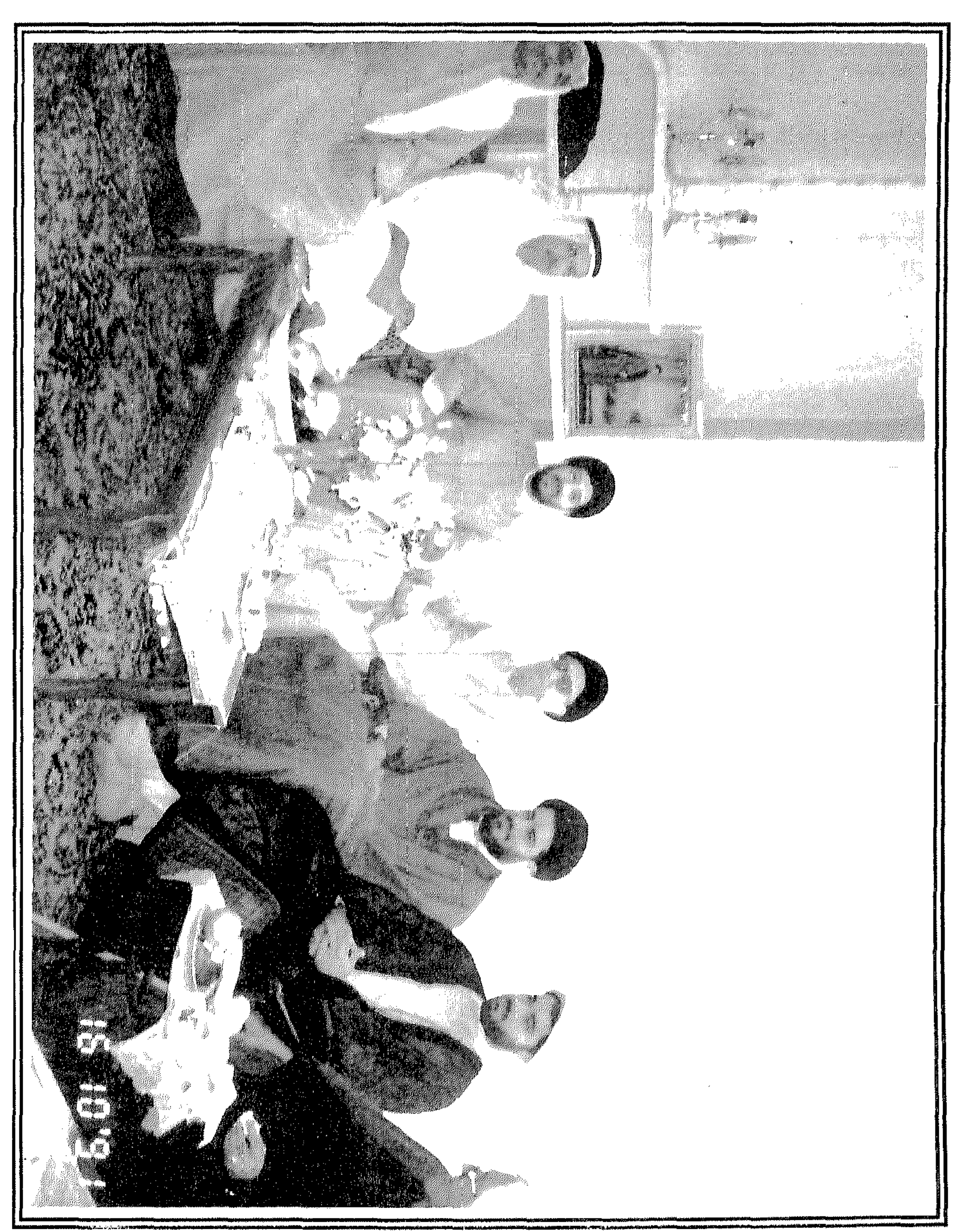
شعره:

له في عالم الشعر مغرفة، وبدأ في محاولاته وتجاربه الشعرية منذ عام ١٣٩٠هـ، ومن ميزات شعره السهولة والوضوح، وغالباً ماينظم مايتطلبه عمله المنبري من أهازيج واناشيد حسينية ترددها معه المحافل المنعقدة في شتى مناسبات أهل البيت عليهم السلام ومن نماذج ذلك ما قاله في مولد الامام الحجة(عج).

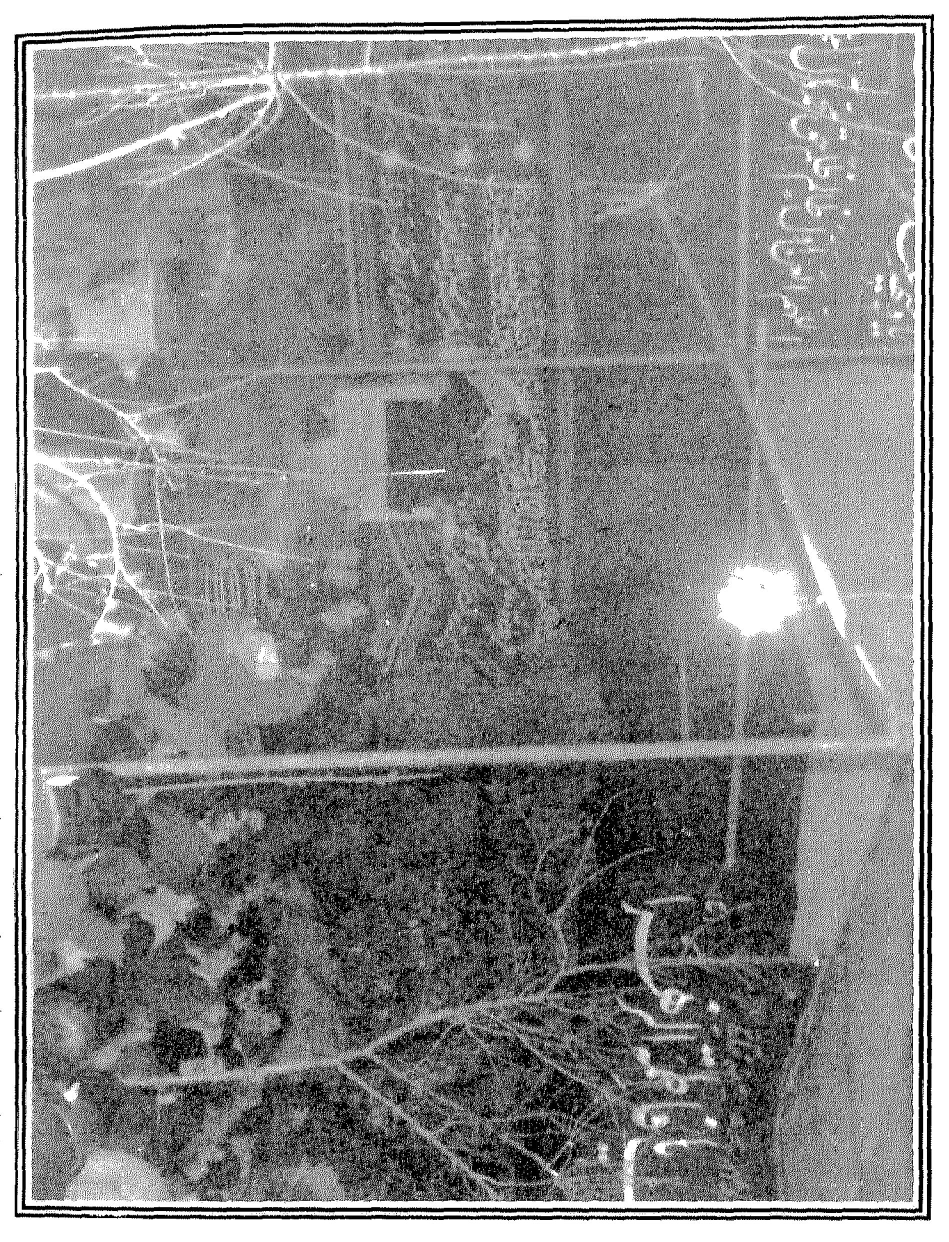
في الخامس عشر من شهر شعبان سنة ١٤٠١ هـ:

هاك منّا شهر شعبان سلاما ... لوليدٍ يملأ الدنيا سلاما
أيها الساقي ترانا في ابتهاجٍ ... اسكب الرّاح وناولنا المداما
ليلنا طال وكنّا في ظلامٍ ... مطلع الشمس اتى يمحو الظلاما
وارقنا ننتظر قرةَ عينٍ ... ينشر البشرى علينا والهياما
أقبل الصبح ضحوكاً حيث فيه ... ولد المهدي للخلق إماما

❊ ❊ ❊



السيد المترجم بين الشيخ هاني شقفان والسيد هاشم القزويني.



السيد الغالي يرقى المنبر على جموع المؤمنين في مدينة يزد الإيرانية.

يـا امامـا عـادلا فـاظهر فانّـا	مالنـا غـيرك للحـق قوامـا
أنـت أنـت القـائد الاكـبر والأ	غيـارُ خـدّامٌ خواصـاً وعوامـا
عـالَم اليوم جحيم صـار فيـه الْـ	حـربُ والعـدوان والقتـل ختامـا
خلّص العـالم مـن ظلـم بغيـض	حكّـم العـدل عليهـم والنظامـا
حطّـم الطغيـان والكفـر وغـيّر	سـنن الكفّـار توحيـداً تمامـا

❁ ❁ ❁

يـا امامـا ثـائراً للحـق هـلاّ	تنصـر الاسـلام فالصـبر إلى مـا
يا امام العصر طال الصبر دهـراً	سـلب الرقـدة منّـا والمنامـا
وغمـامٌ حـالكٌ أظلـم فينـا	يـا وليّ الله قـم وامـح الغمامـا
خلّـص الامـة ادرك ديـن طـه	فقوى الدين نـرى فيهـا انهدامـا
او مـاتنهض لثـارات حسـين	وتكفكـف عـبرات لليتـامى
أو مـا تطلـب ثـأراً لرضيـع	مـن سـقوه عـوض المـاء سـهاما
اننـا نهـواك يـا بـن العسـكريّ	فصبانـا الحـبّ في العمـر وسـاما
سيدي فـانظر إلينـا عـين عطـف	واعـف عـن تقصيرنـا انّـا ندامـى
أهـل بيـت الوحـي انا في هواكـم	غير ذكـر الفضـل لم نذكـر كلامـا
نتولاكـم ولا نهـوى سـواكم	حبكـم أوجبـه الله الأنامـا

❋ ❋ ❋

أيها المهدي فاظهر واقمع الكفر وحطّم زمرة البعث اللئاما

سيدي عطفاً على شيعتكم تتلقى من يد الكفر أثاما

شردوهم، قتّلوهم فضع الْـ يوم على البعث الحساما

هتكوا الأعراض داسوا كل حق قتل الأحرار من حلّ الحراما

❋ ❋ ❋

لك يا صدام في الدنيا ختام كختام البكر اذْ تلقى حطاما

قرب اليوم الذي تعدم فيه سوف تلقى مثلما لاقى القداما

وتجر بالحبل في بغداد حتى يكتب التاريخ ما تلق انثلاما

أنت طاغ كطغاة الدهر مهلاً لك يا صدام في القرب انصداما

❋ ❋ ❋

ارجوزة في مولد الامام الحسين (ع) ٣ / شعبان / ١٤٠١ هـ

بشراكم يا تابعي القرآن في ليلة الثالث من شعبان

فعالم الوجود في سرور اذ شعّ فيه مشعل من نور

مشعل سبط المصطفى الرسول نجل عليّ الطهر والبتول

فقد تجلّى في سما الأمجاد قد علّم الناس خطا الجهاد

❋ ❋ ❋

قد ولد السيّد للشبان في عالم الدنيا وفي الجنان

خدّامــه ملائــك الجليــل   كجـبرئيل وكميكـائيل
لاذ بـه فطـرس بعـد المعصيـة   ردّ لـه الله الجنـاح ثانيـة
فطـار والعـزة صـارت مَنطِقـه   يقول من مثلـي الحسـين أعتقـه

❁ ❁ ❁

جـاء حفيفـا بـالعُلى والعظمـه   وامـه الزهـراء أعـني فاطمـه
أبـو الائمّـة الكـرام التسـعَةِ   سـفينة النجـاة بـدرُ العـترةِ
للشـهداء سـيدٌ مطـاع   بكـلّ جيـل نـوره مشـاع
ضحّـى بمـا يملـك لله العلـي   مقدّمـا حتّـى رضيعـه (علـى)

❁ ❁ ❁

حـارب أهـل الشـرك والطغيـان   فهـو مخلّـدٌ مـدى الزمـان
ذاك الحسـين بـن علـي الامجـدُ   وجـده نبينـا محمـد
احـب آل المصطفـى المختـار   ولاءُ اهـل بيتـه شِيـعاري
أتبـع حتـى المـوت آل الله   مفتخـرا بمبدئـي أبـاهي
مبـدأ اهـل البيـت خـير مبـدأ   وغـيرهم لفـظ علـى الأفـواه

❁ ❁ ❁

في مولد الامام السجاد (ع) ٥/شعبان/١٣٩٩هـ

نور الامامة من جبينك يسطع   كالشمس في افق الزمان تشعشع
وصدا جهادك ثورة جبّارة   في كل عصر من دعاءِك تنبع
وكتاب فضلك يا امام العا   بدين وسيد السُجّاد نهج يُتبع
نفحات قدسك في سما الامجاد   بدر في دجنة كل قلب يلمع

❁ ❁ ❁

يا بن الحسين وليس فوقك في العلا   مجدٌ وانت لكل مجد مرجع
وحملت شارات الفضائل والتقى   نوراً لدى قسمات وجهك يسطع
رُبّيت في حجر الحسين مباركا   ورعا ومن كأس المكارم تجرع
يامنطق القرآن صوت الحق في التا   ريخ ذكرك في الشوامخ يرفع

❁ ❁ ❁

حطمت عرش بني الخنا في خطبة   فمضى يزيد أمام مجدك يخضع
يا خطبة قد جلجلت صرخاتها   اذن الجبابرة الطغاة ليخشعوا
وشجاعة علوية أثبتّها   رغم الأسارة من بيانك تُسمع
أخرست كل معاند في ثورة   أشعلتها بين العدى يا مصقع

❁ ❁ ❁

وملأت آذان الجميع مدائحا   من آل بيت محمد تتفرّع
أثبت انك في جهادك غالب   ويزيد مغلوب غبيّ مبدع
وبكل لفظ من خطابك أسست   للحق مدرسة وانت المنبع

ان التشـــيع بالجهـــاد مشّـــيدٌ   ومـــع الزمـــان جهـــاده يتنـــوع
يـا مرغـم الأعـداء انـك خـالد   مـادامت الدنيـا لـواؤك يرفـع

❁ ❁ ❁

في المبعث النبوي الشريف ٢٧/رجب/١٣٩٩هـ

صرخـة الحـق تـدوّي بصداهـا   مـن فـم القـرآن فـاسمع محتواهـا
مبعـث النـور إلى دنيـاً كسـتها   سـحب الظلمـة والنـور محاهـا
بعـث الخـاتم للرسـل نبيـا   للهـدى يدعـو الى رفـع لواهـا
فهـدى النـاس الى ديـن قويـم   امـة مـن لطفـه الله حباهـا
طيب النفس عظيم الخلق طهـرٌ   هـو أحمـد سيد الكونـين طـه

❁ ❁ ❁

علـم الخلـق دروسـا في علاهـا   ودعـاهم للتقـى وفـق خطاهـا
أعلـن الاسـلام دينـا حيـث فيـه   للشـعوب الخـير في نهـجٍ هداهـا
كمّل الاسـلامَ في نصـب علـيّ   بغديـر الخـم مذجـاء نداهـا
ايهـا المبعـوث بلّـغ مـا وحاهـا   جـبرئيلٌ مسـرعا وادعُ الالهـا
رب والي كـل مـن والى عليـاً   ثـم عـادي مـن يعاديـه تباهـا

❁ ❁ ❁

يـا رسـول الله خـير البرايـا   انـت نـوّرت مـع الحـق دجاهـا
أنـت بـدر طـالع في افـق العـا   لم تنـير الـدرب في نيـل مناهـا

انـت مـن خلّـد امجـاد بـني ... الاسلام والتاريخ يشهد من بناها
أنت انت العالم الاكبر والـد ... نيا وما فيها كـذرٍّ في فضاهـا
بلـدة للعلـم والبـاب علـيٌّ ... طـالب البلـدة يعـرف مبتداهـا
وعلـيٌّ مثـل هـارون لموسـى ... وهو نفس المصطفى حيث أخاها

❁ ❁ ❁

أيقظ الامـة مـن جهـل مقيت ... بعدمـا كـانت لهـا العـزّى إلهـا
فجّـر الثـورة في مكّـة فـرداً ... وعلـيٌّ اوّل القـوم حَماهـا
زرع الاهـوال في قلـب الاعـادي ... سـطعت أنـواره أقصـى سماهـا
ثـورة جبـارة أبقـت تراثـا ... صـار للاسـلام مجـدٌ لا يضـاهى
ايهـا التـاريخ سـجّل مـن بهاهـا ... نهضـةً بعـد قـرون مـن مضاهـا
نهضـة الامـة في شـعبان كيمـا ... تمحـق البعـث وتحيـي ديـن طـه
ان حزب البعـث مـن عفلق نـاشٍ ... ومشـى صـدام في إثـر خطاهـا
لـك يـا صـدام في الدنيـا جحيـمٌ ... كجحيـم البهلـوى تلقـى لظاهـا
كلمـا يُملـى لكـم تـزدادوا إثمـا ... والمشـانق تنتظـر يـوم جزاهـا
أطلقـوا الأحـرار كفّـوا الظلـم دنيـا ... كـم قريبـا سـوف تقلـب كفّتاهـا
عـالم اليوم جحيـم حيث فيـه الـ ... سجن والتعذيـب أحكامـاً نراهـا
كـل مـن صـاح بحـق خنقـوه ... يسـجن الحّـر اذا للحـقّ فاهـا

لكـــن الحـــق ســـيبقى يتجلّـــى   نـــوره يشـــرق للخلـــق دجاهـــا
مشـــعلٌ اوقـــده الله منـــيراً   ويريـــد الكفـــر اطفـــاء ضياهـــا
نحـــن أحـــرارٌ كمولانـــا علـــي   نحـــن في الخلـــق نقلّـد مصطفاهـــا

❀ ❀ ❀

في مولد الامام الحسن المجتبى (ع) ١٥/رمضان/١٤١٥ في حسينية الرسول الأعظم

الكـون يطـرب والطيـور تغـرد   بشـراكم جـاء الامـام الأمجـد
حسن الفعـال وفخر كـل مقلس   سبط الرسول ومن حباه محمـد
نـورا يزيّنـه بكـلّ دجنّـة   وهـدىً يمجّـده فـذاك السـؤدد
هو نجل حيدرة الوصـى وفـاطم   واخو الحسين هو الحبيب الأسعد
صلوا عليه مدى الحياة وسلّموا   فـالله صلـى والملائـك مجّـدوا

❀ ❀ ❀

بمناسبة حلول شهر رمضان ١/رمضـان/١٤١٦هـ في حسينية الرسـول الاعظم في الكويت.

مرحبـا يـا مرحبـا يـا رمضـان   مرحبا شهر التقى شـهر الأمـان
ايهـا الشـهر الـذي جـاء بـه   احمـد بـالذّكر في خـير بيـان
يغفـر الله لكـل التـائبين   بشـروا العـاصي انّ الوقـت آن
ايهـا الصـوّام بشـراكم فقـد   فتـح الله لكـم كـل الجنـان
فاسـئلوا الله بحـق المصطفـى   احمـد صلّـوا عليـه كـلّ آن

المؤمـــن هنـــأ واستبشـــر   للســـبط بميـــلاد الاكـــبر
مثـــل علـــي في هيبتـــه   وشـــبيه محمـــد الاطهـــر
فـــازدان الكـــون بمقدمـــه   يتـــلألأ كـــالبدر الانـــور
صـــرع الابطـــال وجدّلهـــم   وحســـين والـــده استبشـــر
بطـــل ليـــثٌ في ســـطوته   هـــو طهـــر مـــن طهـــر أطهـــر
ضحّـــى بـــالروحِ و لم يُقهـــر   يـــوم الطـــفّ فكـــان الأقـــدر

انشدت هذه الأبيات بالبداهه في ذكرى ميلاد العباس في حسينية الكربلائية ليلة ٤/شعبان/١٤١٦هـ

عبـاس يـا بـن الطهـرام البنـين   يـابن علـي سـيد المؤمنـين
بـاب الحوائـج قمـر زاهـد   حـامى عيـالات الامـام الحسـين
سـاقى عطاشـا كربـلا فاسـقنا   فاننـا ظمئـى لمـاء معـين
ترفـع أهـالي كربـلا في الكويـت   أسمـى التهـاني للامـام الحسـين
بمولـد العبـاس بـدر الدجـى   وزيـن اهـل الحـق والعـابدين

انشدت هـذه الابيات بالبداهـة في حسينية المرحوم سيد محمـد في الكويت ٣/شعبان/١٤١١هـ

قـم جـدد البشـرى بعيـد المولـد   ولـد الحسين سـليل بنـت محمـد
نجل الوصـى الطهـر ثـالث مقتـدىً   وابـو الائّمـة دون ايّ تـردّد

نهـواه في الدنيـا ويشـهد ربُّنـا		انـا نـوالى اهـل بيـت محمـد

في مولد الامام الرضا (ع) كتبت في خراسان بداهة بتاريخ ١١/ذي القعدة/ ١٤١٠هـ

في مولـد الأنـوار مـن آل أحمـد		غنّـت غنـاء لهـا لأطهـر مولـد
هـو نجل موسى حجـة الله الرضـا		سلطان طوس من سلالة أحمـد
شمس الشموس اضاء أمواج الدجى		نورا بطلعته فيا شمـس اسـجدي
خجلاء قـرّى واخشعي وتضائلي		مـن نـوره فهـو ابـن بنـت محمـد

في مولـد الرسـول الأعظـم والامـام الصـادق أنشـدت بالبداهـة ١٧/٣/١٤٠٠هـ في حسينية دار الحسين بقم المقدسة:

تـه عـزة شـهر الربيـع الأمجـد		وشـرافةً لقـدوم اعظـم مولـد
ياكائنـات تراقصـي وترنّمـي		واستبشري فرحـاً وغـنّ وانشـدي
فالاقحوانـة فوّحـت بعبيرهـا		والكون أطرب يوم عيـدٍ اسـعد
نـور تـلألأ في غضـون دجنّـة		لمـآثر نبويّـة في أحمـد
فالجنـة ازدانـت وهلهـل حورهـا		فرحـاً بعيـد اولي العلـى والسـؤدد
الله زان الكـون يـوم قدومـه		وليُمنـه أمـر الجحيـم أن اخمـدي
ولـد النبـي محمـد وسـليله		بحـر المعـالم جعفـر بـن محمـد

لطمية في الحسين (ع) عاشوراء ١٤١٢هـ

زينب تنعى أخاها بالبكاء ذا حسين في غدير من دماء

واحسينا واحسينا واحسينا

ايها العينان جودا بانسجام وامزجا الدمع بدمّ للامام

واهجروا طيب الهجوع فهو ظامي فحسين مات عطشانا طعينا...

واحسينا واحسينا واحسينا

جلس الشمر على صدر الشهيد وفرى بالعنف أوداج الوريد

وحسين مثل قرآن مجيد مزّقوه كسروا ذاك السفينا...

واحسينا واحسينا واحسينا

إنّ رزء السبط أحنى للضلوع تبكي عيناي له حُمر الدموع

ويشب النار في القلب المروع قتله أبكى النبي الهادى الأمينا

واحسينا واحسينا واحسينا

خضّبت فاطم شعراً بالدّماء وكذاك المصطفى في كربلاء

وبكاه اليوم كل الأنبياء فحسين قطعوا منه الوتينا...

واحسينا واحسينا واحسينا

يارسول الله ياخير الأنام ذا حسين في دماء وهو ظامي

أنــا وحــدي دون وال ومحــامي يارســول الله هيّــا قــم الينــا...

واحسينا واحسينا واحسينا

اشعلت جند الشقا وسط الخباء نــار غــدر بعــد ذبــح الشــهداء

شــرّدونا في بــوادٍ مــن بــلاء نســتر الــرأس بأكمــام يدينــا...

واحسينا واحسينا واحسينا

امّــه ثكلــى وتدعــو يــافؤادي وعلــيٌّ حاســر الــرأس ينــادي

يا صريعــاً بــين أفــواج الاعــادي يــاحبيبي واصريعــاً واحزينــا

واحسينا واحسينا واحسينا

بســياط ضربونــي في متونــي سوّدوا جسمي وقد هاجوا شجوني

أنا ثكلى وعلــى الحــزن دعونــي كــان أخوانــي صرعــى مبتلينــا

واحسينا واحسينا واحسينا

كيف أبقى ياأخي بين الاعادي ليس لي حــامٍ ولا أهــل ودادي

أنــا وحــدي وعيــال في البــوادي يا أخي اهل البغا صالت علينا...

واحسينا واحسينا واحسينا

فاطم الزهراء في رزئك حسرى ونست أضلعها في الباب كسرى

ليت سيف الشمر منّي حزَّ نحرا كلنــا نفديــك يــا ظــلاً علينــا

واحسينا واحسينا واحسينا

ظـامىء فاطمـة تبكـي عليـه | مثـل طـه وعلـيّ وأخيـه
لـو رسـول الله عزّينـاه فيـه | لرأينـاه دمـاً يبكـي حزينـا

واحسينا واحسينا واحسينا

نشـرت زينـب شـعراً في الخبـاء | عَـبرة عنـد قتيـل في العـراء
انـه خـامس أصحـاب الكسـاء | وهي تدعـو المرتضى أقبل النبيّا...

واحسينا واحسينا واحسينا

شـتموا فـاطم والطهـرَ عليـا | وحسـيناً وأخـاه والينـا
أتـبرّى منهـم مـادمت حيـا | بسيوف قطعّـوا إربـا حسـينا...

واحسينا واحسينا واحسينا

ياجبـال المجـد عـزّا وبـلاءا | وبـدورَ الأرض نـوراً وسـناءا
يـالرزء اضـرم القلـب شـجاء | وغـدا القلـب كئيبـاً وحزينـا...

واحسينا واحسينا واحسينا

وينـادي المصطفـى ايـن جزائـي | أنـا مظلـوم إلى يـوم القضـاء
أهـل بيـتي بـين قتـل وسـباءِ | كيـف تبغـى امـتي مـني المَعينـا...

واحسينا واحسينا واحسينا

بدّلوا ديـــني ونـــالوا أهــلَ بيــتي بالعظيمــات ورضّــوا ضلــع بنــتي
عترتي من غدرهم كم قد جرعتِ فأنــا خصــم لمــن كــان مُعينــا...

واحسينا واحسينا واحسينا

وحســين صــار يدعــو للــوداع يــا بنــات الوحــي هيّــا للنّواعــي
صرت وحدي وعلوّي غير واع وبنـات المصطفى تبدى حنينـا...

واحسينا واحسينا واحسينا

فحسين سوف يمضي للشـهادة وهــو ضــام في خطــاه للســعادة
فلــه القتـــل لأجــل الله عـــاده بثبـــات نهجـــه حـــق يقينـــا

واحسينا واحسينا واحسينا

ثغــره الطــاهر كـــالورد الرّســول وبكتــه الحــور حزنــا كــالبتول
يارســـول الله يـــانعم الرّســـول ذا حسين قـام كيمـا يحيـي دينـا

واحسينا واحسينا واحسينا

في مولد الزهراء (ع)

تخميس

أبنـاء فـاطم روح القـدس عبدكـم وثـابت حـول عـرش الله اسمُكُـمُ

أقـول والقلـب لايهديـه غـيركُمُ		يـاآل بيـت رسـولالله حبُكُـمُ
فرض من الله في القرآن أنزله
المصطفى خير خلق الله جدكُـمُ		والمرتضـى والـدٌ والطهـرُ أمُكُـمُ
وبعـد ذكـر الـهِ الكـون ذكركُـمُ		كفـاكُمُ من عظيـم الشـأن أنكُـمُ
من لم يصل عليكم لاصلاة له

تخميس

إذا كـان في بـاب العزيـز تذّلّلـي		فعزتّـه في العـالمين تكـون لي
أقول لدى عسري وساعة مشكلي		على الله في كـل الأمـور توكلـي
وبالخمس أصحاب الكساء توسلي
هُـمُ أوليـاء الله إن شـئت ودّه		بعروتـه الوثقـى تمسّـكْ وشـدّه
وقـل بنـبيّ كـان جـبريل عبـدَه		محمـدٍ المبعـوث وابنيـه بعـدَه
وفاطمة الزهراء والمرتضى علي

تضمين

آلُ النـبي نجـومٌ للـورى زُهَـر		محمّـدٌ شمسُـهمْ والمرتضـى قمـر
«مطهّـرون نقيـات ثيـابهم		تجري الصلاة عليهم أينما ذكـروا»

مخمّس

أنـا في الــورى عبـدٌ لعـترة أحمـد أدعــو إليهــم باللســـان وبـــاليد
وأجيب ان سئلوني من ذا أقتـدي أنـا تـابع لاولي العُلـى والسـؤدد
فهم ملاذي في الحياة ومسندي
غذّتـني أمّـي حبّهـم وأنـا صـبي وهـوايَ آلِ البيـت علّمـني أبـي
فعرفــت أن الحــق في آل النـبي يـا مـن أتـاني سـائلاً عــن مذهـبي
أهوى لمذهب أهل بيت محمد

تخميس

فقدت في صفحة الأعمـال تمكيـني فمن عذاب جحيم من سينجيني
لكــن لي أمـــلاً مـــازال يشـــفيني ولايــتي لأمــير النحــل تكفيــني
عند الممات وتغسيلي وتكفيني
هــو المـلاذ يـوم الحشـر يـأتيني إذا فقـدت حمـاهُ مـن سـيحميني
وان روحـي ظمئـى فهـو يرويـني وطينـتي عجنـت مـن قبـل تكويـني
بحب حيدر كيف النار تكويني

تخميس

بحـــبّ علـــيٍّ أرى ثابتـــا إذا قـــد مـــاى غـــدا زلّتـــا
فقـل للّــذي عــن عنـاد عتـى إلى مَ ألامُ وحتـــى متـــى

أعاتب في حبّ هذا الفتى

هــو المرتضــى أرتجــي خــيره　　امــام الهــدى اقتفــي ســيره

ولا جــاحدٌ أختشــي ضــيره　　فهــل زُوّجــت فــاطم غــيره

وفي غيره هل أتى (هل أتى)

تخميس

إذا سـئلوني في يـوم الحســاب　　بمــا أفنيــت عمــري في شــبابي

بــدون تــردّد هــذا جوابــي　　أنــا وجميــع مــن فــوق الــتراب

فداء تراب نعل أبي تراب

هــو القمــر المنــير وبــدر تمّ　　وغــوث المســتغيث بكــلّ هــمّ

أمــام للــورى عــرب وعجــم　　فــداء للخليفــة يــوم خــمّ

أبي الحسن المتوّج بالسحاب

تخميس

سر وفق مذهب أهل البيت منهجهم　　مشــاعلٌ للتقــى يهــدون تــابعهم

ولاتتابعنّ ملوكــاً حين تدرســهم　　بــاتوا على قلل الأجبال تحرســهم

غلب الرجال فلم تنفعهم القلل

أين السلاطين فكّــر في عواقبهــم　　تلذّذوا بــالهوى والمـوت حال بهـم

فـأين صـار جزاهـم مـن محـافلهم　　　واستنزلوا بعـد عزّ عـن معـاقلهم

واسكنوا حفراً يابئس مانزلوا

كم من قصور بنوْا في قصر عمرِهِمُ　　　ورائهـم بـرزخٌ مـن قبـل حشـرهـم

وجلُهـم جيفـة صـاروا بقـبرهم　　　نـاداهم صـارخ مـن بعـد دفنهـم

أين الاساور والتيجان والحلل

كـوادحٌ لاجلهـم كـانت مشـغّلة　　　وعـدّة حولهـم أمسـت منعّمـة

رواقص عندهـم صـارت مقرّبـة　　　أين الوجوه الّـتي كـانت محجّبـة

من دونها تضرب الاستار والكلل

عضّوا أنا ملهم يا ليت خالقهم　　　يـردُ ملكهـمُ فـالدّهر نـاولهم

مـرارة الموت والبلوى تـدوم لهـم　　　فـافصح القبر عنهـم حين سائلهم

تلك الوجوه عليها الدّود تنتقل

بعض طوى جائعـاً في ليلة سَغِبُ　　　وثلـة مـن لئـام رزقهـم طلبـوا

ياغافلاً فـاتعّض فـالكلّ قـد ذهبـوا　　　قـد طالما أكلـوا دهـراً وماشـربوا

فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

هـذا مصـيرُهُمُ إن كنـت تعتـبر　　　قـم وانتبـه تائباً إذْ قـد مضى العمُرُ

وانظر لمن تركوهـا بعدمـا عمـروا　　　وطالما كـنزوا الأمـوال وأدّخـروا

فخلّفوها إلى الأعداء وارتحلوا

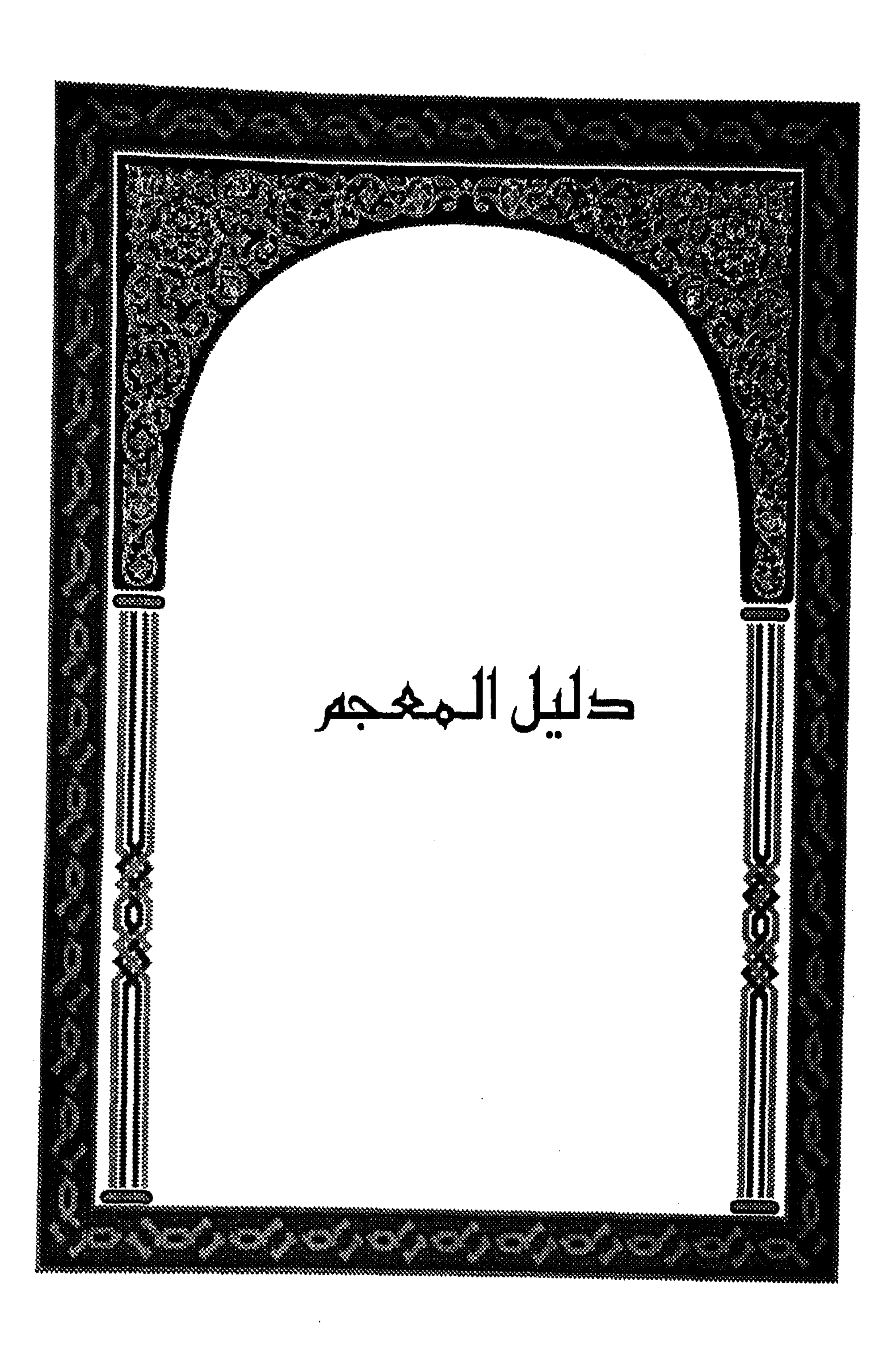
مساهماته وأعماله الخيرية:

- حقق السيد المترجم مزيداً من الانجازات الخيرية والمشاريع الإسلامية بهمة عالية وعمل دؤوب ومن ذلك طباعة الكتب الهامة في دنيا العقيدة وتوزيعها بالمجان، وتبني مساعدة الايتام والمعوزين في مختلف انحاء العالم، والمساهمة في بناء المشاريع الحسينية.
- اخرج أول مسرحية دينية في الكويت مثلها بعض الشباب الكويتيين عام ١٩٩١ في حسينية السيد محمد باسم هلاك الطاغية كتب نصوصها واشعارها واعد السيناريو الكامل للمسرحية المذكورة.
- كما أسس أول معرض للفن الإسلامي أقامه في حسينية السيد محمد أيضاً وهو عبارة عن لوحات للفنانين الكويتيين عن قضايا الإسلام وأهل البيت عليهم السلام وخصوصاً فيما يتعلق بواقعه الطف.
- من أعماله الخيرية طباعة وتكثير الاشرطة الدينية لتوزع مجاناً على الشباب لتعريفهم بفضائل أهل البيت عليهم السلام.

ومن مساهماته مشروع إغاثة الايتام في لبنان عن طريق مؤسسات سماحة الإمام شمس الدين وامدادهم بالمواد الغذائية والتموينية وغيرها.

وإلى هنا نغلق هذا الملف، ونقفل هذه الترجمة، ونكتفي بهذا القدر من استعراض السيرة الذاتية ومايدور في فلكها لسيدنا الخطيب الرسالي السيد محمد باقر الفالي التماساً للاختصار ومراعاة للضوابط الفنية لحجم الكتاب واخراجه والحمد لله رب العالمين.

* * *

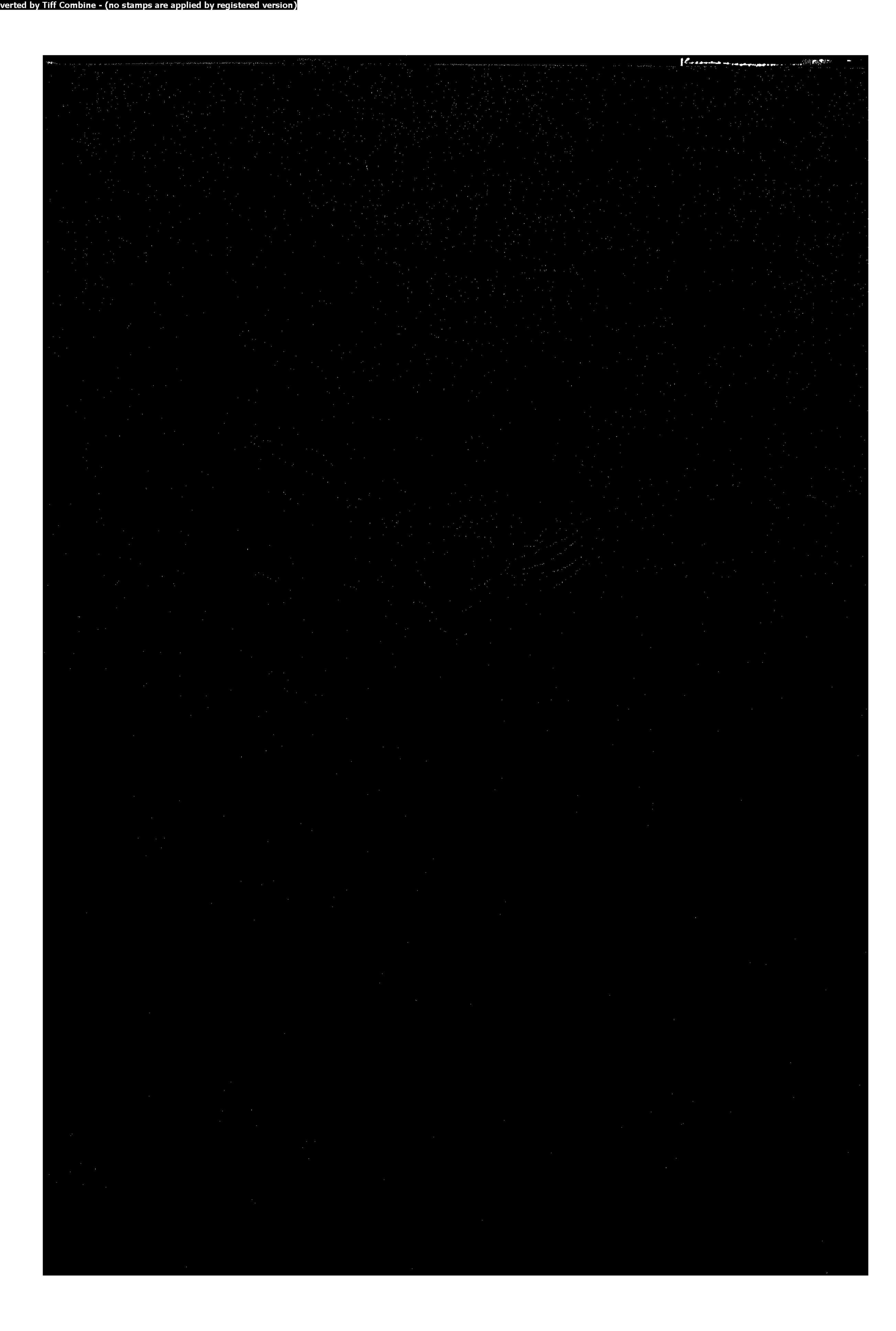


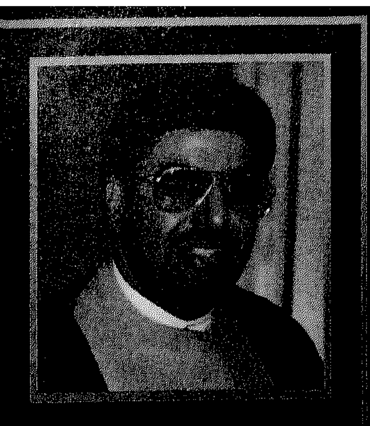
دليل المعجم



الفهرست







المؤلف:

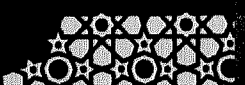
- الهوية الحقيقية او بطاقة التعريف بمؤلف الكتاب انه من اقل خدّام سيد الشهداء ابي عبدالله الحسين (ع) اذا غمرني بقبوله وأدرجني في عداد خدامه، وكفى بذلك فخرا وعزا وشرفا في الدنيا والاخرة.
- ولد عام ١٩٥٢م بمدينة الخضر على ضفاف الفرات الأوسط من محافظة المثنى بالعراق.
- انتقل الى النجف الأشرف عاصمة العلم ومركز الدراسات الدينية عام ١٩٦٧م وانتسب لحوزتها العلمية، وتلقى تحصيله ودراسته في جامعتها الكبرى عبر حلقاتها ودوراتها الدينية.
- مارس الخطابة منذ نشاته الأولى ولازال يمارس شرف الخدمة الحسينية في الكويت ودول الخليج الأخرى وغيرها منذ اكثر من ربع قرن
- له بعض المحاولات الشعرية المتواضعة مطبوعة ومخطوطة
- مؤلفاته المطبوعة:

١ ـ من لا يحضره الخطيب ٤ مجلدات

٢ ـ أدب المنبر الحسيني صدر منه الجزء الأول

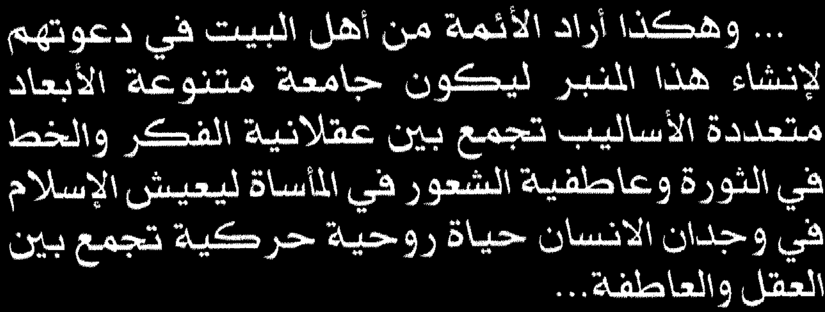
٣ ـ معجم الخطباء تصدر اجزاؤه تباعا باذن الله.







من المقدمة



... وهكذا أراد الأئمة من أهل البيت في دعوتهم لإنشاء هذا المنبر ليكون جامعة متنوعة الأبعاد متعددة الأساليب تجمع بين عقلانية الفكر والخط في الثورة وعاطفية الشعور في المأساة ليعيش الإسلام في وجدان الانسان حياة روحية حركية تجمع بين العقل والعاطفة...

وفي هذا الكتاب الجديد «معجم الخطباء» الكثير من أحاديث هذا التاريخ الذي قد يكون مثيراً للجدل ومنفتحاً على القضية في حركة الانسان والحياة.

ويبقى الحسين جديداً في حركة ثورته في امتداد الزمن، ويبقى الانسان يستمد من الحسين الكثير الكثير مما يملأ عقله وقلبه وشعوره وحياته لينفتح على الاسلام قاعدة للفكر والعاطفة والحياة.

الامام

السيد محمد حسين فضل الله

